

عصر بركة خان

سلطان مغول القفجاق

(٦٥٥- ٦٦٥هـ / ١٢٥٧- ١٢٦٦م)



أ. سارة مسعود السيد مسعود



عصر بركة خان

سلطان مغول القفجاق

(655- 665هـ / 1257- 1266م)

عصر بركة خان

× سلطان مغول القفجاق ×

(655- 665هـ / 1257- 1266م)

الطبعة الأولى

2023

دار الخليج للنشر والتوزيع

الأردن: عمـــــان، العبدلي تلفاكس: 00962 6 464 7559

daralkhalij@gmail.com daralkhalij1998 daralkhalij

تتوفر أصداراتنا على: جملون Google play

عصر بركة خان

سلطان مغول القفجاق

(655-665هـ / 1257-1266م)

أ. سارة مسعود السيد مسعود



رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2018/11/5777)
954.025
مسعود، سارة مسعود
عصر بركة خان سلطان المغـول القفجـاق /
سارة مسعود
الواصفات: /سقوط الخلافة العباسية 1258
// المغول/ /التاريخ الاسلامي
- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونيـة
عـن محتـوى مـصنفه ولا يعـبر عـن رأي
دائـــرة المكتبـــة الوطنيـــة أو أي جهـــة
حكومية أخرى.
ISBN: 978-9957-615-93-2

المحتويات

مقدمة

ارتبط تاريخ المغول في الوعي العربي والإسلامي بالدمار الذي ألحقوه بالبلدان الإسلامية، وقضائهم على الخلافة العباسية ببغداد وقتلهم الخليفة، ورغم تحول المغول لاحقاً إلي الإسلام، وفي مقدمتهم بركة خان(655-665هـ/1257-1266م) زعيم مغول القفجاق، وما أحدثه هذا التحول من أثرٍ بالغٍ على الأوضاع الداخلية والخارجية لخانية القفجاق بوجه عام، وعلي الخارطة السياسية للعالم الإسلامي بوجه خاص، فإن هذا الموضوع لم يحظ بالاهتمام التأريخي الكافي، الذي حظي به التاريخ المبكر للمغول، ووقائع غزوهم للعالم الإسلامي، لذا جاء اختياري لهذه الدراسة رغبة في استكشاف وسبر أغوار هذا الجزء المنسي من تاريخ الأمة الإسلامية، ودراسة الأثر الذي أحدثه واحد من أهم أبطال هذا التاريخ المنسي على الساحة العالمية لعصره بوجة عام، والمغولية والإسلامية بوجه خاص، ومن الصعوبات التي واجهتني أثناء هذه الدراسة، عدم وجود سيرةٍ ذاتيةٍ سابقةٍ لبركة خان، أو محاولةُ جادة للتأريخ له، كما حدث مع ابن عمه هولاكو وغيره من خانات المغول الآخرين، وكذلك ندرةُ المعلومات المتاحة وتفرقِها و تضاربها في كثير من الأحيان، و تركيز أغلب الكتب العربية عند الحديث عن بركة خان على علاقته بالظاهر بيبرس، وحتي تناول هذه العلاقة لم يخلو من بعض المفاهيم المغلوطة، لذا كان لابد من الاعتماد بشكل كبير على الكتب الأجنبية، لاعطاء صورة متكاملة عن بركة خان، وقد اعتمدتُ في هذه الدراسة على المنهج العلمي لدراسة التاريخ، مع نظرة تحليلة لما ورد في المصادر المختلفة، ومقارنتِها واستخراجِ الحقائق في كل نقطة من البحث، مع عرض الآراء بنظرة تحليلية.

وقد قسَّمتُ هذه الدراسةَ إلي تمهيد وثلاثة فصول، وذُيلتها ببعض الملاحق التوضيحية، وعرضتُ في التمهيد للعَلاقة المبكرةِ بين المغول والعالم الإسلامي، والتي اتسمت بالعدائية والدمار المُفرط، وانتهت باعتناق ثلاثة أرباع الإمبراطورية المغولية

للإسلام، كما عرضتُ لأصل المغول، وتحـولهم مـن قبيلـة لا يعرفهـا أحـدٌ إلي واحـدة مـن أضـخم وأقوي الإمبراطوريات التي عرفها التاريخ.

وتناولتُ في الفصل الأول، الذي جاء تحت عنـوان "الـسنوات الأولي مـن حيـاة بركـة خـان" التاريخ المبكر لبركة خان، والتعريف بنسبه ومولـده، كـما عرضـتُ فيـه لقيـام خانيـة القفجـاق كدولةٍ ذات سيادة، و مشاركة بركة خان لأخيه باتو في إدارة شئون الخانية، وما تطلبه ذلـك مـن المشاركة في مراسم تنصيب القانات في قراقورم، بدايةً باوكتاي قان، الذي أمر باستئناف حمـلات الغزو المغولي، التي توقفـت بعـد وفـاة جنكيـز خـان، فتحـدثتُ عـن القـوة التـي غـزت روسـيا والغرب، وعن دور بركة خان في تلك الحملة التي استمرت حتي وفـاة اوكتـاي، وتنـصيب كيـوك قان، وتحدثتُ عن مشاركة بركة في تنصيب كيوك قان، وكذلك مشاركته في تنـصيب منكـو قـان، كما تناولتُ في هذا الفصل إسلامَ بركـة خـان، والروايـات المتعـددة التـي قيلـت في هـذا الـشأن وماترتب على إسلامه من اقامة علاقات ودية مع الخليفة، كما عرفـتُ بزوجاتـه وأبنائـه، وكيـف تحدث عنه المؤرخون، وأخيراً اعتلائه عرش خانية القفجاق كأول عاهل مغولي مسلم.

أما الفصل الثاني: الذي حمل عنوان "السياسة الداخلية لخانية القفجاق في عهد بركة خان"، فقد بدأته بالتعريف ببلاد القفجاق وحـدودها الجغرافيـة، وتعريـف أهـم الطوائـف الـسكانيةِ الموجودة داخل الخانية، وتنوعهم العرقي و الديني واللغوي، وكيفية تعامل بركة خان مـع هـذا التنوع الثقافي والـديني الموجـود داخـل الخانيـة، كماتحـدثتُ عـن الحيـاة الاجتماعيـة والنظـام الإداري للدولة في عهد بركة خان، والنظام الاقتصادي الذي اعتمد بشكل أسـاسي عـلى الـضرائب وتربية الحيوانات، والتجارة، و العملة المتداولة، وإنشاء المدن كمدينة سراي وغيرها.

وتناولتُ في الفصل الثالث الذي حمل عنوان "الـسياسة الخارجيـة لخانيـة القفجـاق في عهد بركة خان"، العلاقات القفجاقية الأوروبية وكيف ألقي إسلام بركة خان بظلالـه القويـة على تلك العلاقات، وكيف أدي إسلامُ بركة خان إلي نجاة أوروبا مـن غـزوٍ مغـوليٍ ثـان، كـما

تناولتُ العلاقات بين بركة خان وممالك المغول الثلاث في قراقورم وتركستان وإيران، وتحدثتُ عن أسباب العداء بينه وبين ابن عمه هولاكو بالتفصيل، والحروب التي جرت بينهما، والعلاقات القفجاقية المملوكية التي بدأت في عهد بركة خان واستمرت بعد وفاته، وتحليل الأسباب التي أدت إلي هذا التقارب بين مغول القفجاق والمماليك .

وعرضتُ في الخاتمة لأهم النتائج التي توصلتُ إليها من خلال هذه الدراسة، بالإضافة إلي مجموعة من الملاحق.

وأخيراً وليس آخراً أتقدمُ بخالص الشكر والعرفان إلي الأستاذة: الدكتورة/ أمينه الشوربجي- أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي بكلية البنات جامعة عين شمس، لقبولها الإشراف على تلك الرسالة، ومساعداتها الكريمة، وأياديها البيضاء، فلها مني جزيل الشكر، كما أتقدم بالشكر والإمتنان للدكتورة/سهير مليجي مدرس التاريخ الوسيط بكلية البنات جامعة عين شمس، لقبولها الإشراف على تلك الرسالة، وما بذلته من جهد وتكبدته من عناء في مراجعة هذه الرسالة، فلها مني جزيل الشكر، كما أتقدم بالشكر للأستاذة الدكتورة/ عفاف صبره - أستاذ التاريخ الوسيط بكلية البنات جامعة الأزهر، على عطائها الكريم الذي لا ينضب، كما أتقدم بالشكر للأستاذ الدكتور/ عفيفي محمود - أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب جامعة بنها، لقبوله مناقشة هذه الرسالة فله مني جزيل الشكر، و أتوجه كذلك بالشكر لفضيلة الشيخ/ عبدالله محمد من علماء الأزهر لمراجعته الرسالة لغوياً، وكذلك أتقدم بالشكر لوالدي فضيلة الشيخ مسعود وزوجي لما تكبداه من عناء المراجعة والكتابة على الكمبيوتر، كما أتوجه بالشكر لوالدتي التي وفرت لي من الهدوء والوقت والنصح ما يكفي لإتمام هذا العمل، وكذلك أتقدم بالشكر للصديقة العزيزة صفاء عامر، ولايفوتني أن أتوجه بالشكر لمكتبة دير الفرنسيسكان، ولمخترع الانترنت تيم بيرنرز، ومؤسسا جوجل لاري بيج، و سيرجي برن، لما أتاحاه للبشرية من كم هائل من المعلومات، وسهولة تحصيل المعرفة، وأتوجه بالشكر لمواقع المكتبات الألكترونية، التي مكنتني وملايين البشر غيري من الإطلاع على الآف الكتب بكبسة زر، كما أتوجه بالشكر لموقع أكاديميا الذي أتاح لي التواصل مع أساتذة وباحثين من بلدان مختلفة، والاطلاع على أبحاثهم.

وختاماً لا أقول سوي ما قاله عبد الرحيم البيساني (إني رأيت أنـه لا يكتـب إنـسانٌ كتابـاً في يومه إلا قال في غده لو غُير هذا لكن أحسن، ولو زيد كذا لكان يُستحسن، ولو قُدم هـذا لكـان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العـبر وهـو دليـل عـلى اسـتيلاء الـنقص عـلى جملة البشر).

تمهيد

المغــــول

أثار تاريخ المغول اهتمام المؤرخين والباحثين على مر العصور، وذلك لما أحدثوه من تغيير في الخارطة العالمية آنذاك، فقد قضوا على دول بأكملها وأقاموا عـلى أنقاضـها إمبراطوريـة مغوليـة ضخمة امتدت من الشرق إلي الغرب.

- المغول والعالم الإسلامي:

عند ذكر المغول يتبادر إلي ذهن الكثـيرين منـا مجموعـةً مـن البـدو المتوحـشين، يجتـاحون في قسوةٍ مثيرة للاشمئزاز البلادَ والعبادَ، فيتركونها خراباً يباباً، مخلفين وراءهم الخـراب، والـدمار، وآلاف القتلي، أينما حلـوا، بـل يكـاد لا يـتراءي للـبعض منـا، عنـد الوهلـة الأولي لـذكرهم، سـوي مـشاهد اجتياحهم المدمر للعالم الإسلامي، بدايةً ببلاد ماوراء النهر[1]، وفتحهم سد جيحـون بخـوارزم[2]، مـما أدي إلي إغراق المدينة وتحويلها إلي بحيرة مـن الميـاه[3]، مـروراً بخراسـان[4]، التـي خلفـوا في إحـدي

---

(1) بلاد ماوراء النهر: هو الاسم الذي اطلقه العرب على البلاد الواقعة وراء نهر جيحون (أموادريا الآن)، والتي كانت تابعة لملوك الترك قبل أن يفتحها قتيبة ابن مسلم عام(87هــ- 705م) لتـصبح واحـدة مـن أعظـم مدن الإسلام وأشهرها، و فيها كانت سلطنة الدولة الخوارزمية، والدولة، السامانية، والغزنويـة، والغوريـة، والسلجوقية، ومن أشهر مدنها (بخاري-سمرقند- ترمذ-خجند-غزنـة) انظـر: (ابـن فـضل اللـــه العمـري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سـلمان الجبـوري، مهـدي الـنجم، دار الكتـب العلميـة، بيروت، لبنان، ج3، ص117- 118؛ الموسوعة العربية الميسرة، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بـيروت، 2009، ج2، ص748).

(2) خوارزم: هو إقليم منقطع عن خراسان، وبلاد ما وراء النهر، تحيط به الصحراء من كل جانب، يحده من الغـرب بلاد الترك الغزية، ومن جهة الجنوب خراسان، ومن الشرق بلاد ما وراء النهر، ومـن الـشمال بـلاد الـترك ايـضاً، وإقليم خوارزم حالياً جزء من جمهوريتي أوزبكستان وتركمانستان، انظر: (ابو الفدا عماد الدين بن محمد بن إسماعيل: تقويم البلدان، دار صادر، بـيروت، لبنـان، بـدون، ص495؛ عفـاف صـبره: التـاريخ الـسياسي للدولـة الخوارزمية، ط1، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، 1407هـ- 1987م، ص11).

(3) ثروت عكاشة: إعصار من الشرق "جنكيز خان"، دار الشرق، 1992م، ص218.

(4) خراسان: معني اسم خراسان هو موضع الشمس، وهو إقلـيم تـاريخي، امتـدت حـدوده مـن بـلاد الجبـل وجرجان غرباً، إلي نواحي سجستان والهند شرقاً، ومن بلاد فارس في الجنوب، إلي بلاد ما وراء النهر وبعض أجـزاء تركـستان شـمالاً، وإقلـيم خراسـان حاليـاً يـضم شـمال شرق إيـران، وجنـوب تركمانـستان،وشمال أفغانــستان، لمزيــد مــن التفاصــيل انظــر: (أبــو الفــدا: تقــويم البلـــدان: ص460؛ Khorāsān, www.encyyclopaediabritanica)

مدنها "نسا"[1] سبعون ألف قتيل[2]، ومرو[3] التي أعملوا في أهلها الذبح والقتل، فيروي ابن الأثير: أن واحداً من أبناء جنكيزخان 603-624هـ/1206-1226م[4]، "قد أمر بقتل أهل البلد كافةً، فقتلوهم أجمعين، وأمر بإحصاء القتلي فكانوا نحو سبعمائة ألف قتيل، فإنا لله وإنا إليه راجعون مما جري على المسلمين في ذلك اليوم"[5] ولم يبق منهم على قيد الحياة سوي خمسة آلاف، هم من استطاعوا الاختباء بعيداً عن أعين المغول، غير أن المغول لم يكتفوا بهذا القدر من الوحشية، فقاموا بهدم أسوار المدينة، وأشعلوا النيران فيها قبل مغادرتها، وهكذا كان شأنهم في مرو، وفي غير مرو من المدن، مثل بخاري[6]،

---

(1) مدينة نسا: كانت إحدي مدن خراسان، و واحدة من المراكز التجارية والصناعية والثقافية القديمة، اشتهر منها الكثير من العلماء، وهي حالياً جزء من دولة تركمانستان، لمزيد من التفاصيل انظر: (شهاب الدين ياقوت الحموي: معجم البلدان، ط1، مطبعة السعادة، مصر، 1323هـ-1902م، ج8، 282؛

Rafis Abazov, Historical Dictionary of Turkmenistan, Historical Dictionary of Asian, Oceania and Middle East ,no.53, the Scarecrow Press,Lanham,2005,p.120).

(2) عكاشه: إعصار من الشرق، ص212.

(3) مرو: هي مدينة تاريخية في وسط آسيا، تقع حالياً بالقرب من مدنية ماري في تركمانستان، كانت ولاية فارسية، أُعيد بناؤها تحت الحكم العربي، في القرن السابع كعاصمة لإقليم خراسان، وأصبحت فيما بعد قاعدة للتوسع الإسلامي في آسيا الوسطي والصين ومركزاً ضخماً للعلم في عصر العباسيين، و بلغت ذروة المجد في عهد السلاجقة، إلي أن دمرها المغول عام 1221م، ورغم أنه تم إعادة بنائها في القرن الخامس عشر إلا أنها لم تتمكن من استعادة مجدها مرة أخري، انظر: (أبو الفدا: تقويم البلدان، ص464؛ Merv www.encyyclopaediabritanica Turkmenistan,Ancient City,)

(4) جنكيز خان: اسمه الأول تيموجين ولد في منغوليا عام549هـ/1155م على الضفة اليمني لنهر الاونون في منطقه "دولون بولداق" وهذه المنطقه توجد اليوم في الأراضي الروسية – انظر: (فؤاد عبدالمعطي الصياد: المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، 1980، ص39).

(5) الكامل في التاريخ، المطبع المدرسي، اوبسالهـ 1853م، ج12، ص256.

(6) بخاري: من أعظم مدن ماوراء النهر وأجملها، بينها وبين نهر جيحون(امواداريا) يومين، تعاقب على حكمها الامويون، والسامانيون، والسلاجقة، وقد كانت مركزاً تجارياً وثقافياً، وملتقي للمواصلات في العالم الإسلامي، إلي أن غزاها جنكيز خان عام 1220م، وانتقلت من حكم المغول إلي حكم التيموريين في القرن ال14م، ثم انتقلت في القرن 16 من حكم التيموريين إلي سيطرة قبائل الأوزبك، ثم انضمت إلي الاتحاد السوفيتي سابقاً، وحالياً هي جزء من جمهوريات أوزبكستان، وطاجكستان، وتركمانستان، انظر:(أبي دلف مسعر بن مهلهل الخزرجي: الرسالة الثانية، ترجمة وتعليق: بطرس بولغاكوف وأنس =خالد، دار النشر للآداب الروسية، موسكو، 1960م، ص31 ؛ الحموي: معجم البلدان، ج2، ص82-83؛ الموسوعة العربية الميسرة، ج2، ص640).

وسمرقند[1]، وغيرهما من المراكز الإسلامية الأخري، التي عاني فيها المسلمون أشد أنواع القتل والتعذيب[2]، فقد قاسي المسلمون في مستهل الحكم المغولي، أكثر من غيرهم فتحولت مدنهم التي كانت قبلة للعلم والعلماء في آسيا إلي اطلالاً بالية، و لم يسلم فقهاؤهم، وأئمتهم، من القتل والأسر على أيدي المغول[3]، وهاهو ابن الأثير عند ذكره لوقائع غزو المغول أو التتار لبلاد الإسلام يقول:

"لقد بقيتُ عدة سنين معرضًا عن ذكر هذه الحادثة استعظامًا لها، كارهاً لذكرها (....) فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا (.......) ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلي أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا إلا يأجوج ومأجوج، وأما الدجال، فإنه يُبقي على من اتبعه ويَهلك من خالفه، وهؤلاء لم يبقوا على أحد، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال، وشقوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لهذه الحادثة التي استطار شررها، وعم ضررها، وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح"[4]..

وإذا كانت هذه هي مقدمة ابن الأثير عن الغزو المغولي للعالم الإسلامي، فكيف إذا امتد به الأجل ليري الفاجعة الكبرى، التي عقمت الليالي عن الإتيان بمثلها، ألا وهي سقوط

---

(1) سمرقند: واحدة من بلاد ماوراء النهر، قيل ليس في المدن أجمل ولا أطيب منها، فتحها قتيبة ابن مسلم (87هـ-705م) وأصبحت مركزاً للحضارة العربية والإسلامية، و أقيم بها أول مصنع لصناعة الورق خارج الصين عام 751هـ ثم غزاها المغول عام 1220م، ثم انتلقت لحوزة التيموريين في القرن ال 14، ثم حكمها الأوزبك بعد تفكك الإمبراطورية التيمورية في القرن ال 15، ثم خضعت للنفوذ الروسي عام 1920م، وهي الأن جزء من دولة أوزبكستان، انظر: (أبي دلف:الرسالة الثانية، ص31؛ الحموي: معجم البلدان، ج6، ص123-124؛ الموسوعة العربية، ج4، ص1888).

(2) عكاشه: إعصار من الشرق، ص216.

(3) توماس أرنولد: الدعوة إلي الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، عبدالمجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة العربية، مصر، 1971م، ص256.

(4) الكامل، ج12، ص233-234.

الخلافة العباسية في بغداد على يـد هولاكـو 654-663هــ / 1256- 1265م[1]، الـذي دخلهـا هـو وجنـوده في الـسابع مـن صـفر656هــ- الموافـق 28فبرايـر 1258م، فخربـوا مابهـا مـن مساجد، ونهبوا ما بها من قصور، و أتلفوا ثروةً عظيمة من الكتب التـي سـهر عـلى جمعهـا خلفاء بني العباس، فأحرقوا المكتبات، وألقوا ما بها من كتبٍ في نهر دجلة، ولم يكتفوا بذلك بل قتلوا أغلب أهل المدينة، كما قتلوا الخليفـة المستعـصم[2]وولديـه[3]، وبعـد فـراغهم مـن بغداد انتقلوا إلي الشام ومنها إلي مصر، وذلك إرضاءً لـرغبتهم آنـذاك في مزيـد مـن التوسـع شرقاً، ولكن شاءت إرادة اللـه تعالي أن تتم هـزيمتهم عـلى أيـدي المماليـك في معركـة عـين جالوت[4]، التي وضعت نهايةً للتوسع المغـولي بالمنطقـة، وأرخـت لبدايـةٍ جديـدة في تـاريخ

(1) هولاكو ابن تولوى ابن جنكيز خان، من فرسان المغول الشجعان فتح بلاد فـارس والعـراق وصـار إيليخـان عليها، كان محباً للعلوم دون أن يعقل منها شيئاً، جمـع في بلاطـه مجموعـة مـن انجـب العلـماء، وأنـشأ مرصداً فلكياً لرصد الكواكب والنجوم، كان وثنياً كأجداده – انظر: (الحافظ شـمس الـدين الـذهبى: دول الإسلام، ط1، مؤسسة الأعلمـي للمطبوعـات، بـيروت، لبنـان، 1405هــ-1985م، ص 180- 181 ؛ الـصياد: المغول، ص 324).

(2) الخليفة المستعصم:(609هـ-656هـ) هو أبو أحمد، عبداللـه بـن المستنـصر باللـه، أخـر خلفـاء الدولـة العباسية ببغداد، تولي الخلافة بعد وفاة والده عام 640هـ وكانت خلافتة خمس عشر يوماً وثمانية اشهر وايام، كان ضعيف الشخصية، قليل المعرفة، محباً للمال، مهملاً لشئون الدولة، حتى سقطت دولته وقتله هولاكو، واختُلف في كيفية موته فقيل خُنق، وقيل بل تم ركله حتى مات، وقيل غرق، انظـر:(محمـد بـن شاكر الكتبي: فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق:إحسان عبـاس، دار صـادر بـيروت، ج2، ص230-231؛ جلال الدين بن أبي بكر بن عبدالرحمن الـسيوطي: تـاريخ الخلفـاء، وزارة الاوقـاف والـشئون الإسـلامية، قطر، ط2، 1434هـ-2013، ص708).

(3) رشيد الدين فضل اللـه الهمذاني: تاريخ المغول، الإيلخانيون، ترجمة: محمد صادق نـشأت، محمـد مـوسي هنداوي، فؤاد عبدالمعطي الصياد، دار إحياء الكتب العربيـة، مجلـد2، ج1، ص294؛ مـصطفي طـه بـدر: محنة الإسلام الكبري و زوال الخلافة العباسية في بغداد على أيـدي المغـول، ط2، الهيئـة المـصرية العامـة للكتب، 1999م، ص177-188.

(4) عين جالوت: هي قرية واقعة بين بيسان ونابلس بفلسطين، كانت موقعاً للمعركة التي نشبت بين المماليك والمغول في يوم الجمعة الموافق الخامس عشر من رمـضان عـام 658هــ-1260م، والتـي انتهـت بانتـصار المماليك بقيادة المظفر قطز، والظاهر بيبرس، لمزيد من التفاصيل انظر المقريـزي: الـسلوك، ج1، ص516-517؛ فايد حماد محمد عاشور: الجهاد الإسلامي ضد الصليبين والمغـول في العـصر المملـوكي، ط1، جـروس برس، طرابلس، لبنان، 1415هـ-1995م، ص111-112).

العلاقات بين المغول والعالم الإسلامي، حيث تحول المسلمون إثر هذه المعركة من الضعف إلي قوةٍ بإمكانها مجابهة المغول، ومما ساعد على اشتداد عود تلك القوة الناشئة، تحول بعض المغول إلي الإسلام، فلم يمض على ظهورهم على مسرح الأحداث سوي خمسة وثلاثين عاماً، حتي بدأوا في التحول إلي الإسلام، فكان أسبقهم إسلاماً هو (بركة خان) تبعه بعد ذلك العديد منهم، ولم يكد يمضي على ظهورهم نصف قرن، حتي اعتنقت الغالبية العظمي منهم دين الإسلام[1]، في سابقةٍ هي الأولي في التاريخ حيث يعتنق المنتصر ديانة المهزوم، وتعتنق الشعوب الغازية ديانة الشعوب التي ساموها الخسف والعذاب[2]، فَمَنْ هم هؤلاء المغول ومن أين جاءوا وكيف تحولوا إلي هذه القوة الغاشمة؟

- **أصل المغول ونشأتهم:**

كلمة مغول مشتقة من كلمة (mong) وهي تعني شجاع أو جسور أو جرئ[3]، وقد عُرف المغول أيضاً باسم التتار[4]، وهم مجموعة قبائل معادية للمغول، قضي عليهم جنكيز خان، ثم استُخدم اسمهم فيما بعد، للدلالة على جميع القبائل المغولية، وقد انتقل اسم التتار من الصين، إلي المصادر العربية، والفارسية، والأوروبية، واستُخدم كمرادف للبرابرة المتوحشين، وقد عُرف المغول في أوروبا باسم (ترتار) وهو تعبير لاتيني يعني الشيطان[5].

وينتمي المغول أو التتار للجنس التركي، وهم مجموعة قبائل بدوية، متوحشة[6]،

---

(1) محمد على البار: كيف أسلم المغول، دار الفتح للدراسات والنشر، 2008، ص5 .

(2) ارنولد: الدعوة إلي الإسلام، ص250.

(3) Henry Howorth , History of the Mongol , Longman ; Green and co , London,1880,vol,I, p .27.

(4) يُروي أن تتر أوتتار أوتاتار و مغول هما ابنان توأمان ل ألنجه خان أحد ملوك الترك الذي قسم المملكة بين ولديه هذان اللذان عاشا في هدوء فترة طويلة ثم دب بينهما النزاع، لمزيد من التفاصيل انظر:(العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، مطبعة بغداد، 1353هـ- 1935م، ج1، ص55).

(5) ابرار كريم الله: من هم التتار، ترجمة: رشيدة رحيم الصبروتي، الهيئة المصرية للكتاب، 1994، ص64؛ هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا، ص64.

(6) ابن الأثير: الكامل، ج12، ص236؛ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج5، ص506 ؛ م.م. الرمزي: تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، ط1، المطبعة الكريمية والحسينية، اورنبورغ، ج1، ص26.

عاشت في منغوليا[1]، شمال صحراء جوبي[2]، وهي منطقة ممتدة في أواسط آسيا، جنـوبي سـيبريا، وشمال التبت، وغرب منشوريا[3]، وشرقي التركستان، بين جبال التاي غرباً، وجبال خنجـان شرقـاً، وقد أدت وعورة التضاريس وقسوة المناخ في هذه المنطقة (منطقة جبلية ذات منـاخ قـاري) إلي قلة الموارد، وهو الأمر الذي دفع السكان إلي الانتقال من مكان إلي آخر، بحثاً عن الكلأ والمرعي، والإغارة على الممالك المجاورة[4].

وقد تميز المغول ببعض الصفات الشكلية، كالرأس الكبير، والوجه العريض، أنوفهم فطـساء، وشعرهم أسود ناعم، عيونهم مائلة مشدودة، بشرتهم صفراء، ومنهم من يبدو أسـمر البـشرة أو برونزياً، وهم بذلك يشتركون في الأصل مع الصينين واليابانيين والكوريين،وأهل منشوريا[5].

---

(1) منغوليا: منطقه أسيويه (2346540كم^2) تقع بـين مقاطعـة سـيكانج بالـصين غربـاً ومنـشوريا شرقـاً وبـين سيبيريا شمالاً وسور الصين العظيم جنوباً، وتنقسم حالياً إلي (منغوليا الداخلية) وهي منطقة حكـم ذاتي بالـصين، ومنغوليـا الخارجيـة أو (جمهوريـة منغوليـا الـشعبية) التـي انفـصلت عـن الـصين عـام1911م وأصبحت جمهورية مستقلة عام 1924م. - انظر: (الموسوعة العربية: ج6، ص3247).

(2) جوبي: لفظ مغولي معناه (الصحراء، الجدباء الخاوية)، وهي تـشغل الآن حـوالي 40% مـن الجـزء الجنـوبي لمنغوليا، انظر: (ارمينوس فامبري- تاريخ بخاري منذ أقدم العصور حتى العـصر الحـاضر، ترجمـة: أحمـد محمـود الـساداتي، مكتبـة نهـضة الـشرق، جامعـة القـاهرة، ص161 ؛ Paul d Buell, Historical Dictionary of the Mongol World Empire Historical Dictionaries of Ancient Civilizations and Historical Eras, No. 8The Scarecrow Press, Inc.Lanham, Maryland, andOxford, 2003, p.156).

(3) منشوريا: تقع شمال شرق الصين يفصلها عن روسيا انهار: أمور و ارجون و اوسوري وعن كوريا نهر يـالو و تومان و تنتج منشوريا القمح والخشب والبقول ويُستخرج من أراضيها الحديد والفحـم احتلتهـا اليابـان عام 1931م وأقامت بها دولة منشوكو ثم اسـتعادتها الـصين عـام1946م بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة – انظر:(الموسوعة العربية: ج6، ص3232).

(4) عفاف صبرة: التاريخ السياسي للدولة الخورازمية، ص151؛ الصياد:ص30-31.

(5) عكاشه:إعصار من الشرق، ص18؛ ساهر رافع: جنكيز خان، ط1، دار طيبه، الجيزة، ص13.

وقد ظل هـؤلاء المغـول غـير معـروفين حتـي بدايـة القـرن الـسابع الهجـري/الثالـث عـشر الميلادي، حين تمكن زعيمهم جنكيز خان، من توحيد منغوليا، تحت لوائـه عـام 604هــ/1206م، واحتلال الصين فيما بين عـامي608-614هــ/1210-1216م ليـشرع بعـد ذلـك في بنـاء مملكتـه، فاتخذ من قراقورم عاصمةً لـه [1] ، وأصـدر (الياسـا أو إليـسق)[2] ، وهـو دسـتور المغـول، الـذي اشتمل على مجموعة التشريعات والقوانين، التي وضعها جنكيز خان، وسار عليهـا خلفـاؤه مـن بعده[3]، "وهو مقدس عندهم كالقرآن عند المسلمين"[4]، وبعد أن فـرغ جنكيزخـان مـن تنظـيم مملكته، اتجه غرباً، فاجتـاح خـوارزم، وبخـارى، وسـمرقند، ومراكـز إسـلامية أخـرى عـانى فيهـا المسلمون، القتل والتشريد، وحل ببلدانهم الدمار[5] ، كما اجتاح المغـول ارمينيـا[6]، وجورجيـا [7]،

(1) قراقورم: تعني الرمال السوداء بالتركية وهي قاعدة التتر ومنها خاناتهم، انظر:(أبو الفدا: تقـويم البلـدان، ص524).

(2) أصل لفظة اليسق (سي يسا) وهي لفظة مركبة من كلمتـين صـدر الكلمـة: سي بـالعجمي، وعجزهـا يـسا بالتركي، وسي معناها ثلاثة، ويسا معناها الترتيب، فكأنه قال التراتيب الثلاثـة، ونُقلـت الكلمـة إلي العامـة فحرفوها، وصارت تنطق سياسة، انظر: (جمال الـدين ابـن أبي المحاسـن يوسـف بـن تغربـردي: النجـوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تعليق: محمد حسين شـمس الـدين، ط1، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، لبنان، 1413هـ-1992م، ج7، ص163).

(3) علاء الدين عطا ملك الجويني: تاريخ فاتح العالم (جهان كشاي)، تحقيـق: محمـد عبـدالوهاب القزوينـي، ترجمة: السباعي محمد السباعي، ط1، المركز القـومي للترجمـة، 2007م، ج1، ص65؛ نـزار حـسن: مـدي تطبيق القوانين المغوليه(الوثنيـة) في الـسلطنة المملوكيـة: مجلـة الدراسـات التاريخيـة، جامعـة دمـشق، العددان117-118، كانون الثاني، حزيران، 2013، ص299.

(4) رجب محمد عبدالحليم: انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، ص15-16.

(5) ابن الأثير: الكامل، ج12، ص233- 234.

(6) ارمينيا: كانت مملكة مسيحية في بلاد القوقاز وقعت تحت السيطرة المغولية خلال عامي (1235-1236م/ 632-633هـ) وأصبحت محمية مغولية ولكن مـا لبثـت أن أصـبحت موقـع خـلاف بـين ايلخانيـة إيـران والقبيلة الذهبية، أما الأن فهي إحدي الجمهوريات المستقلة عن الاتحاد السوفيتي يحدها مـن الجنـوب والغرب إيران وتركيا ويعيش بها خليط من الروس والترك والجورجيين وغيرهم، انظر:
(W .G. Moore, the Penguin Encyclopedia of Places, 2ed, Benguin Books, 1978, p.5; Buell, Historical Dictionary, p.109).

(7) جورجيا: إحدي الممالك المسيحية بمنطقة القوقاز، عُرفت في المصادر الإسلامية باسم الكرج تعرضـت للغـزو المغولي الأول فيما بين عامي (1220-1222م/616-618هـ)، لكنها لم تخضع للحكم المغولي إلا بعـد الغـزو الثاني الذي دمرها فيما بين عامي (1235-1236م/632-633هـ)، وبعد هذا الغزو دفعت جورجيا الجزيـة للمغول كما عانت من التدخل المغولي الكبير في شؤونها الداخلية، انظـر:(الحمـوي: معجـم البلـدان، ج7، ص230 ؛ .(Buell, Historical Dictionary,p.155).

والقرم[1] وما يُعرف اليوم بإقليم أوكرانيا، ولم يكد ينتصف القرن التاسع الهجري/الثالث عشر ميلادي حتى كانت جيوش المغول قد استولت على فارس ومعظم أجزاء روسيا وأطراف أوروبا[2]، و نتج عن هذا الزحف الكاسح الذي قام به المغول عدة أمور:

أولها: خراب البلاد التي مر بها جنكيز خان وأولاده من بعده، فقد "أساءالمغول خلال فتوحاتهم إلي المجتمع الإنساني فعطلوا حضارته"[3]، "وقضوا بكل أسفٍ على الحياة الثقافية والعلمية في آسيا الوسطي"[4]وكادوا أن يقضوا على الجنس البشري بأسره، فحروبهم صُحبت دائماً بالمجازر البشرية وجرائم الإبادة الجماعية[5].

ثانيها: قيام إمبراطورية مغوليه ضخمة شملت معظم أنحاء آسيا.

ثالثها: تَنَافُس كلٍ من (البوذية والمسيحية والإسلام) على اجتذاب هؤلاءِ الغزاة الجدد[6]، وهو الأمر الذي انتهي بانتصار الإسلام في هذه المنافسة، التي مثل إسلام (بركة خان) باكورة انتصاراتها.

---

(1) القرم:شبه جزيرة بارزة خارج البحر الأسود جنوب اوكرانيا، تتصل باليابسة عن طريق برزخ ضيق لا تتجاوز سعته 8كيلو متر، سيطرت عليها قبائل القفجاق في عام638هـ/ 1239م، ثم انتقلت إلي سلطة مغول القفجاق، – انظر:

(Barthold, W, Kirim, -in- “Encyclopedia of Islam (khe- mahi)” ,Brill archive, 1986, vol,v ,P.136).

(2) زبيدة عطا: بلاد الترك في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، ص130؛

Shirin Akiner, Religious Language of Belarusian tatar kitab: A culture Monument of Islam in Europe, Series: Mediterranean Language and Culture Monograph, Harrassowitz Verlag, Wiesbaden, 2009, VOl, 11, p.16.

(3) عكاشة: إعصار من الشرق، ص218.

(4) فامبري: تاريخ بخاري، ص180.

(5) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطي، ترجمة: احمد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996م، ص183.

(6) رجب عبدالحليم: انتشار الإسلام، ص22.

ويتضح من العرض السابق مقدار الدراماتيكية التي تحول بها المغول مـن قبيلـة لا يعرفهـا أحد إلي إمبراطورية غازية ضخمه غزت البلاد شرقاً وغرباً، نال المـسلمون والعـالم الإسـلامي مـن شرها النصيب الأكبر،ليأتي بعد ذلك المنعطف الأكثر غرابـة والمتمثـل في تحـول هـؤلاء الغـزاة إلي الإسلام والدفاع عنه.

الفصل الأول

السنوات الأولي من حياة بركة خان

نشأ بركة خان في بيئة مغولية تقليدية يدين أفرادها بالوثنية، وقد أدي بركة خان المهام الدبلوماسية والحربية الموكلة إليه بصفته واحداً من كبار أمراء البيت الجينكيزي على أكمل وجه، لكن رغم تلك النشأة الوثنية والإنخراط في أعمال الأسرة فقد تحول بركة خان إلي الإسلام في وقت مبكر ليبدأ بهذا فصل جديد من حياة هذا الأمير المغولي.

- بركة خان[1]:

هو بركة ابن جوجي بن جنكيز خان603-665هـ/1207- 1266 أو 1267م[2]، لُقب بعد إسلامه ب (أبو المعالي ناصر الدين)[3]، وهو ثالث خانات القفجاق، وأول من أسلم من بيت "جنكيز خان"[4].

وما لدينا عن السنوات الأولي من حياة بركة خان، أقل من القليل، من ذلك ما أورده الجوزجاني، بأن ميلاد بركة خان كان ببلاد الصين والقفجاق، أثناء مشاركة أبيه جوجي في حملات الغزو المغولي للبلدان الإسلامية كبلغار وخوارزم وغيرهما[5]، وتبعاً لتلك الرواية يكون بركة خان قد ولد ما بين عامي 616- 617هـ /1219-1220م، لأن حملات الغزو

---

(1) كلمة خان عندهم معناها السلطان، انظر: (محمد بن عبدالله بن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط1، المطبعة الخيرية، مصر، 1322هـ ج1، ص251).

(2) I. Vásáry, "Berke b. Jochi Khān". In: The Encyclopaedia of Islam , 3 Ed, by Kate Fleet,others, Leiden , Boston: Brill ,2015, p.44.

(3) ابن خلدون: العبر، ج5، ص227؛ أبي العباس أحمد القلقشندي: صبح الأعشي في صناعة الإنشا، المطبعة الاميرية، القاهره، 1332هـ-1914م، ج4، ص474 ؛ المقريزي: السلوك، ج1، ص486.

(4) ارنولد: الدعوة إلي الإسلام، ص258-259.

(5) طبقات ناصري، ترجمة: ملكة علي، المركز القومي للترجمة، د.ت، ج2، ص226.

المغولي تلك قد بدأت في عـام 616هــ/1219م، و اسـتمرت حتـي عـام 620هــ/1223م[1]، لكـن جوجي والد بركة، لم يستمر في تلك الحمـلات، وعـاد مـسرعاً إلي بـلاد القفجـاق في عـام 617هــ /1220م[2]، و ربما يرجـع سـبب تلـك العـودة المبكـرة لجـوجي، إلي خلافـه مـع أخويـه جغتـاي واوكتاي، بشأن جرجانية [3]التي منحه إياها جنكيز خان، و أراد جوجي أن يحفظها مـن الـدمار، وطلب من أخويه جغتاي، واوكتاي عدم تخريبها، لكنهم تجاهلوا رغبته تلـك، و قتلـوا الـسكان، ثم فتحوا سد جيحون وأغرقو المدينة، فزالت من الوجود مدينة كانت من أعظـم مـدن عـصرها اتساعاً، وعمراناً، وحضارة[4].

وبالعودة لرواية الجوزجاني عن مولد بركة خـان، نجـد أنهـا لا تتفـق مـع أورده الجوزجـاني نفسه بعد ذلك، من أن جـوجي قـد أمـر حـين بلـغ بركـة سـن البلـوغ، بانتقـال جميـع الجنـود المسلمين من جيشه إلي معسكر بركة، فإذا علمنا أن جوجي قـد تـوفي عـام 624هــ/1227م، أي كان بركة وفقاً لرواية الجوزجاني المتعلقة بمولده، في الـسابعة أو الثامنـة مـن عمـره حينهـا، فـلا يُعقل أنه قد وصل سن البلوغ وجوجي على قيد الحياة، كما تتعارض تلك الروايـة أيـضاً مـع مـا أورده نفس المؤرخ في موضع آخر، و ذَكَرَه مؤرخون أخرون من أن بركة خان قد اشـترك في إدارة شئون الإمبراطورية مع أخيه باتو بعد وفاة والدهما[5]، فلا يُعقل أيضاً أن يشترك صبي في الثامنة من عمـره في إدارة شـئون قريـة نائيـة في أقـاصي الأرض، فمابالنـا بإمبراطوريـة ضـخمة كخانيـة القفجاق.

---

(1) الصياد: المغول، ص112-136.

(2) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص362.

(3) جرجانية: عاصمة خوارزم ويقال لها كركانج، تقع على الجانب الغربي لنهرجيحون(اموادريا)، (انظر: عفاف صبرة: التاريخ السياسي، ص9).

(4) الصياد: المغول، ص126-127؛ عفاف صبرة، التاريخ السياسي، ص198؛ علاء محمود قداوي- رغد عبدالكريم النجار – إمبراطورية المغول(دراسة في تكوينها وصراع الأسرة الحاكمة على منـصب الخـان الأعظـم-مجلـة آداب الرافدين- العدد-59-1432هـ-2011م، ص241.

(5) طبقات ناصري، 226؛ بارتولد: تاريخ الترك، ص 192.

لذا فالباحثة تميل إلي القول بميلاد بركة خان عام 603هـ/1207م[1]، وهو ما يتفق مع ما أورده السفراءُ المصريون الذين وصلوا إلي بلاط بركة خان عام 661هـ /1262م، وذكروا أن بركة خان كان يبلغ من العمر حينها ستاً وخمسون سنة[2].

وقد نشأ بركة خان، وسط الكثير من الإخوة، قُدر عددهم بسته إخوه، وقيل بل ثلاثة عشر أخ، حيث تزوج أبوه جوجي، العديد من النساء، وذلك جرياً على عادة المغول في الزواج بمن شاءوا دون التقيد بعدد محدد من النساء، ومن أشهر زوجاته كانت (surtak) سورتاق خاتون، ابنة زعيم إحدي القبائل المغولية، والتي أنجبت له ابنه الأكبر (أوردا)،و (sultan) سلطان خاتون والدة بركة خان، و التي أنجبت له أيضاً (باتو[3]- بركجار-بيور أو توكاتيمور -الذي أسلم و أسمي نفسه محمداً)[4]، كما ذكر ابن خلدون أن جوجي قد تزوج من رسالة بنت خوارزمشاة[5] بعد وقوعها في الأسر المغولي[6].

و قد توفي جوجي والد بركة عام 624هـ/1227م، و تضاربت الأقوال في كيفية موته، ما بين قائل بأن جنكيز خان قد حزن لوفاة ابنه الأكبر جوجي، ومات بعده بستة أشهر[7]، إلي

---

(1) Vásáry, "Berke b. Jochi Khān",p.44.

(2) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص438

(3) باتو: هو باتو خان بن جوجي خان، تولي عرش خانية القفجاق بعد وفاة أبيه جوجي، واتسعت الدوله كثيراً في عهدهـ ففتح بقايا بلاد القفجاق وبلاد بلغار وروسيا وغيرهم من البلاد، و بني أول مدينة يقال لها سراي واتخذها عاصمة له، كان صاحب السلطة العليا في البيت الجينكيزي، ورغم أنه كان وثنياً على ديانة أبائه الا أنه كان متسامحاً مع أصحاب الديانات الأخري، توفي عام 653هـ-1256/1255م، انظر: (الرمزي: تلفيق الأخبار، ص401-402؛ الترمانني، أحداث التاريخ، ج3، ص943)

(4) Juzjani , Tabakat –I –Nasiri, translated from Persian by H. G. Raverty , Oriental Book , New Delhi, 1970 ,vol ,2, p, 1102. ; Howorth, History of the Mongol, p. 103.

(5) خوارزمشاه: هو السلطان محمد الثاني، حكم إمبرارطوريةخوارزم منذ عام 597-618هـ/1200-1221م، غزا المغول بقيادة جنكيز خان مملكتهـ واستولوا عليها، وهرب هو إلي إحدي جزر بحر قزوين وتوفي بها، انظر: (Buell,Historical Dictionary ,p.19)

(6) العبر، ج5، ص529.

(7) الصياد: المغول، ص138 ؛ عكاشه، إعصار من الشرق، ص237.

قائل بأن جنكيز خان كان يُسئ الظن بجوجي، ويشك في صحة نسبه إليه[1]، ويُؤِّول تصرفاته تأويلاً سيئاً، لذا عندما عاد جنكيز خان إلي منغوليا بعد فراغه من غزو خوارزم، أرسل إلي ابنه جوجي يستدعيه أكثر من مرة، لكن جوجي كان يعتذر عن الحضور بدعوي المرض، وأنه لن يستطيع تحمل مشقة السفر من بلاد القفجاق إلي منغوليا، وتصادف امتناع جوجي عن الحضور وتعلله بالمرض مع قدوم شخص مغولي من بلاد القفجاق إلي بلاط جنكيز خان، وأخبره أن جوجي في صحة جيدة، يمضي وقته في الصيد، فغضب جنكيز خان و أرسل ولديه جغتاي واوكتاي، على رأس جيش، لمعاقبة جوجي والقضاء عليه، ولكنهما علما بوفاته، قبل أن يصلا إليه[2].

وتعقيباً على هذه الرواية يقول الهمذاني: إن جنكيز خان قد اكتشف بعد وفاة جوجي، أن رواية هذا المغولي كانت كذباً وافتراء، فحزن واغتم ومات بعده بستة أشهر[3]، بيد أن هناك قولاً آخر يقول، بأن جوجي كان أرق عاطفة من أبيه، لذلك شعر بالغضب من وحشية جنكيزخان، ومن المجازر التي ارتكبها بحق البشرية، لدرجة أنه قرر الانضمام إلي المسلمين، والتحالف مع السلطان محمد خوارزمشاه ضد جنكيز خان، لكن أخوه جغتاي علم بالأمر، وأخبر جنكيز خان، الذي دس له السم سراً[4].

وتميل الباحثة إلي ترجيح الرواية الأولي، القائلة بوفاة جوجي وفاة طبيعية، فمن غير المنطقي أن يشك جنكيز خان ببنوته لجوجي ويُبقي على حياته كل هذه السنوات، وكذلك من غير المعقول أن يُخطط جوجي لقتل أبيه بالتعاون مع السلطان محمد خوارزمشاه (597-618هـ/1200-1221م)، حيث أن السلطان محمد قد توفي في إحدي جزر بحر

(1) يقال أن جنكيز خان كان يشك ببنوته لجوجي لأن زوجته بورته خاتون قد اختُطفت على يد قبائل الماركيت وأنجبت جوجي في طريق عودتها من الأسر أو بعد عودتها -انظر:
(Juzjani , Tabakat -I -Nasiri , p.1102)

(2) الهمذاني: جامع التواريخ، تاريخ خلفاء جنكيز خان من أوكتاي قان إلي تيمور قان، ص39، www.alwaraq.net ؛ الصياد: المغول، ص138.

(3) تاريخ خلفاء جنكيز خان، ص39.

(4) الترمانني: احداث التاريخ، ص799؛Juzjani,tabqat,p.1102

قزوين عام 618هـ/1221م)، أي قبل وفاة جوجي بستة أعوام [1]، كما أن جوجي قد شارك بجيشه في غزو بلاد ما وراء النهر، وشارك كذلك مع أخويه جغتاي و اوكتاي في غزو خوارزم[2].

وقُسّمت مملكة جوجي بعد وفاته بين ولديه الكبار (اوردا) و (باتو)، المؤسس الحقيقي، مع أخيه بركة لخانية القفجاق[3].

- قيام خانية القفجاق:

رأي جنكيزخان أن أفضل وسيلة، لتدريب أبنائه على إدارة شئون الدولة، هي تقسيم إمبراطوريته الواسعة بينهم وهو على قيد الحياة[4]، وذلك تطبيقاً للمبدأ المتبع، لدي الشعوب البدوية، والذي يقضي بأن ما يتم فتحه من بلدان وأقاليم، لا يُعد ملكية خاصة للحاكم، بل هو ملك لسائر أفراد الأسرة الحاكمة، والتي يحق لكل فردٍ من أفرادها، أن يختص بعدد من القبائل، وأن يحوز على إقطاع يضم مساحة من الأراضي، لتمارس فيها هذه القبائل حرفة الرعي[5]، وأن يُعين له من الخراج ما يكفي للإنفاق على بلاطه وجنوده، و كان يتم جمع هذا الخراج من البلدان المحتلة، في الصين وتركستان، وغيرهما[6]، وبما أن المغول بصفة عامة كانوا يُنجبون الكثير من الأبناء، فكذلك كان لجنكيز خان أبناء كُثر، لو قُسمت المملكة بينهم لصارت دويلات صغيره، لذا جاء القانون المغولي ليحل تلك المعضلة، فجعل المُستحِق للُملك من أبناء الحاكم، هم أبناؤه من زوجته الأولي، ووفقاً لهذا القانون قسم جنكيزخان مملكته بين أبنائه الأربعة الكبار: جوجي، وجغتاي، وتولوي، وأوكتاي[7].

---

(1) Buell,Historical Dictionary ,p.199.

(2) الصياد: المغول، ص126.

(3)Vasary, Berek , In: “The Encyclopaedia of Islam”, p.46.

(4) الصياد: المرجع السابق، ص164.

(5) المرجع نفسه، ص164.

(6) المرجع نفسه، ص164.

(7) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص358؛ رزق الله منقريوس الصرفي :تاريخ دول الإسلام، مطبعة الهلال، مصر، 1329هـ - 1908م، ج3، ص269، انظر أيضاً: (ملحق رقم(1)، ص216).

فكان نصيب جوجي الابن الأكبر، إقليم خوارزم وصحراء القفجاق ومـايتم فتحـه بعـد ذلك من جهة الغرب، وبما أن جوجي قد توفي في حياة أبيه، فقد قرر جنكيز خان أن تـؤول مملكة جـوجي إلي ذريتـه[1]، لـذا اسـتدعي ابنـي جـوجي الكبـار، أوردا، وبـاتو، فعـزاهما، وأعطي باتو خركاها[2] أزرق، ولقبه (صاين خـان) أي الملـك الجيـد، وأعطـي أوردا خركاهـا أبيض، ولقبه ب (اقين خان) أي الملك المغير[3]،وقسم المملكـة بيـنهما، فحـصل (بـاتو) عـلى الجزء الغربي من المملكة، والذي عُرف باسم (كـوك أوردا) أي القبيلـة الزرقـاء، بيـنما أقـام (أوردا) في الجزء الشرقي من المملكة، حائزاً الأراضي الممتدة من نهـر أيـرتش[4] حتـي بحـر أورال[5]، والتي عُرفت باسم (اق أوردا) أي القبيلة البيضاء[6]، والتي خضعت في عهد (بركـة

---

(1) ابن خلدون: العبر، ص527؛ الرمزي:تلفيق الأخبار، ص358 ؛فامبري:تاريخ بخاري، ص179.

(2) الخركاه في اللغة المغولية: هـو الأوردا أي الخيمـة وأُطلـق بعـد ذلـك عـلى المعـسكر وقيـل لكـل معـسكر كبير:أوردا أو اوردو، انظر: (سهيل طقوش: تاريخ مغـول القبيلـة الذهبيـة والهنـد، دار النفـائس، لبنـان، ب.ت، ص17).

(3) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص365.

(4) نهر اريتش: بالقزخية"ertis" وبالـصينية "pinyin " وبالإنجليزيـة " Irtysh" مـن أهـم روافـد نهـر اوب و يشكلان معاً سابع أطول أنهار العالم، و يبلغ طوله "4.248 كم" "2.640 ميل " يجري عـبر الـصين وروسـيا حتى يلتقي نهر اوب في سيبيريا، انظر:
(John .P. Rafferty, the Living Earth: Rivers and Streams, Britannica Educational Publishing, 2011, p.223).

(5) بحرالاورال: يقع في وسط آسيا مابين كازاخستان وأوزبكستان ويحتل المرتبة الرابعة كأكبر بحار العالم لكنه بدأ في الانكماش منذ ستينات القرن العشرين وذلك عنـدما حـول الاتحـاد الـسوفيتي الـسابق ميـاه نهـر اموداريا وسيرداريا(جيحون وسيحون) لري محاصيل القطن في أوزبكستان وكازاخستان فقلص هذا الفعل مـن مـساحته وجعلـه يفقـد الكثـير مـن مياهـه ويـستمد بحـر الاورال مياهـه مـن نهـري امودريـا وسيرداريا(جيحون وسيحون) وهو بحر مغلق وليس هناك من تصريف لمياهه سوي عبر التبخر –انظر:
(Aleksey N .Kosarev ,Andry G. Kostianoy ,the Oral Sea Environment ,Springer Press, Berlin ,2010 ,vol,7 ,p.2; Jens Treffner ,Vincent Mioc, Kai Wegerich ,International River Basins, Aral Sea (Amu darya and Syr darya) , in ”the Politics of Water Survery” ,1ed ,Rutledge,London and Newyork ,2010 ,p.323).

(6) اطلق الروس في بعض الأحيان اسم القبيلة الزرقاء على القسم الشرقي مـن خانيـة القفجـاق، أو ممتلكـات أوردا وذلك لأنها كانت مجاورة لبحر الاورال المسمي بالبحر الازرق – انظر:
(Howorth, the Mongol History,p.216).

خان) لرئاسة مغول القفجاق (خضوع شكلي) ما لبث أن تحول إلي خضوع فعلي في أواخر القرن الرابع عشر،وأصبحت أراضي القبيلة البيضاء جزءاً من خانية القفجاق[1].

وبينما حصل باتو و اوردا على الحصة الأكبر من الأراضي، حصل الابن الأصغر لجوجي، واسمه (شِيبان)[2]، على الأراضي الواقعة بين مملكة" باتو "، ومملكة "أوردا"، والمشتملة على الأراضي القريبة من منخفض أموداريا(جيحون)[3]، وقد ظلت ممتلكات شيبان في أيدي خلفائه حتي القرن الخامس عشر[4] .

أما الابن الثاني لجنكيز خان "جغتاي" فحاز على بلاد الايغور[5]، وكاشغر[6]، وبلخ، وغزنَه[7]، وأقاليم ماوراء النهر[8].

---

(1) Richard Scott ,Eternal Empire ,the Ottomans at War ,Osprey Publishing ,2008,vol,6, p.15 ; David Sneath, the Headless State, Aristocratic Orders ,Kinship Society and Misrepresentations of Nomadic Inner Asia, Columbia University Press,New York, 2007,p.31; Buell, Historical Dictionary, p.122 -283.

(2) شيِبان: بكسر الشين، وعندما نُقل إلي العربية حُرف، فأصبح شَيبان بالفتح –وكان ذلك سبباً في أن يُسمي أحد أحفاده في اوائل القرن السادس عشر(بالشيباني)، وهذا الحفيد هو مؤسس دولة الأوزبك في تركستان، انظر:بارتولد: تاريخ الترك، ص185.

(3) نهر اموداريا: نهر كبير بوسط آسيا طوله "2.540" وهو ثاني أكبر نهر في افغانستان كما أنه يمر بإيران وقيرغستان وطاجكيستان وتركمانستان وأوزبكستان ويصب هو ونهر سيرداريا -والمعروفان في المصادر العربية باسم نهري جيحون وسيحون في بحر الاورال – انظر:

(William Byrd, et.al, Economic Cooperation in the Wider Central Asia Region, world Bank Working Paper no .75, 1ed, the World BankPublishing ,Washington, 2006, p .27).

(4) بارتولد: تاريخ الترك،، ص186.

(5) الاويغور: أحد شعوب الترك، سكنوا منطقة كانسو التي تقع شرق تركستان-انظر: (محمود شاكر: التاريخ الإسلامي "العهدالإسلامي"، ط4، المكتب الإسلامي، 1421هـ-2000م، ج8، ص378).

(6) كاشغر: كانت واحدة من اشهر مدن تركستان الشرقية وأهمها، وهي الأن جزء من الصين الشعبية، وذلك بعدما اجتاحت القوات الصينية تركستان الشرقية في عام1949م واحتلتها وأصبحت مقاطعة صينية اسمها سيكيانج أي المستعمرة الجديدة–انظر:

George Michell,Marika Vicziany and Tsui Yen hu , Kashgar: Asis City on China's old Silk Road, Frances Lincoln publishers ,2008, p. 11; .Barthold &B.Spuler ,Kashghar,in" Historic Cities of the Islamic World",Brill,2007,p.278).

(7) بلخ: كانت من أعظم مدن إقليم خراسان، أما غزنة فكانت أيضاً مدينة عظيمة تقع على الحدود بين خراسان والهند، واليوم بلخ وغزنة ضمن مدن افغانستان، لمزيد من التفاصيل انظر:(الحموي: معجم البلدان، ج2، ص263، ج6، ص289؛

(C.E.Bosworth Ghazni,in"HistoricCities of the Islamic World", p.146; Paul Clammer, Afghanistan, LonelyPanet, 2007, p.155).

(8) ابن خلدون: العبر، ص527؛ الصياد: المغول، ص165.

ونال "تولوي" الابن الرابع بلاد خراسان وفارس، وما يتم فتحه من ديار بكر والعـراق، وهـو ما ضم إليه هولاكو فيما بعد جزءاً ضخماً، من أراضي آسيا الصغري[1].

واختص" اوكتاي" ولي العهد، والذي اعتلي عرش المغول بعد وفاة جنكيزخـان بـبلاد الـصين ومنغوليا، وما يتم فتحه مستقبلاً من جهة الشرق [2].

- مشاركة بركة خان في تنصيب أوكتاي قان(626-639هـ/1229-1241م)[3]:

رغم أن وصية القان المتوفي تؤخذ بعـين الاعتبـار مـن قبـل المغـول، إلا أنهـا لم تكـن مُلزمـة ولا واجبة التنفيذ إلا بموافقة جميع أمراء البيت الجينكيزي [4]، لذلك فرغم تعيين جنكيز خـان، لأوكتـاي ولياً للعهد، إلا أنه لم يتسلم مهام منصبه، إلا بعد عامين624-226هـ/1227-1229م من وفاة جنكيـز خان، تولي خلالهما" تولوي" إدارة شـئون الدولـة، بـصفته وصـياً عـلى العـرش[5]، الـذي آل في وقـت لاحق إلي أوكتاي قان،الذي انتُخب قاناً أعظم للمغول عام 626هـ/1229م، وذلك أثناء القوريلتـاي[6] المنعقد بمنغوليا، والذي حضره كبار أُمراء البيت الجنكيزي، بما فيهم، باتو، وبركة، اللذان اشـتركا معـاً في إدارة شـئون الدولـة، ومـن أجـل ذلـك سـافرا معـاً إلي منغوليـا [7]، واجتمـع الجميـع في الربيـع،

(1) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص358؛ ارنولد: الدعوة إلي الإسلام، ص 251.

(2) القلقشندي: صبح الأعشي، ج4، ص308؛ الرمزي: تلفيق الأخبار، ص358؛ فمبري: تاريخ بخاري، ص179.

(3) الصياد: المغول، ص163.

(4) بارتولد: تاريخ الترك، ص204.

(5) الصياد: المغول، ص165.

(6) القوريلتاي: مجلس شوري المغول، انظر: (فمبري: تاريخ بخاري، ص179).

(7) لمزيد من التفاصيل انظر: (ابن العبري: تأريخ الدول، ب.ن، ص427؛ بارتولد: تاريخ الترك، ص192).

وشرعوا في تنفيذ ما وصي به جنكيز خـان، مـن إسـناد شـئون الإمبراطوريـة إلي أوكتـاي[1]، الـذي اعتذر في البداية، بدعوي أن أخاه تولوي هو أجدر منه بهذا المنصب، لأنـه الأخ الأصـغر، وطبقـاً لقوانين المغول، يحصل الابن الأصغر على الموطن الأصلي للمغول، لكن جنكيز خان، خالف هـذه القاعدة وعهد بإدارة شؤون الإمبراطورية إلي ابنه الثالث أوكتاي[2].

و ترى الباحثة أن أوكتاي ربما هدف من عدم القبـول الفـوري للمنـصب الموكـل إليـه، إلي التأكد من عدم وجود معارضة له، خاصةً وأنه كان هناك دائماً معـسكر مغـولي محـافظ، داخـل البيت الجنكيزي، يميل إلي التمسك بالعادات والتقاليد المتوارثة، بغـض النظـر عـن أي اعتبـارات أخري، وربما أعرب هذا المعسكر بصراحةعن رغبته في التقيد بالقوانين وتنصيب تولوي، واياً كان الدافع وراء امتناع أوكتاي، وتأخر مشاورات انتخابه أربعين يوماً، فقد تم انتخابـه أخـيراً بمباركـة جميع الأمراء[3]، وقام أوكتاي بتوزيع الهدايا والأموال، على الأهـل و الأقـارب، كـما أمـر بتقـديم الطعام للعامة لمدة ثلاثة أيام، وقام الأُمراء باختيار أربعين فتاة من بناتهن، الأبكار الجمـيلات، و زينوهن بالجواهر، والملابس الفاخرة وقدموهن كهدايا للقان[4]. وترى الباحثـة أن الأُمـراء وكبـار رجال الأسرة الجينكيزية ربما هدفوا من وراء تقديم بناتهن للقـان للحـصول عـلى الحظـوة، وأن تصبح بناتهن عيون لهم في البلاط الإمبراطوري.

هـذا وقداتـصف أوكتـاي قـان بالحكمـة، وحـسن التـصرف، والتـسامح الـديني، فـنعم المسلمون في عهده بحرية التنقـل، وممارسـة شـعائرهم[5]، كـما أولي اهتمامـاً كبـيراً باسـتكمال

---

(1) ابن العبري، تأريخ الدول، ص427.

(2) العبري: تأريخ الدول، ص428؛ الصياد: المغول، ص166؛ لعل ما دفع جنكيز خان للخروج عن هذه القاعدة، هو أنه كان يري أن جوشي ليس قائداً عسكرياً ناجحاً، وجغتاي حاد المزاج، بيـنما اتـصف أوكتـاي بالـصبر والقدرة على معالجة الأمور بحكمة، في الوقت الذي كان فيه تولـوي محبـاً للهـو، انظـر: (سـعيد عمـران: المغول وأوروبا، دار المعرفة الجامعية، ب.ت، ص42).

(3) العبري: تأريخ الدول، ص428 ؛ الصياد، المغول، ص166.

(4) العبري: تأريخ الدول، ص 428؛ الصياد: المغول، ص167.

(5) عمران: المغول وأوروبا، ص42؛ Juzjani ,Tabakat , p. 1106

الغزوات التي بدأها جنكيز خان، فأمر في عام632هـ/ 1235م بتسيير جيوش المغول في اتجاهات عدَه، فانطلقت جيوشه نحو أقصي الشرق في كوريا والصين، وإلي أدناه في العراق وسوريا، ونحو روسيا وسواحل بحر البلطيق غرباً[1].

- **غزو روسيا والغرب:**

بعد أن أخضع جنكيز خان الدولة الخوارزمية[2]، اجتاز القائدان" جبه" و"سبوتاي"[3]، المنطقة الواقعة بين بحر قزوين والبحر الأسود، إلي بلاد القفجاق وروسيا، لكن لم تتيسر لهما الظروف للاستمرار في غزواتهما هناك، وبعد تولي اوكتاي قان الذي أراد استكمال تلك الغزوات[4]، أعدت حملة لغزو روسيا والغرب، أُسندت قيادتها إلي باتو خان، الذي تألف جيشه من حوالي خمسين ألف من المغول، شكلوا القوة الرئيسية للمجموعة التي غزت الغرب، فضلاً عن سبعين ألفا، من رجال القبائل التركمانية، الذين

---

(1) هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا، ص35؛ ول ديورانت: قصة الحضارة " عصر الإيمان"، ترجمة: محمد بدران، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001، م8، ج15، ص164

(2) لمزيد من التفاصيل عن الدولة الخوارزمية و سقوطها، انظر ص82.

(3) جبه: هو قائد مغولي رافق القائد الشهير سبوتاي خلال الغزو المغولي الأول للسهوب الروسية، كما شارك في مطاردة خوارزمشاه حتى وفاته بإحدي جزر بحر قزوين، وقد توفي جبه بعد هذه المطاردة بوقت قصير قبل أن يتمكن من تحقيق طموحاته كقائد عسكري ماهر، فبالإضافة إلي حروبه في الغرب، شارك جبه في الحروب المغولية ضد الصين، وصنع لنفسه اسماً مميزاً بهجومه الناجح على منشوريا، القائد سبوتاي: (1176-1248م)، كان لعائلته صلات طويلة الأمد مع عائلة جنكيز خان، ازدادت بانخراط سبوتاي في خدمة جنكيز خان، كمحارب فذ في البداية، ثم مالبث أن تدرج في الرتب حتى صار أول قائد لوحدة المئة(وحدة في الجيش مكونة من 100رجل)، ثم القائد العسكري لوحدة الآلف، وبعد أن تسلطن جنكيز خان، أسند إلي سبوتاي مهمة تعقب الفارين من قبائل الماركيت واخضاعهم، كما شارك في هجوم جنكيز خان على الصين، وتركستان، وبعد وفاة جنكيز خان، أَسند إليه أوكتاي قان مهمة فتح روسيا وأوروبا الشرقية إلي جانب باتو خان، انظر:

(Urgunge Onuon , the Secret History of the Mongols-the life and times of ghinggis khan ,routledge ,Curzon,London and Newyork,2001,p.263; Buell,HistoricalDictionary,pp.170-171,255,258).

(4) الصياد: المغول، 186؛ Buell, Mongol Dictionary,p.257

جندهم باتو من المناطق التي احتلها في جنوب روسيا عند بدء الحملة [1]، كما انضم تحت لوائة العديد من أمراء البيت الجنكيزي ك(بركة خان - وأخويه، شيبان و اوردا)، وكذلك مونكو القان المستقبلي، وابنان لاوكتاي قان هما (قادان، وجويك)، وابن جغطاي وحفيده، (بيدار، وبوري)[2]، حيث أصدر أوكتاي قان أمراً يُلزم أُمراء المقاطعات المغولية بإرسال أكبر أبنائهم للمشاركة في تلك الحملة، إلي جانب إرسال فرق حربية لمساعدة باتو، في حربه التي جري الإعداد لها جيداً بإرسال الكشافة والجواسيس للاستطلاع أولاً، وبلغت إجمالي قوة الجيش حوالي مائة وعشرون ألف رجل، انقسموا إلي أربع قوات[3]:

1- القوة الرئيسية: كانت تحت قيادة باتو، والقائد المغولي الشهير سبوتاي، تمكنت من الاستيلاء على المنطقة الواقعة بين جبال الاورال [4] وشبه جزيرة القرم، التي كانت موطناً للباشقرد[5] والبلغار، كما أوقعت هزيمة ساحقة بالأمراء الروس، و تمكنت من احتلال روسيا بأكملها، والتي ظلت خاضعة للحكم المغولي لمدة قرنين ونصف من الزمن 636هـ/886م[6] .

---

(1) هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا، ص36؛
Leo De Hartog,Genghis Khan Conquer of the World,Tauris Parke,2004,p.165.

(2) هلال:العلاقات بين المغول و أوروبا، ص، 35.

(3) Hartog ,Genghis Khan Conquer ,p.165, Ounun ,the Secret history,p.263.

(4) جبال الاورال: تصل بين قارتي آسيا وأوروبا، وتقع في دولتي روسيا وقيرغيزستان، تغطيها غابات كثيفه باستثناء الجزء الشمالي الصخري منها، انظر: (الموسوعة العربية الميسرة، ج1ص505)

(5) الباشقرد: بلادهم بين القسطنطيطنة وبلغار، ما يعني أنهم في (المجر–البوسنة والهرسك –الصرب)، وصفهم ابن فضلان "بإنهم أشر الترك وأقذرهم"، انظر:(رحلة ابن فضلان، ص107؛ الحموي:معجم البلدان، ج1ص38؛ أبو حامد محمد الغرناطي:رحلة الغرناطي تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ورحلة إلي أوروبة وآسية، تحقيق، قاسم وهب، ط1، دار السويدي والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، ابوظبي، بيروت، 2003، ص51).

(6) الصياد:المغول، ص187؛ Sneath , the Headless State , p.31

2- القوه الثانية: تحت قيادة (شيبان، وبوري، وجويك) اتجهت إلي القرم ضد سكان موروم، وهي مدينة روسية استولي عليها البلغار عام552هـ/1155م ثم استولي عليها المغول مابين عامي 633-634هـ/1236-1237م[1].

3- القوة الثالثة: بقيادة "منكو"، توجهت نحو الجزء الشرقي من أراضي القفجاق، حيث قبض منكو بعد مطاردة عنيفة على أحد زعماء الكومان أو القفجاق واسمه "باشيمان"، وقتله بطريقة وحشيه، ودمر جيشه، ثم عاد وانضم إلي القوات المغولية المتواجدة في مدينة بلغار التي سقطت عام634هـ/ 1237م تلتها المدن الروسية الواحدة تلو الأخرى[2]، وفي خريف عام635هـ/ 1238م توجه منكو، وقادان، نحوالسركاسين "circassians"[3]، فاستوليا على أراضيهم وقتلوا زعيمهم "توكان" أو "موكان"، ثم اتجها بعد ذلك نحو أراضي "أوستيس ossetes" أو "as" أو "the alans"[4]فيما بين عامي635-636هـ/1238 -1239م[5].

4- القوة الرابعة: بقيادة بركة خان اتجهت نحو أراضي شمال القوقاز[6]، لاخضاع جزء آخر من أراضي القفجاق، الذين شكلوا مجموعة من القبائل البدوية التركية، التي عاشت في

---

(1) peter b. golden , the people of the Russian forest belt,in “the Cambridge history of early inner Asia” , cambridge university press,1994 , vol,1 , pp.239-242.

(2) Denis Sinor, The Mongols in the West, journal of Asian history, v.33 ,n.1 ,(1999), p.6.

(3) السركاسيين "circassians": سكنوا شمال بلاد القوقاز، وهم معروفون في العربية باسم الشراكسة وفي التركية باسم الجراكسة، ومن نسلهم اِنحدر المماليك الشراكسة في مصر و الإمبراطورية العثمانية والصفوية وأراضيهم اليوم جزء من روسيا الفيدرالية، كانوا يعتنقون المسيحية ثم تحول العديد منهم إلي الإسلام، انظر:

(Josef w. Meri, Medieval Islamic Civilization:an Encyclopedia, Routledge Taylor&Franci Publishing,Newyork,London,2006,vol,2,PP.155-156).

(4) الالانس مجموعة قبائل تنتمي للجنس الإيراني يتكلمون لغة شمال شرق إيران وهي فرع من اللغة الهندو أوروبيه ينحدر منهم حالياً الاوستيس في وسط القوقاز " جزء من روسيا وجورجيا"-انظر:

(Agusti Aleman,Sources on the alans a critical compilation , brill,2000,pp.1-2).

(5) Howorth , the History of the Mongol , pp. 103-104; Hartoge , Genghis khan , p .168.

(6) القوقاز: مستمدة من الكلمة اللاتينية "koukasos"وتعد منطقة القوقاز جسراً بين آسيا وأوروبا وتبلغ مساحتها مساحة استراليا وألمانيا معاً، يحدها بحر قزوين في الشرق، وبحر ازوف والبحر الأسود في الغرب، كما تنقسم إلي قسمين القوقاز الجنوبي، والقوقاز الشمالي والذي يسمي ب"قوسيقازيا"، ويضم جزر من روسيا ومنطقة شمال جورجيا وشمال اذربيجان، كما يحتوي على سهوب الفولجا والدون في روسيا – انظر:

(Fredrik Coene, the Caucasus- an Introduction, 1ed, Routledge, 2010, p p3-5).

سهوب غرب آسيا، وشرق أوروبـا، فـيما يُعـرف اليـوم بجنـوب روسـيا واوكرانيـا، وقـد ظهـر هـؤلاء القفجاق في القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي، وتحدثوا اللغة القفجاقية، التي تُعـد فرعـاً مـن اللغة التركية، و رغم تجانس القفجـاق لغويـاً وعرقيـاً، فقـد شـكلوا مجموعـة قبائـل مـستقلة عـن بعضها البعض، وإليهم نُسبت دولة مغول القفجاق [1]، التي أُقيمت في موطنهم الأصلي الواقع بـين الفولجا والدون[2]، وقد استهلك إخضاع هذه المنطقة بتضاريسها المختلفة، الكثير من وقـت المغـول وما لدينا في هذا الشأن قليل، لكننا نعلم أنه مابين عـامي635-636هــ/1238-1239م ألحـق بركـة خـان هزيمـة قاسـية برئيـسهم "kotiak" أو كوتـان، الـذي كـان يحكـم الجـزء الغـربي مـن أراضي القفجاق آنذاك، والذي اضطُر إلي الفرار أمام الزحـف المغـولي عـلى بـلاده، وأرسـل إلي بـيلا الرابـع "Bela iv" 632-668هـ/1235-1270م[3] ملك المجر يطلب منه اللجـوء لنفـسه ولـشعبه[4]، مقابـل

(1) CarlWaldman, Catherine Mason, Encyclopedia of European peoples, Facts on file Publishing, 2006, vol, 2 , p.475; Sinor, The Mongols in the West, p.8.

(2) الفولجا والدون نهران في روسيا، ونهر الفولجا هو اطول أنهار أوروبا، ,ويمتد من جنـوب لينغـراد، ويـستمر بالتدفق عبر العديد من المدن الروسية، حتى يصب في بحر قزوين، ويعد جزءًا هاما من الثقافة الروسية، بينما يقع نهر الدون في جنوب غرب روسيا، وتعد منطقة نهر الدون هي الموطن الأصلي للقوزاق، الـذين قاتلوا ضد كلاً من المغول، والقياصرة انظر:

(David.A. Law, Russian civilization, Ordent Media, 1975,p.14).

(3) بيلاالرابع(1206-1270م):تولي حكم المجر في الفـترة مـن 1235-1270م، هُـزم عـلى يـد المغـول في معركـة عنيفة جرت على ضفاف نهر ساجو عام 1241م، هرب بعدها بيلا إلي دالماشيا، وعندما عاد شرع في إعادة بناء مملكته وهي المهمة التي احتلت ماتبقي من فترة حكمه، لمزيد من التفاصيل انظر:

(Dusan Skvarana, et.al, Slovak History Chronology &Lexicon, translation by: David.P.Danial,1ed, Bolchazy, Carduccipublishers,inc,Wauconda, Illinois, 2002, p31-32; Miklos Molnar, Aconcise History of Hungary, English translated by: Anna Magyar,1ed, Cambridge university, 2001, p.34).

(4) Howroth ,the History of the mongol,pp,42-103; Sinor , The Mongols in the West ,p.8.

التحول إلي المسيحية، التي رفضوا اعتناقها في السابق، رغم ارتباطهم بمصاهرات مع الأمراء الروس، وقد قبل بيلا العرض بتشجيع من الدومينكيان، الذين رأوا في ذلك فرصة لتحقيق أمالهم القديمة، في تحويل شعب القفجاق إلي المسيحية، وفي يوم عيد الفصح عام 637هـ/1239م وصل كوتان إلي المجر، وتم تعميده[1]، وأقام هناك مع رعاياه القفجاقيين، ورغم انزعاج المجريين من هؤلاء القفجاقيين الذين تحولوا إلي لصوص، استمر بيلا في دعمه لكوتان، الذي اعترف بفضله، وأمده بجنوده القفجاقيين، ليكونوا عوناً له في مواجهة المغول، لكن النبلاء المجريين، الحانقين على بيلا لمصادرته الإقطاعات التي منحهم إياها والده، رأوا الوضع بشكلٍ مختلف، واعتبروا أن القفجاقيين مجرد داعمين للعرش ليس إلا، وأمام الغضب الشعبي المتصاعد، وضغط النبلاء اضطر بيلا إلي وضع كوتان تحت الإقامة الجبرية في العاصمة المجرية بودابست pudapest[2]، في هذه الأثناء وصل فريديرك دوق النمسا "Fredrik duk Austria" 628-644هـ/1230-1246م)[3] وصاحب الميول الاستعمارية والعدو الشخصي لبيلا مع قواته، وانضم إلي النبلاء الساخطين، وأخذ يُزكي بينهم نيران العداء للقفجاقيين، بينما استمر بيلا على موقفه الداعم لوجود القفجاقيين، باعتبارهم القوة الوحيدة، التي تبدي استعدادها لمؤازرته في مواجهة المغول، وأمام موقف بيلا، توجه فردريك مع مجموعة صغيرة من النبلاء إلي منزل كوتان، واشتبكوا مع حراسه القفجاقيين، واندلعت الاحتجاجات الشعبية ضد القفجاقيين، الذين

(1) Howroth ,the History of the Mongol,pp,42-103; Sinor , The Mongols in the West ,p.8.

(2) Skvarana, Slovak History Chronology ,p.31; Howroth, history of the mongol, p.147; Erik Hldinger , Warriors of the Steppe: a Military History of Central Asia (500b.c-to1700a.d),1ed , Da capo press, 2001, p.142.

(3) فريدريك الثاني: (1211-1249م) دوق النمسا، والمعروف باسم فريدريك المشاكس، كان دوق النمسا منذ عام 1230حتي 1246م، و الدوق النمساوي الأخير من بيت بابنبرج Babenbrg، قُتل في معركة ليزا Leitha، أمام الملك المجري بيلا الرابع ولم يخلف ورثة ذكور، انظر:

(Steven Beller, a Concise History of Austria, 1ed, Cambridge university press, 2006, p.23).

هربوا في غمرة الأحداث إلي بلغاريا، وبهذا خسر بيلا حليفًا جاهزاً لمواجهة المغول، الذين الحقوا به هزيمة ساحقة، في معركة موهي"Mohi" عام 639هـ/1241م[1].

وفي سياق حرب المغول على أوروبا، أشار ابن خلدون إلي وقوع معركة بين المغول، وبين القوات الألمانية، في عهد بركة خان فقال: " ثم بَعث بركة أيام سُلطانة أخيه طرطو إلي ناحية الغرب للجهاد وقتال ملك الألمان من الفرنج، فانهزم ورجع ومات أسفا " [2].

ومما هو معلوم أن بركة خان لم يعتل العرش إلا بعد وفاة باتو، كما اتفق الرمزي، ومتّي الباريسي وأخرون، على وقوع هذه الحرب المشار إليها في عهد الإمبراطور فردريك الثاني"Fredrik ii" 617-628هـ/1220-1250إمبراطور ألمانيا[3] والمتوفي عام628هـ/1250م، أي في عهد باتو[4]، وقبل تولي بركة خان الحكم، وما حدث في تلك الحملة هو أن ملوك أوروبا، قد تملكهم الرعبُ من الطوفان المغولي المتوجه نحو بلادهم[5]، وعلي رأسهم الإمبراطور فريدريك الثاني، الذي وصل المغول إلي حدود بلاده الشمالية، فأخذ يدعو ملوك أوروبا إلي الاتحاد والوقوف في وجه الزحف المغولي، لكن

---

(1) Skvarana, Slovak History Chronology, p,31: Warriors of the Steppe,p.142.

(2) العبر:ص534.

(3) فردريك الثاني: (1194-1250م) حكم الإمبراطورية الرومانية في الفترة الممتدة من (1220-1250م)، كان واسع الثقافة متسامح مع اليهود والمسلمين، معجباً بالثقافة الإسلامية، صديقاً للمسلمين، امتدت إمبراطوريته من الدنمارك حتى صقليهـ فشملت ما يعرف اليوم بألمانيا وهولندا والنمسا وبولندا وتيشكوسلوفاكيا وفرنسا، إيطاليا،، مالطا، قبرص، عقد صلحاً مع الملك الأيوبي الكامل، حصل بموجبه على بيت المقدس، وبيت لحم والناصرة، وتبنين وصيدا، وقد تميز عهده بالصراع مع البابوبة، وهو الأمر الذي أكسبة شهرة واسعة، لمزيد من التفاصيل انظر: (سعيد عبدالفتاح عاشور: الحركة الصليبية، ط9، مكتبة الأنجلو المصرية، ج2، ص249؛

David Abulafia: ,Frederick ii: Medieval Emperor, Oxford University Press, New York,1992, p. 2-3) .

(4) متي الباريسي: التاريخ الكبير، " الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية" "، تحقيق وترجمة: سهيل زكار، دمشق، 1422هـ-2001م، ج40، ص445؛ تلفيق الأخبار: ص377-379؛

Howorth, History of the Mongol,p.55.

(5) شاكر: التاريخ الإسلامي، ج7، ص139.

دون جدوي[1]، فقرر التحرك منفرداً، وحشد جيشاً من جميع أنحاء الإمبراطورية، أسند قيادته إلي ولديه كونراد وهنري، وأمرهم بالمسير لمواجهة المغول[2]، فالتقي الجيشان في عام 639هـ/ خريف 1241م بالقرب من مدينة ديفين "Devin"[3]، على نهر مورافا "morava"[4]، وانتهت تلك المعركة بهزيمة المغول[5]، وفي قول أخر فإن هذه الاشتباكات، لم تحدث أصلاً حيث تزامن هذا الحشد الألماني مع دعوة البابا جريجوري التاسع625-639هـ/ 1227-1241م[6]، لحملة صليبية ضد المغول، فتوالت التبرعات وتوافد المتطوعون إلي ألمانيا[7]، ولكن مرت اشهر دون حدوث أي اشتباكات مع المغول

---

(1) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص377 ؛ هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا، ص52.

(2) -متي الباريسي: التاريخ الكبير، ج40، ص445.

ذكر " Howorth " نقلاً عن "wolff"، بأن من قاد الحملة لم يكونا ابنا فريدريك وإنما أسقف كوستنز "costniz" وأسقف فريسنج "freisingen"-انظر:(History of the Mongol,p.55)

(3) ديفين: تقع على الحدود بين سلوفاكيا والنمسا، عند نقطة التقاء نهر الدانوب بنهر مورافا، ومن أهم معالمها قلعتها التاريخية، واليوم هي جزء من مدينة براتيسلافا عاصمة سلوفاكيا، انظر:

(Brad Olsen, Sacred Places Europe 108Destinations,1ed,Consortium of Collective Consciouseness publishing ,2007,p,139).

(4) نهر مورافا: هو واحد من أهم روافد نهر الدانوب، ويمثل الحدود بين جمهورية التشيك وسلوفاكيا، وبين سلوفاكيا والنمسا، انظر:

(Beter Roncak,Marcela Fabianova, Josef Drozd, Data Sharing between the Slovak and Czach Republics in the Morava River Basin, in" Protacting Danube River Basin Resources Ensuring Access to Water Quality Data and Information", NatoASeries, SpringerScience+BusinessMedia, 1997, vol, 24, p.173).

(5) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص379؛ شاكر: التاريخ الإسلامي، ص139؛

Howorth,History of the Mongol,p.55.

(6) البابا جريجوري التاسع: بابا روما مابين عامي(1227-1241م)، كان واحداً من أقوي باباوات أوروبا، دافع عن امتيازات الكرسي الرسولي، ونشب بينه وبين الإمبراطور فريدريك الثاني صراع عنيف، أدي إلي قيام البابا جريجوري بطرد فريدريك وحرمانه من رحمة الكنيسة مرتين(1227-1239م)، كما أقام البابا ديوان التفتيش الوسيطي عام 1231م، وكانت مهمته البحث في الهرطقات الدينية المنتشرة بين المسيحين، انظر: (منير بعلبكي، معجم أعلام المورد، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1992، ص299).

(7) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص377؛ هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا، ص52.

المتواجدين آنذاك في المجر، حيث رأي كونراد ابن فريدريك أن من الأفضل الانتظار، وعدم الذهاب لمواجهة المغول في المجر، وأثناء ذلك أرسل مندوبو البابوية الأوامر إلي المتطوعين في جيش كونراد، بالانسحاب والانتظار، لحين دعوتهم للمشاركة في حملة صليبية، ضد الإمبراطور فريدريك نفسه، الذي كانت قواته تحاصر روما، لإجبار البابا على إلغاء قرار الحرمان الصادر بحقه[1]، وسواء وقعت تلك المعركة أم لا، فالأمران لم يكن لهما أثر على مسرح الأحداث، فقد انسحب باتو من أوروبا عام639هـ/1242م عائداً إلى قراقورم بعد وصول الأخبار بوفاة اوكتاي قان عام 639هـ الموافق 11/سبتمبر1241م وبهذا نجت أوروبا من مصير مروع على أيدي المغول الذين توقفت فتوحاتهم باتجاه أوروبا[2].

حيث شرع باتو بعد تلك الحرب في تنظيم دولته، وسيراً على عادة المغول، في اسناد قيادة الجيوش المنفصلة إلي أكثر الأمراء كفاءة، ثم إقطاعهم المناطق التي فتحوها، فقد أعطي باتو منطقة شمال القوقاز، أو الجزء الغربي من أراضي القفجاق، لبركة، الذي أسر زعيم الميكرتيس[3]، و قام باخضاع السهول التي يرويها الكوما والتريك[4]، وأقام هناك

---

(1) هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا، ص52-53.

(2) Turnbull Stephen, Genghis khan and the Mongol Conquest1190-1400, Osprey publishing, p,55.

(3) ميكرتيس اسم قبيلة تركية عاشت على نهر السلينجاوهو نهر يمتد من منغوليا لروسيا ويسمون كريت أو مركيت " merkit "&"crit"- انظر:

(William Rubruck ,the Journey of William of Rubruck to the Eastern parts the world , translated from the Latin by William Woodville Rock Hill, Second series , the Hakluyt society , London , p.111).

(4) سهول الكوما والتريك والتي عرفت فيما بعد باسم سهوب نوغاي تشمل الأراضي المنخفضه الواقعة جنوب غرب منخفض قزوين في جنوب روسيا وجمهورية الشيشان وداغستان ومدينة "ستافروبول كراي الروسية"، وقد سميت هذه المنطقة باسم النهرين الرئيسيين فيها وهما الكوما والتريك، انظر:

(I. Zonn, et.al ,the Caspian Sea Encyclopedia,Springer,Berlin,2010, p, 400) .

حائزاً الأراضي والمراعي[1] الواقعة على الطريق الذي يمر به المسلمين، القادمين من فارس وتركيا، ذاهبين إلي بلاط باتو، وكان هؤلاء المارون يحضرون الهدايا لبركة، فانزعج باتو خان، من مرور المسلمين ببلاط بركة، وأمره بالانتقال من مكانه، إلي شرق الفولجا[2].

- مشاركة بركة خان في تنصيب كيوك قان (644-647هـ/1246-1249م)

بعد وفاة اوكتاي قان اشتعل الصراع على السلطة بين أمراء البيت الجينكيزي من جديد وعاشت الدولة المغولية فترة من التصدع قبل انتخاب القان الجديد.

وكان أوكتاي قان قد عين حفيده شيرمون ولياً للعهد، على الرغم من صغر سنه، لأنه كان الحفيد المفضل لديه، ويحبه أكثر من ابنائه بسبب إقامته معه وملازمته له[3]، وبعد وفاة اوكتاي قان، قرر المغول تعيين أرملته توراكنَه خاتون[4] وصية على العرش لحين انتخاب القان الجديد، وذلك جرياً على عادة المغول بتعيين وصي على العرش خلال الفترة الانتقالية، التي تفصل بين وفاة القان، وتنصيب القان الجديد[5]، ولكن عمت الانقسامات والفوضي البيت الجنكيزي، وانقسموا حول من يخلف أوكتاي قان إلي معسكرين، المعسكر الأول: بزعامة باتوخان رفض تولي شيرمون العرش لصغر سنه وانعدام كفاءته، بينما رأي المعسكر الثاني: ضرورة الالتزام بوصية القان المتوفي، وتنصيب شيرمون على عرش الإمبراطورية المغولية[6]، وأمام هذا الخلاف ظل منصب القان شاغراً لمدة خمس سنوات، حتي تم عقد القوريلتاي بمنغوليا عام 644هـ/1246م بحضور كبار أمراء البيت الجنكيزي، ماعدا باتو الذي اعتذر بمرضه، وأرسل أخاه بركة نيابة عنه[7]، وانتهت

---

(1) Howorth , History of the Mongols ,p.104; Hartog ,Genghis khan ,p.168.

(2) Journey of rubruck, p, 117; Robert kerr , General History and Collection of Voyages and Traveles, ,printed by George ramsay ,Edinburgh ,1811,vol, 1, p.195.

(3) الصياد: المغول، ص194؛قداوي: إمبراطورية المغول-ص252.

(4) توراكنة خاتون: كانت الزوجة الكبري، والمفضلة لأوكتاي قان، وأم اولاده الكبار، واشتهرت بالذكاء وحسن تدبير الأمور، انظر: (قداوي: إمبراطورية المغول، ص253).

(5) الصياد: المغول، ص194 ؛ بارتولد: تاريخ الترك، ص204.

(6) الصياد :المغول، ص194؛ قداوي: إمبراطورية المغول، ص254.

(7) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص390، الصياد: المغول، ص197؛

Howorth,History of the Mongol,p,114.

المشاورات في هذا القوريلتاي بتنصيب كيوك الابن الأكبر لاوكتاي قان، على عرش الدولة المغولية [1].

وقد عاني المسلمون في عهد كيوك هذا أشد أنواع الظلم والاضطهاد، فقد دانت أمه بالمسيحية، وعهدت بتربيته إلي أمير مسيحي، وفوّض هو وزيريه المسيحيين في إدارة شئون الدولة، كما امتلأ بلاطه بالرهبان، من آسيا الصغري وغيرها من البلدان، فكان طبيعياً أن يؤدي وقوعه تحت التأثير المسيحي لوالدته ووزيريه، وميله إلي المسيحية وعطفه عليها، إلي اضطهاد المسلمين نتيجة التحريض الدائم ضدهم من المسيحين المتواجدين في بلاطه[2] .

- مشاركة بركة خان في تنصيب منكوقان(648-655هـ/1251-1255م):

بوفاة كيوك قان عام 647هـ / 1249م خلا عرش القانية، فعرض المغول العرش على باتو خان وقالوا " لا يوجد أعظم منك بعد جنكيز خان، ملائماً لهذا العرش العظيم، فأجابهم بأنه هو وأخاه بركة، يملكان سلطة عظيمة، وإمبراطورية واسعة بالفعل"[3]، وعقب هذا الرفض عمت الاضطرابات السياسية بلاد المغول، وانقسم أمراء البيت الجنكيزي مرة أخري، حول من يخلف كيوك قان، و أراد بعض الأمراء تنصيب شيرمون ابن أخي كيوك قان، وذلك تنفيذاً للعهد الذي قطعوه على أنفسهم، بأن يبقي الحكم في سلالة كيوك قان، غير أن أغلب الأمراء، لم يوافقوا على شيرمون، لحداثة سنه وقلة خبرته، و رغبوا في تنصيب منكو بن تولوي، لما يتمتع به من صفات القائد الماهر والإداري الحازم[4]، ولمّا كان لابد من موافقة باتو على القان الجديد، باعتباره أكبر أُمراء بيت جنكيز خان سناً

---

(1) العبري: تأريخ الدول: ص449.

(2) الصياد: المغول، ص198.

(3) Juzjani ,tabakat , p, 1177.

(4) علاء الدين عطا ملك الجويني: تاريخ فاتح العالم جهانكشاي، ترجمة: محمد جمال الدين، تحقيق: محمد القزويني، ط1، المركز القومي للترجمة، 2015، ج3، ص41: الصياد: المغول، ص205

ومقاماً، فقد أرسل إليه الأمراء يطلبون منه الحضور إلي قراقورم لتنصيب القان الجديد، لكنه اعتذر بمرضه مرة أخري، وطلب منهم الحضور إليه وعقد القوريلتاي ببلاد القفجاق، فحضر بعض الأُمراء وعلي رأسهم منكوقان، بينما امتنع أُمراء بيت أوكتاي وجغتاي عن الحضور، وأنابوا عنهم بعض المندوبين، وظل الأُمراء يتشاورون أياماً، ثم فوضوا الأمر إلي باتو[1]، الذي دفع بمنكو الابن الأكبر لتولوي خان لكرسي الخاقانية، نظراً لما رآه فيه من صفات القائد المحنك والإداري الماهر، لكن أبناء وأحفاد جغطاي، واوكتاي رفضوا الاعتراف بهذا القرار، فأرسل باتو أخويه بركة وتكتويمر، مع فرقة عسكرية، لمرافقة منكوقان إلي مقر ملكه، وإجلاسه على العرش[2]، واستمر أمراء بيت جغتاي و اوكتاي، في رفضهم لتنصيب منكو، فأرسل إليهم باتو، الوسطاء مرة بعد أخري مناشداً إياهم عدم تمزيق الإمبراطورية، لكنهم استمروا في الرفض، و كتب بركة إلي أخيه باتو" أنه مر عامان منذ استدعاء أبناء أوكتاي وكيوك وجغتاي للحضور، ولم يحضروا ولن يحضروا، ومازالوا مصرين على الفتنة "[3]، فأرسل باتو إلي بركة تفويضاً بإجلاس منكو على العرش، دون مزيد من المناقشة، قائلاً: "إن هؤلاء الذين يصنعون المشاكل يجب أن يدفعوا حياتهم ثمناً لذلك" [4]، فاجتمع الأمراء المؤيدون لتنصيب منكو من بيت تولوي وسلالة جوجي، مع أبناء وإخوة جنكيز خان، وانضم إليهم أمراء بيت كيوك و اوكتاي وجغتاي، الذين حضروا خوفاً من القتل[5]، وعُقد القوريلتاي بحضور الجميع، وبرئاسة بركة خان، وتم تنصيب منكو قان في 9- ربيع الآخر 649هـ /أغسطس 1251م[6] .

---

(1) الجويني: جهانكشاي، ص36-38؛ العبري: تأريخ الدول، ص457؛ الصياد، المغول، ص207.

(2) ابن خلدون: العبر، ج5 ؛ ص529 .الرمزي: تلفيق الأخبار، ص392.

(3) Juzjani, tabakat.p, 1181 ; Jermiah Curtin ,the Mongol History , Little Brown , Boston ,1908 ,p. 319.

(4) Juzjani, tabakat.p.1181;Curtin, the Mongol History.p.319.

(5) الجويني: جهانكشاي، ج3، ص47؛ Curtin, Mongol history,p.320

(6) Curtin, the Mongol History, p,320.

وفي تنصيب منكوقان أورد الجوزجاني رواية مفادها: أن بركة خان المسلم قال عند تنصيب منكو قان على العرش، أن الدولة الوثنية قد انتهت، وأنه لن يسمح بتولي أي حاكم وثني عرش المملكة، و أنه يتوجب على منكو إن أراد تولي الحكم أن ينطق بالشهادة، و التي تعني تحوله إلي الإسلام، وأن منكو قد قبل بذلك ونطق الشهادة، فأخذه بركة من ذراعة، وأجلسه على كرسي المملكة[1] .

وترى الباحثة أن هذه الرواية تدحضها العديد من الحقائق، أولها قول raverty أنها لم ترد لدي أيٍّ من الكُتَّاب المسلمين الآخرين[2]، إضافة إلي توقيت إسلام بركة خان نفسه، والذي يرجح أنه تم بعد تنصيب منكو قان، كما أنه ليس من المنطقي، أن يفرض بركة خان الإسلام على القان الأعظم وفي حضور أمراء البيت الجنكيزي الوثنين، والذين لم يكونوا ليقبلوا بمثل هذا التصرف، فإذا أضيف إلي ذلك ما اشتهر به بركة خان من التسامح لأدركنا أن تصرفاً مماثلاً، لم يكن ليصدر من بركة خان حتي لو كان مسلماً عند تنصيب منكو قان، وربما ما أوقع الجوزجاني في هذه المبالغة هو تعصبه للإسلام.

وعقب انتهاء التنصيب دبر البعض مؤامرة، لاغتيال منكو قان، اشترك فيها ثلاثة من أحفاد أوكتاي قان هم: شيرمون، وتوتوق، وناقو، لكن تمكن منكو من احباط المؤامرة، وقام بالقبض على الأُمراء المتأمرين من بيت جغتاي وأوكتاي وأقام لهم المحاكمات، التي انتهت بإعدامهم، وبعد أن تخلص منكو من أعدائه، وأرسي دعائم ملكه، عاد بركة وأخوه تكتوبمر، محملين بهدايا رائعة لهم ولباتو[3]، وقيل أن بركة خان قد أسلم في طريق عودته من بلاط منكو.

---

(1) tabakat ,p.1181.

(2) JuzjanI, tabakat , p.1181.

(3) الجويني: جهانكشاي، ج3، ص78-56؛ دائرة المعارف الاسلامية، مطبعة الشعب، مجلد7 ص98؛ Curtin, mongol history,P,323.

- **إسلام بركة خان:**

للوقوف على أهمية ما يُمثله إسلامُ شخصٍ بحجم بركة خان، لابد من إلقاء نظرة موجزة على الشأن العالمي في عصره، و الشأن الإسلامي بصفة خاصة، حيث انقسم العالم آنذاك إلي قوتين رئيسيتين:

القوة الأولي: تمثلت في العالم الإسلامي الذي ضم مساحات شاسعة، ممثلة في الخلافة العباسية ببغداد، والدولة الأيوبية، في مصر، والشام، والحجاز، واليمن، ودولة الموحدين، بالمغرب، والأندلس، والغوريين في الهند، والإسماعيلية بفارس،وسلاجقة الروم بأسيا الصغري، ولكن هذا العالم الإسلامي الضخم، و الذي اقتربت مساحته من مساحة نصف المعمورة، كان يعاني في ذلك الوقت من الإنقسام والضعف[1].

وتمثلت القوة الثانية: في الصليبين، غرب أوروبا (انجلترا– فرنسا – ألمانيا – إيطاليا – إسبانيا – البرتغال)، و الذين كانوا في صراع مع القوي الإسلامية، وشنوا العديد من الحملات الصليبية على البلدان الإسلامية، إضافة إلي الإمبراطورية البيزنطية، و مملكة الكرج(أرمينيا حاليا)[2].

وبينما كان الوضع كذلك في العالم الإسلامي والصليبي، ظهر المغول على مسرح الأحداث، كقوة عظمي اجتاحت العالم من مشرقه إلي مغربه، وهو الأمر الذي أدي إلي تحول الصراع الإسلامي الصليبي، إلي منافسة لتحويل هؤلاء الغزاة الجدد إلي الإسلام والمسيحية، كما دخل بوذيو الصين في تلك المنافسة [3] التي انتهت بنجاح الإسلام في اجتذاب هؤلاء الغزاة قساة القلوب واعتناقهم الدين الإسلامي، في سابقة هي الأولي في التاريخ،حيث اعتنق المنتصرون ديانة الشعوب المنهزمة [4]،ويرجع نجاح الإسلام في هذا المنافسة التي قامت بين الأديان لعدة عوامل:-

---

(1) راغب السرجاني: قصة التتار من البداية إلي عين جالوت، ط1، مؤسسة اقرأ، 1427هـ-2006، ص10-13.

(2) السرجاني: قصة التتار، ص14.

(3) ارنولد: الدعوة إلي الإسلام، ص250.

(4) ارنولد: الدعوة إلي الإسلام، ص250.

أهمُها والذي أدى إلي تقدُم الإسلام على سائر الديانات الأخري، رغم أن اتباع المسيحية والبوذية أكثر عدداً من المسلمين، كما يقول بارتولد هو: " أن الإسلام دين عالمي بمعني الكلمة أي ليس مقصوراً على جنس أو مدينة، وفي التاريخ أمثلة كثيرة لأمم بوذية أو مسيحية تركت ديانتها واعتنقت الإسلام لكننا لا نجد أمة إسلامية واحدة، تخلت عن دينها ودخلت في البوذية أو المسيحية"[1].

وقد تمثل العامل الثاني في: انتشار الدعاة المسلمين في جميع أرجاء الإمبراطورية، حاملين لواء الدعوة إلي الإسلام[2]، كما لعبت الجماعات الصوفية، دوراً في نشر الإسلام بين هؤلاء الغزاة الجدد، فكان رجالها يجوبون البلدان، من أجل دعوة هؤلاء الغزاة إلي الإسلام، و ساعدهم على القيام بهذا الدور الدعوي، أن المغول كانوا يكنون احتراماً كبيراً للصوفيين، ولا يلحقون بهم الأذي، إلا إذا أظهروا مقاومة للغزو[3].

وتري الباحثة أن السبب في عدم تعرض المغول لهؤلاء الرجال ربما يعود إلي كون الصوفيين يتسمون بالمسالمة ولا يميلون إلي المقاومة والعنف، لذا فلا ضرر منهم ماداموا لا يحرضون العامة على المقاومة.

وقد بلغ من احترام المغول للصوفيين،أن تنكر بعض الناس في ملابس الصوفية، هرباً من بطش المغول، كما قام البعض بإيداع أموالهم عندهؤلاء الصوفيين حتي لا تتعرض للنهب على أيدي المغول[4].

وهكذا مُهدت السُبل أمام دعاة المسلمين للانتشار في بلاد المغول، و التصدي لحملات التبشير المسيحي، ونجحوا في مسعاهم وتوج جهدهم بانتشار الإسلام، بين مغول إيران وتركستان، وبلاد القفجاق[5]، الذين كانوا أسبق المغول إسلاماً.

---

(1) بارتولد: تاريخ الترك، ص88-89.

(2) عبدالحليم رجب: انتشار الإسلام، ص85.

(3) عبدالحليم رجب: انتشار الإسلام، ص85.

(4) عبد الحليم رجب: انتشار الإسلام، ص87.

(5) عبد الحليم رجب: انتشار الإسلام، ص87.

-دخول مغول القفجاق في الإسلام:

ربما يرجع السبب في اعتناق مغول القفجاق للإسلام قبل غيرهم من دول المغول الأخري إلي:

أولاً: اللغة، فاللغة التركية كانت هي السائدة في تلك البلاد، وهي لغة إسلامية فأغلب متحدثيها من المسلمين، إضافة إلي وجود الكثير من الترك المسلمين بين السكان، والمغول أقلية بالنسبة لهم، وعليه فقد سادت التركية

بين المغول وتحدثوها، كما أدي اشتراك المغول والترك في الأصل والعادات والتقاليد إلي سهولة التواصل بينهما[1] .

ثانياً: الصلات التجارية بين مغول القفجاق وأجزاء العالم الإسلامي، من خوارزم للقوقاز والشرق الأدني، وبلاد بلغار المسلمين- الذين سكنوا وادي الفولجا، الذي مثل العمود الفقري لدولة مغول القفجاق- فكان لهذه الصلات أثر بالغ في تدفق التأثير الإسلامي هناك مبكراً، عن بلاد المغول الأخري[2] .

وباعتناق بركة خان للإسلام، أصبحت خانية القفجاق من حيث العملة والسفارات الدبلوماسية جزءاً من العالم الإسلامي، و رغم أن معظم خلفاء بركة لم يتحولوا للدين الإسلامي، حتي عصر أوزبك خان713-741هـ/1313-1241م[3]، إلا أن إسلام بركة

---

(1) الرمزي:تلفيق الأخبار، ص26؛ عبدالحليم رجب، انتشار الإسلام، ص86؛ بارتولد: تاريخ الترك، ص173.

(2) عبدالحليم رجب: انتشار الإسلام، ص84؛

Devin e, Dewees, Islamlization and Native Religion in the Golden Horde: Baba Tukles and Conversion to Islam in his Historical and Epic Tradition, Pennsylvania state, university, USA,1994, p.83.

(3) أوزبك خان: حكم خانية القفجاق، وأعلن الإسلام ديناً رسمياً للدولة، ازدهرت الدولة في عهده، عقد معاهدات سلام مع جيرانه في اوروبا، كما أبقي على التحالفات القفجاقية المملوكية والقائمة منذ عهد بركة خان- انظر:.(Buell, Historical Dictionary, p, 209).

كان أكثر تأثيراً ولفتاً للإنتباه من إسلام أوزبك خان، و ربما يرجع ذلك إلي كونه أول جنكيزي ذو شأن يعتنق الإسلام[1].

وتري الباحثة أن بركة خان بإسلامه واعتلاؤه العرش كعاهل مسلم،قد مهد الطريق لانتشار الإسلام بين الطبقة الحاكمة في الدولة، لذا فإسلام أوزبك خان وإعلانه الدين الإسلامي ديناً رسمياً للدولة، يمثل لبنة في بناء وضع حَجَرَه الأساسي بركةُ خان.

- الروايات حول إسلام بركة خان:

تعددت الروايات حول إسلام بركة خان، واختلفت حول توقيت اعتناقة الإسلام، هل حدث قبل توليه الحكم أم بعده؟ واختلطت فيها الحقيقة بالأساطير، وفي هذا الصدد لدينا ثلاث روايات.

تفيد الرواية الأولي: بأن بركة خان قد نشأ مسلماً بناء على رغبة أبيه جوجي، الذي عهد به منذ ولادته إلي مربية مسلمة لتربيته وتنشئته كمسلم، وحين بلغ سن التعليم، أرسله إلي مدينة خوقند[2]، لحفظ القرآن الكريم على يد أحد مشايخها[3].

كما نُسب إلي بركة خان فيما بعد، إحدي مآثر أوغوز خان[4]، وهي أنه -أى بركة خان- رفض الرضاعة من والدته، ولم يأكل شيئا حتي أرضعته امرأه مسلمة[5].

---

(1) عبدالحليم رجب: انتشار الإسلام، ص84؛ Dewees, Islamlization ,p.83

(2) خوقند: تقع في وادي فرغانهـ شرقي تركستان و96% من سكانها مسلمين وفي الفترة من فبراير 1917م إلي ديسمبر1918م كانت خوقند عاصمة لتركستان ذات الحكم الذاتي -انظر:

(Richard pipe , the Formation of Soviet Union: Communism and Nationalism,1917-1923 ,1ed, Harvard universitypress,1997,p.92).

(3) الجوزجاني: طبقات ناصري، ص226.

(4) اوغوز خان: الاوغوز أو الغز هم مجموعة قبائل تركية، شكلوا إمارة على الروافد الوسطي والسفلي لنهر سيحون (سيرداريا) في منطقة الاورال وشمال قزوين، ما بين القرن العاشر حتى القرن الثاني عشر، وقد أخذت القبيلة اسمها من اسم مؤسسها الشهير اوغوز خان، الذي انجب ستة ابناء، انحدرت من نسلهم العشائر التركمانية، والدولة السلجوقية، والعثمانية، والصفوية، انظر:

(Yves Bonnefoy ,Asian Mythologies , translated by ,Wendy Doniger ,et.al,the university of Chicago press,Chicago and London,1993,p.337; S. G. Agajanov, the States of the Oghuz, the Kimek and the Kipchak, in "History of Civilization of Central Asia,1ed, Motilal Banarsidass publishers,Delhi,Indian,1999,vol,4,part,1,p.61).

(5) بارتولد نقلاًعن أبو الغازي: تاريخ الترك، ص195؛ Dewesese, Islamization, p. 85

وترى الباحثة أن هذه الرواية فيها الكثير من المبالغة وعدم المنطق فما الذي يدفع بجوجي الوثني، إلي جعل ابنه بركة مسلماً دون باقي أولاده ودون أن يتحول جوجي نفسه إلي الإسلام، إضافة إلي أنها لم ترد سوي لدي الجوزجاني، الذي يميل إلي المبالغة دائماً في كل ما يتعلق بإسلام بركة خان.

أما الرواية الثانية: فتفيد بأن إسلام بركة خان، جاء بعد اعتلاءه عرش خانية القفجاق، حين التقي في مدينة سراجوق[1]، بتاجرين مسلمين قادمين من بخاري، حدثاه عن الإسلام وشرحاه له شرحاً مقنعاً، أدي إلي اعتناقه الإسلام، ولم يخبر أحداً بهذا الأمر سوي أخيه توكاتيمور، الذي حذا حذوه واعتنق الإسلام[2].

وتميل الباحثة إلى ترجيح الرواية الثالثة والتى تفيد بأن اعتناق بركة خان للإسلام، جاء قبل توليه الحكم، في عهد أخيه باتو، و يؤيد هذه الرواية قول الراهب ويليام روبرك الذي مر ببلاط بركة، أثناء زيارته للقفجاق عام651هـ/ 1253م، وذكر أن بركة كان مسلماً متمسكاً بدينه وقد حرم أكل لحم الخنزير في بلاطه[3].

وبحسب هذه الرواية، فإن اعتناق بركة خان للإسلام قد حدث أثناء عودته من قراقورم - بعد تنصيب منكو قان649هـ/1251م- حيث التقي في الطريق بالشيخ سيف

---

(1) مدينة سراجواق: معناها القصر الصغير فجوق صغير، وسرا أي القصركانت مدفناً للخانات وورشة لسك العملة، ومن السهل حالياً التعرف على أطلالها حيث يوجد بجوارها محطة القوزاق التي تخلد اسم المدينة القديمة –انظر:(هايد: تاريخ التجارة في الشرق الادني في العصور الوسطي، ترجمة: احمد رضا، محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م، ج3، ص85).

(2) ارنولد: الدعوة إلي الإسلام، ص259؛ اسماعيل عبدالعزيز الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، مكتبة الفلاح، الكويت، 1404هـ/1984م، ص197؛ Howorth , the History of the Mongols , p. 105.

(3) Journey of Rubruk , p.117.

الدين الباخرزي أحد مشايخ الصوفية الكبار[1]، والذي كان يجوب البلاد داعياً إلي الإسلام، بعد الغزو المغولي الذي دمر البلدان الإسلامية، وأباد سكانها[2]،وفي قول آخر، أن الباخرزي لم يذهب إلي بركة خان بنفسه، بل أرسل إليه تلميذاً له يسمي خادم، ليدعوه إلي الإسلام ويشرحه له، فأسلم بركة على يديه وحسُن إسلامه[3]، ثم رأي بركة بعد ذلك أن يصل الشيخ الباخرزي فأرسل له أموالاً، لينفقها على الفقراء والمحتاجين[4]، فقال الباخرزي لرسول بركة خان: "اربطها إلي حمار، فإن حَمتْه من الذباب فإني أقبلها"[5]، فلما بلغ بركة خان رفْض الباخرزي لقبول الأموال، قرر الذهاب إليه بنفسه[6]، لكن الباخرزي لم يأذن لبركة بالدخول عليه، إلا بعد يوم، وقيل بل بعد ثلاثة أيام[7]، بعدما ألح عليه تلامذته، ومريدوه، والتقاه ملثم الوجه[8] .

---

(1) الشيخ سيف الدين الباخرزي: اسمه سعيد بن المطهر بن سعيد وكنيته أبو المعالي وشهرته سيف الدين ولقبه الشيخ العالم قبره بفتح أباد ببخاري وعلي قبره مدرسة ضخمة معمورة جداً – انظر:(ابن بطوطة: رحلتة، ص 250؛ الرمزي: تلفيق الأخبار، ص409).

(2) ابن خلدون: العبر، ص 529 ؛ القلقشندي: صبح الأعشي، ص474.

(3) ركن الدين بيبرس الدويدار: زبدة الفكرة، تحقيق دونالدس ريتشارد، ط1، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، 1419هـ-1998م، ص 14؛ بدر الدين محمود العيني:عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق:محمد محمود أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1407هـ - 1987، ج1، ص362 .

(4) ذكر صاحب زبدة الفكرة في موضع آخر، أن الشيخ نجم الدين كبرا كان له تلميذ آخر، اسمه الشيخ(أحمد البغدادي الكرا) وكان لهذا الشيخ مريد، اسمه "خادم"، سافر إلي بلاد بركة، وأقام بها وكان صالحاً ورعاً، فلمابلغت أخباره لبركة أرسل إليه الرسل بالأموال، فرفضها وقال "اِربطوها على حمار وأرسلوها في الصحراء، فإن حمته من الوحوش فاني أقبلها"، فلما عادت الرسل لبركة، ذهب إلي الشيخ و جلس ببابه ثلاثة ايام، وأراد الشيخ أن يختبره فطلب من بعض تلامذته أن يصعد إلي سطح مطل على الباب، ويلقي زبلاً على رأس بركة، ففعل الخادم، ولم يتحرك بركة من مكانة فلما علم الشيخ بذلك، سمح له بالدخول وصافحه وأسلم على يده وأخذ بذلك أقاربه وأكابر المغول، انظر: (الدويدار، ص83).

(5) الدويدار: زبدة، ص15؛ الرمزي: تلفيق الأخبار، ص406.

(6) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص406؛ عبدالحليم رجب: انتشار الإسلام، ص88.

(7) الدويدار: زبدة الفكرة، ص15، الرمزي: تلفيق الأخبار، ص406.

(8) الدويدار: زبدة الفكرة، ص15؛ الذهبي: دول الإسلام، ص191.

وقيل في أسباب عدم كشف الشيخ الباخرزي عن وجهه لبركة، هو أن المغول، قد قتلوا شيخه نجم الدين كبرا[1]، أثناء غزو جرجانية، فلم تطب نفسه لرؤية بركة[2].

وتري الباحثة أن هذا القول منافٍ للمنطق، فلا يعقل أن يتصرف الشيخ بفظاظة كتلك مع بركة خان، بينما كان هدفه وهدف شيخه من قبله، هو تأليف قلوب هؤلاء الغزاة، ويُؤكِّد على هذا المعني الرمزي أيضاً، بقوله" إن الصحبة قد تأكدت بين بركة خان والشيخ"، بل وذهابه إلي القول بأن بركة خان، هو السلطان الذي مشي في ركاب الشيخ الباخرزي[3]، فقد جاء في سيرة الباخرزي أن شيخه نجم الدين كبرا قال له :" لك البشارة تمشي في ركابك السلاطين"[4]، ومرت السنوات حتي قدم أحد السلاطين لزيارة الباخرزي، وأحضر معه فرس هدية للشيخ، وأمسك زمام الفرس بنفسه حتي يمتطيه الشيخ، فاضطرب الفرس، وركض بالشيخ، وركض السلطان خلفه، ممسكاً بعنان الفرس، فقال الشيخ للسلطان:" أتدري ما سبب جموح الفرس وسره؟ وقص عليه بشارة الشيخ نجم الدين" [5].

ومما سبق يتضح أن إسلام بركة خان قد جاء عن فهم و تدبر، فرغم اعتناقه الإسلام على يد أحد مشايخ الصوفية، لم يتبع بركة المذهب الصوفي، بل اتبع المذهب الحنفي

(1) الشيخ نجم الدين كبرا: هو شيخ العارفين أبي الجناب أحمد بن عمر الجنوقي الخوارزمي من سلالة عمار بن ياسر، عاش هذا الشيخ قبل استشهاده على يد المغول بخوارزم، و ذاع صيتة، و أرسل تلامذته واتباعه مثل الباخرزي إلي البلاد المختلفة يدعون للإسلام وقد استقر مريديه بعد ذلك في الأماكن التي توجهوا إليها، وكرسوا أنفسهم للدعوة انظر، (الدويدار: زبدة الفكرة، ص83؛ عبدالحليم رجب: انتشار الإسلام، ص87).

(2) روي في موت الشيخ نجم الدين كبرا أنه عندما غزا جنكيز خان خوارزم، جمع الشيخ من تبقي من اتباعه وقال لهم قوموا نقاتل في سبيل الله، ثم دخل منزله وشد على وسطه حزاماً وملأ جعبته بالحجارة، وامسك حربة طويله في يديه، وخرج إلي المغول، وصار يقذفهم بالحجارة حتى فرغت جعبته، وأصيب بسهم فمات في الحال، ويقال أنه قبض أثناء استشهاده على ضفيرة جندي مغولي، ولم يستطيعوا تخليصها منه إلا بقطعها –انظر:(الصياد:المغول، ص128).

(3) تلفيق الأخبار، ص408.

(4) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص408 .

(5) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص409.

السُّني، مثل أتراك آسيا الصغري[1]، و حرص منذ إسلامه على تطبيق الشرائع، واظهار الشعائر، فحرَّم أكل لحم الخنزير، ودرس القرآن، وصنع لنفسه مسجداً على هيئة خيمة يُحمل معه أينما ذهب، وأُقيمت الصلوات الخمس ببلاده[2]، كما أنشأ المدارس الدينية، والمساجد بأرجاء المملكة، وأكرم العلماء ورجال الدين، وأدناهم منه، وبذل لهم العطايا، ولم يكتف بالعيش كمسلم صالح، بل أخذ على عاتقه دعوة عشيرته واستمالتهم إلي الإسلام[3]، وذلك إدراكاً منه لرسالة الإسلام الكبري وهي الدعوة إلي الله، كما حرص على إقامة علاقات ود وصداقة مع ملوك العالم الإسلامي والخليفة العباسي، تطبيقاً لمبدأ المؤاخاة في الإسلام.

وفي هذا الشأن ذكر الجوزجاني، أن بركة خان قد أرسل الرسل في عام 631هـ-1234م، إلي السلطان السعيد شمس الدنيا والدين التمش سلطان الهند[4]، والذي لم يرغب في صداقة المغول، كما لم يرغب في استجلاب عداوتهم، لهذا استقبل رسل بركة، وأرسلهم للإقامة

---

(1) ارنولد، الدعوة إلي الإسلام، ص259؛ Howorth , the History of Mongols ,p.105

(2) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الارناؤوط، تركي مصطفي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1240هـ-2000م، ج10، ص83؛ رشيد الدين أحمد بن عربشاة، عجائب المقدور في أخبار تيمور، ط1، مطبعة وادي النيل بالقاهرة، 1285هـ ص 75؛ بارتولد: تاريخ الترك، ص195.

(3) الدويدار: زبدة الفكرة، ص14؛ إسماعيل الحافظ بن كثير: البداية والنهاية، ط2، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، 1411هـ-1990م، ج13، ص 249؛ الترمانني: أحداث التاريخ، ج3، ص1015.

(4) السلطان شمس الدين التمش سلطان الهند:كان مملوكاً للسلطان قطب الدين أيبك الذي اعتقه وزوجه ابنته، وبعد وفاة أيبك عام207هـ- استولي التمش على السلطة، وأصبح أحد الملوك العبيد الكبار في الهند، وبما أن المماليك يتبعون المذهب السني أرسل التمش في عام 626هـ إلي الخليفة العباسي المستنصر يطلب منه الاعتراف به، فاستقبل الخليفة رسله بحفاوة وأقره سلطاناً على الهند، وسك العملة باسمهـ توفي عام 633هـ بعد حكم دام 26 عاما، وعهد بالحكم من بعده لابنته رضية الدين، ومن مأثره أنه أمر أن يلبس كل مظلوم ثوباً مصبوغاً، وكان أهل الهند يرتدون البياض فكان متي جلس مع الناس أو ركب ورأي أحداً يرتدي ثوباً مصبوغاً سمعه وانصفه ممن ظلمه، كما وضع جرس بباب قصره يأتي المظلوم فيحرك الجرس فيسمعه السلطان وينصفه من فوره، انظر: (يحي وهيب الجبوري: النساء الحاكمات من الجواري والملكات، ط1، مجدلاوي، الأردن، 2011م، ص105-107).

في إحدي المدن الهندية[1]، فأقاموا بها لمدة ست سنوات، حتـي تولـت الـسلطانة رضيـة الـدين الحكم[2] فأمرت بنقلهم إلي مدينة أخري، فقُتلوا هناك أثناء حصار تلك المدينة[3].

و لا تتفق الباحثة مع هذه الروايـة، التـي لم تـرد سـوي لـدي الجوزجـاني، كـما أن توقيـت الزيارة يتفق مع قول الجوزجاني بإسلام بركة منذ كان طفلاً، وهو ما تم تفنيده في موضع سابق.

- العلاقة بين بركة خان والخليفة العباسي:

انطلاقاً من إدراك بركة خان لأهميـة الخلافـة وقدسـيتها، في أذهـان المـسلمين، ومـا يحظي به الخليفة من إجلال في العـالم الإسـلامي، أقـدم عـلى مكاتبـة الخليفـة العبـاسي المستعصم، وترددت الرسل[4] والهدايا بينهما، وارتدي بركة خلعة الخلافة مـرتين في عهـد

---

(1) طبقات ناصري، ص227.

(2) السلطانة رضية الدين: تولت الحكم بعد والدها التمش، لكن لم يعجب ذلك إخوتها الذكور الثلاثة خاصة ركن الدين، الذي حاول هو وأمـراء ووزراء الدولـة تنحيـة رضيـة الـدين، فقـام ركـن الـدين بقتـل أخيهـا لأخافتها، لكنها لم تخف وارتدت زي المظلومين وصعدت منبر الجامع يوم الجمعة وشكت أخيها للـشعب وقالت أنه قتل أخيها، فقبض عليه الناس وأتوا به إليها فقالـت مـن قتـل يقتـل، فقتلـوه قـصاصاً لأخيهـا، وحكمت بعد ذلك أربع سنوات حتى أشيع أنها تحب عبداً حبشياً لـديها، فثـار النـاس والأمـراء والـوزراء عليها وجهزوا جيشاً لقتالها بقيادة الوالي بختيار، الذي انهزمت أمامه وأصبحت أسيرة لديه لكنـه وقـع في حبها، فتزوجها وعاد بجيشه إلي دلهي لاستعادة عرش محبوبته ولكنهما هزما، وهربت رضية الدين، التي اجهدها الجوع والاعياء، لينتهي بها الأمر مقتوله على يد أحد المزارعين، الـذي قتلهـا حتـى يـسرق ثيابهـا وجواهرها، وأقيم على قبرها قبة وجعلهـا الـشعب في عـداد اوليائـة الـصالحين وقبرهـا يـزار حتـى وقتنـا الحاضر ويتبرك به، انظر: (الجبوري، النساء الحاكمات، ص107-109).

(3) الجوزجاني: طبقات ناصري، 227.

(4) وقد ذكر ابن تغربردي في حوادث عام 644هـ "أنـه قـدم رسـولان مـن بـلاد التتـار إلي الخليفـة العبـاسي أحدهما من بركة خان والآخر بايجو قائد جيوش هولاكو واجتمعوا بالوزير العلقمي" – انظـر: (النجـوم الزاهرة، ج7، ص46) والمرجح هو أن رسول بركة خان لم يكن ذاهبـاً لمهـاداة الخليفـة ومراسـلته لأن عـام 644هـ لم يكن بركة خان قد اعتنق الإسلام، كما أن ابن تغربردي نفسه لم يذكر أن رسول بركة قد التقـي الخليفة العباسي، بل التقي هو وبايجو الوزير العلقمي، مما يرجح أنهما كانـا مبعوثـان في مهمـة رسـمية لبلاد المغول، حيث كانت هناك صلات شبه دبلوماسـية بـين المغـول والخلافـة العباسـية، فقـد ذكـر ابـن العبري أن التتار حاولوا غزو بغداد عام 642هـ ولم يتمكنوا مـن ذلـك، كـما أن فخـر الـدين قـاضي قـضاة بغداد قد حضر حفل تنصيب كيوك قان بصفته رسولاً عـن الخليفـة، وخاطبـه كيـوك قـان خطابـاً شـديد الـلـهجة، انظر: (تأريخ الدول، ص446-449).

أخيه باتو[1]، ونتيجة لعلاقات الود هذه، وإدراك بركة كمسلم لقدسية منصب الخليفة، فقد اعترض على القضاء على الخلافة العباسية، و طلب من أخيه باتو، منع هولاكو من غزو بغداد لما بينه وبين الخليفة من الصلة[2]، وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون: أنه بعدما استقر منكو قان على العرش، أرسل أخاه هولاكو على رأس جيش لغزو قلاع الإسماعيلية[3]، والقضاء على دولتهم، فمضي لذلك، وأقنع أخاه منكو بغزو بغداد والاستيلاء على أراضي الخلافة، فلما علم بركة خان بذلك طلب من أخيه باتو منع هولاكو من فعل ذلك، لما بينه وبين الخليفة من الصلة، فأرسل باتو إلي هولاكو ينهاه عن فعل ذلك، فوصلته رسالة باتو وهو في بلاد ما وراء النهر، فمكث هناك عامين طاعة لأمر باتو، فلما مات باتو، وخلفه بركة، توجه هولاكو لقتال أهل همذان لموالاتهم لبركة، كما توجه لقتال بركة ببلاد القفجاق، ثم سار بعد ذلك لغزو أراضي الخلافة ببغداد[4].

ومعني قول ابن خلدون، أن الحرب بين بركة وهولاكو، قد حدثت قبل غزو بغداد، وهذا غير صائب، فلو حدثت هذه الحرب، ما تمكن هولاكو من مهاجمة الخلافة

---

(1) الجوزجاني: طبقات ناصري، ص227؛ الرمزي: تلفيق الأخبار، ص405.

(2) الذهبي: دول الإسلام، ص191؛ الرمزي: تلفيق الأخبار، ص416؛

David Jonsson,Islamic Economics and the final Jihad,Xulon press,2006,p,492.

(3) الإسماعيلية، هم طائفة شيعية، ظهرت على مسرح الأحداث بعد وفاة الإمام جعفر الصادق عام 148هـ-765م، وفي عام 487هـ-1094م، انقسم الإسماعيلية إلي جماعتين، مستعلية ومنهم إسماعليو مصر والمناطق الخاضعة للخلافة الفاطمية، ونزارية وهم المقيمون في بلاد فارس، والأراضي الشرقية، ويعد حسن الصباح (ت 518 هـ-1124 م) هو مؤسس دولة الإسماعيلية النزارية، والذين عرفوا أيضاً باسم الحشاشين نسبة إلي نبات الحشيش المخدر، الذي قيل أن الحسن كان يعيطه لاتباعه، وهو الأمر الذي قيل بأنه كان مجرد دعاية سيئة من أعدائهم ولا أساس لصحته، وقد استمرت تلك الدولة لمدة 166عام حتى سقطت على أيدي المغول عام 654هـ/1256م، لمزيد من التفاصيل انظر: (حسن الأمين: الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي، ط1، الغدير، بيروت، لبنان، 1417هـ-1997م، ص105؛ فرهاد دفتري: الإسماعيليون في العصر الوسيط، ترجمة: سيف الدين القصير، ط1، المدي لنشر، سوريا، لبنان، 1999، ص11-15).

(4) العبر، ص 529.

بجيوش مُنْهزمة، وماكان بركة ليتركه يغزو أراضي الخليفة[1]، كما يـدحض هـذا القـول أيـضاً، مـا ذكره كلاً من ابن تغربردي والذهبي من خروج هولاكو لغزو بغداد وفي جيشه قوات من عسكر بركة خان[2]، كما ذكر الدويـدار والهمـذاني، أن هولاكـو قـد خـرج لغـزو قـلاع الإسـماعيلية عـام 651هـ/1253م، وفي جيشه فرقة من عساكر بركة[3]، وبعدما تم له القـضاء عـلى دولـتهم في ذي القعدة عام 654هـ/1256، توجه في أوائل المحرم سنة 655هـ/1257م إلي غزو بغداد [4].

والأرجح أن هولاكو قد خرج بتلك الحملة، قاصـداً بـلاد الإسـماعيلية، في عهـد بـاتو، ووفقـاً لعادات المغول، التي تُحتم على كل فرع من فروع الإمبراطورية إرسال مدد عـسكري، كـان مـن الطبيعي أن يضُم جيش هولاكو جنداً من مختلف أنحاء الإمبراطورية الجنكيزية، بل إن هولاكو قد طلب من الخليفة المستعصم، إرسال مددٍ من الجند لهدم قلاع الإسماعيلية[5]، وعنـدما تـوفي باتو وتولي بركة خان الحكم خلفاً له، لم يكن بمقـدوره سـحب جنـوده المتواجـدين بالفعـل مـع هولاكو، وذلك لأن أغلب هؤلاء العساكر كانوا كفاراً، ومـن أسـلم مـنهم حـديث عهـد بالإسـلام، ولايجدون غضاضة في قتل الخليفة والاستيلاء على ملكه[6].

- زوجات بركة خان وأبناؤه :

ذكر الذهبي أنه كان لبركة خان ستون زوجة، فلما أسلم، أمره الشيخ الباخرزي بالإبقاء على أربعـة وفـراق الباقيـات ففعـل[7]، وثمـة رأي أخـر يقـول أن بركـة بعـد إسـلامه قـد أبقـي عـلى

(1) الرمزي:تلفيق الأخبار، ص415.

(2) النجوم الزاهرة، ص46؛ تاريخ الدول، ص35.

(3) زبدة الفكرهـ ص1011.

(4) جامع التواريخ، تاريخ هولاكو ص 239 – 280-281 .

(5) الهمذاني: تاريخ هولاكو، ص260.

(6) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص217-218.

(7) سير أعلام النـبلاء، تحقيـق: بـشار عـواد معـروف، محـي هـلال سرحـان، ط11، مؤسـسة الرسـالة، بـيروت، 1417هـ-1996م، ج23، ص366.

ثلاث زوجات هن الخاتون الكبري واسمها طغطاي خاتون واثنتين غيرها هن كهر خاتون وججك خاتون التي أسلمت معه، وكان موكبها يضم خيمة على شكل مسجد تُحمل معها أينما ذهبت[1]، كما قيل أن بركة قد تزوج من أرملة أخيه باتو خان[2].

أما أبناؤه: فقد كثرت الروايات حولهم، فمن قائل بأن بركة خان لم يَخلُف ذرية[3]، إلي قائل بأن بركة خان لم يرزق إلا إناثاً[4]، وأنه قد زوج إحداهن من الظاهر بيبرس 659-676هـ /1260-1277م)[5]، فأنجبت له ابنه السعيد بركة خان[6]، لكن هذا الرأي كما يقول الدكتور سعيد عاشور يبدو خاطئاً إذْ لا يوجد في المراجع المعاصرة أدني إشارة إلي ارتباط الظاهر بيبرس وبركة خان بصلة المصاهرة، وربما يرجع السبب في هذا الخطأ، إلي أن المراجع عندما ذكرت زوجات الظاهر بيبرس قالت أن أولي زوجاته هي ابنة حسام الدين بركة خان التتري، وأنها كانت خوند الكبري في حريمه، وأم ولده، وولي عهده السعيد بركة خان[7].

وتأييداً لرأي الدكتور سعيد تري الباحثة أنه من المستحيل منطقياً، أن يكون السعيد بركة خان بن بيبرس، حفيداً للسلطان بركة خان، فالسعيد بركة[8] هذا ولد عام

---

(1) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص438-439؛Dewesse , Islamization , p.84

(2) الجوزجاني: طبقات ناصري، ص231.

(3) النويري: نهاية الأرب، ج27، ص245.

(4) العيني: عقد الجمان، ج2، ص16.

(5) بيبرس: هو بيبرس العلائي البندقداري، ولد بأرض القفجاق، لكنه أُسر وبيع إلي الأمير علاء الدين البندقداري فنُسب إليه، ثم بيع إلي الملك الصالح نجم الدين ايوب الذي أعتقه، وترقي قي صفوف الجيش المملوكي حتى وصل لرتبة أتابك، وقد أبلي بلاءً حسناً في موقعة عين جالوت ضد المغول، وقتل المظفر قطز عام 658هـ وتسلطن على مصر، وتلقب بالملك الظاهر، توفي عام 676هـ وخلفه ابنه السعيد بركة، لمزيد من التفاصيل، انظر: (ا بن تغربردي: النجوم الزاهرة، ج7، ص86-111؛ الترمانني: أحداث التاريخ، ج3، 1064-1066).

(6) Stanley Lane Poole, History of Egypt in the Middle ages, Methuen &co,London ,1901,p.266.

حياة ناصر حجي: العلاقات بين المماليك ودولة مغول القفجاق، حولية كلية الآداب جامعة الكويت، العدد 20، 1400هـ-1981، ص12.

(7) مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، 1972م، حاشية رقم1، ص334.

(8) الأمير السعيد ناصر الدين بركة خان: خامس ملوك الترك بمصر والشام سمي بركة خان على اسم جده لأمه بركة خان بن دولة خان الخوارزمي -، تسلطن في حياة والده عام 667هـ ولم يكن له من السلطان الا الاسم، وتوفي في دمشق، عام676هـ- كان جواداً ذا مرحمة بريئاً من الظلم والكبر، انظر: (ابن تغربردي: النجوم الزاهرة، ج7، ص223؛ بارتولد: تاريخ الترك، ص197).

658هـ/1260م- و العلاقة بين بركة خان والظاهر بيبرس لم تبدأ إلا عـام 660هــ-1262م[1]، أي بعد ولادة السعيد بركة بن بيبرس بعامين.

والصحيح هو أن زوجة بيبرس وأم ولدة السلطان السعيد بركة، هي ابنة الأمير حسام الدين بركة خان الخوارزمي[2]، وليس السلطان بركة خان حاكم القفجاق.

وعليه فإن القول بأن بيبرس قد سمي ابنه بركة خان تيمناً باسم صديقه بركة خان، للدلالـة على قوة العلاقات بينهما[3]، مردود أيضاً بالقول السابق.

وبناءً على شيوع القول الخاطئ بزواج بيبرس من ابنة بركة خان، التبس الأمـر عـلى الـبعض فنسبوا أبناء بركة خان الخوارزمي، إلي بركة خان سلطان القفجاق، فجاء في رسالة بعنوان (مغول القبيله الذهبية في بلاد القفجاق) ما نصه: "بركة خان قد ابتعد في تسمية ابنائه اسماء مغوليـة لما لها من طابع وثني، فأسمي أبناءه حسام الدين – صلاح الدين أحمـد- بـدر الـدين محمـد – ناصر الدين" وأن هؤلاء الأبناء قد عاشوا بمصر إلي وفاتهم[4].

وبرجوع الباحثة إلى المقريزى تبين أن هذه المعلومة خاطئة حيث نجد أنه أشـار إلي هـؤلاء الأُمراء بوصفهم أخوال السلطان السعيد بركة خان، أي أبناء بركة خان الخوارزمي[5]، ولم يشر إلي أي صلة قرابة بينهم وبين بركة خان حاكم القفجاق.

أما أبوالفدا فذكر أن بركة خان قد خلف ولدين، أنجب أحدهما أربعـة أولاد، والآخـر لم ينجـب إلا ولـداً واحـداً، وأن هـذين الإبنـين قـد عاشـا في مدينـة سقـسين[6]، ولم يخلفـه أيٌّ

(1) ابن تغربردي: النجوم الزاهرة، ص159؛ بارتولد: تاريخ الترك، ص19.

(2) أحد ملوك الخوارزمية الأربعة، كان أجلهم، محباًللخير، صاهر الملك الصالح نجـم الـدين ايـوب، ثـم خـرج عليه وقاتله وقُتل عام 644هـ- انظر: (الصفدي: الوفيات، ج10، ص75-711) ؛المقريزي:السلوك، ج2، ص؛ 107ابن تغربردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص288.

(3) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص405؛ Howorth , History of the Mongol , p. 124

(4) بهيره غلاب: رسالة دكتوراهـ جامعة طنطا، كلية الآداب، قسم التاريخ، 2000م، ص238.

(5) لمزيد من التفاصيل انظر: (السلوك، ج2، ص12-130-138).

(6) سقسين:بلده كبيرة في تركستان، انظر: (الرمزي: تلفيق الأخبار، ص280).

منهما على العرش[1]، وقول أبي الفدا هذا مشكوك في صحته، لسببين: أولاهما أنه لم يرد في أيٍّ من المصادر الأخري، وثانيهما أنه وتبعاً للقوانين المغولية، لا ينتقل العرش إلي ذرية الخان المتوفي، إلا في حالة وفاة جميع إخوته الذكور، وبعد وفاة بركة خان كان المستحق للعرش أخاه بركجار، لكنه لم يخلفه على العرش، وتولي العرش عوضاً عنه منكوتيمور[2] حفيد باتو خان[3]، فلو أنجب بركة خان ولدين، فلماذا لم يخلفه أحدهما على العرش، رغم أحقيتهما لذلك، كما صرح سفراء مصر في أوردا بركة، الذين نقلوا لنا مشاهدات حية من أرض بركة خان، بأنه لم يخلف إلا إناثا[4]، وهو القول الذي تميل الباحثة إلي ترجيحه.

بركة خان في عيون المؤرخين:

ذكر المؤرخون أن بركة خان بعد إسلامه أخذ على عاتقه دعوة عشيرته وجنده إلي الإسلام، واهتم ببناء المساجد وإظهار الشعائر، كما اتصف بالعدل والشجاعة والكرم، وكان متسامحاً، يكره الإكثار من سفك الدماء، والإفراط في تخريب البلاد[5]، وقال عنه ماركو باولو " أنه أكثر من عُرف من أمراء التتار آنذاك تحرراً وتمدناً "[6]،كما قال عنه الشيخ نجم الدين الزاهدي[7]، في كتابه المسمي بالرسالة الناصرية، التي ألفها لأجل بركة

---

(1) تقويم البلدان، ص205؛Howorth ,History of the Mongol,p.124

(2) منكوتيمور:ابن توتكان ابن باتو، وأمه أخت زوجة هولاكو، لمزيد من التفاصيل انظر:
(Howorth,History of the Mogol,p126-134).

(3) لمزيد من التفاصيل انظر: (Howorth ,History of the Mongol ,p.125-126)

(4) بارتولد: تاريخ الترك، ص197.

(5) الدويدار: زبدة الفكرة، ص14 ؛ الذهبي: تاريخ الدول، ص191 ؛ ابن تغربردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص222.

(6) ماركو باولو: رحلات ماركو باولو: ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002م، ج1، ص33.

(7) مختار بن محمود بن محمد الغزميني الخوارزمي الفقيه الحنفي المعروف بالزاهدي المتوفي عام 658هـ أحد أكابر الائمة وأعيان الفقهاء، عالماً في الخلاف بين المذاهب، و له باع في علم الكلام والمناظرات، و العديد من المؤلفات منها "شرح مختصر القدوري في فروع الفقه الحنفي" و"الصفوة في الاصول" و"فرائض الزاهدي " و"فضائل شهر رمضان" وغيرهم – انظر:
(إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1955م، ج2، ص42؛ عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ط1، مؤسسة الرسالة، 1414هـ-1993م، ج3، ص838.

خان، وأسماها الناصرية نسبة إليه[1]: "لما انتشر في المعمورة أنوار العدل والفضل والإحسان، وأشرق عالم الطاعة والعبودية بأشعة الايمان، ونشرت فيه ألوية الإسلام بعد انطوائها، وأعيدت إلي أشباح الفضل والديانة أنوار جبونها بعد انطفائها بميمون هو من أعظم سلاطين الإسلام وأكرم خواقين الأنام بركة خان المخصوص بعناية الرحمن الذي رفع بإسلامه أعلام الملة الحنفية بعد خفوقها، ورد إلي المعارف الإسلامية مفروض حقوقها، وأحيا معالم الدين المائته، وأظهر شعائر الحق الفائته، ونصر الإسلام على اليهودية والنصرانية، وقدم الحق الأبلج والسبيل الأوضح الأبهج على الرهبانية، أردت أن أكتب رسالة بإسمه المبارك الميمون، وأذكر فيها كل حجج الملة الحنيفية وجواب كل سؤال يرد عليها جلي أو مكنون، ليبقي ذكره ما بقي الدين ووعاؤه وشكره على ألسنة المسلمين"[2].

ولكن على النقيض من تلك الصورة، التي تعج بها كتابات المؤرخين، نجد كُتَّاب الشيعة يقدحون في بركة خان، وهاهو أحد كتابهم، واصفاً بركة خان بالمغولي الذي ضخموه، قائلاً: "بأنه نقمة خان وليس بركة خان"[3]، ناسباً إلي بركة خان ماليس فيه، ومتهماً إياه بما لم يصدر منه، مؤولاً في ذلك الروايات التاريخية تأويلاً خاطئاً، وواضعاً إياها في غير سياقها، ونورد هنا بعضاً من هذا المغالطات والرد عليها.

---

(1) رتب هذه الرسالة على ثلاثة ابواب: الأول في الدلالة على صحة رسالة محمد صلي اللـه عليه وسلم وذكر شئ من معجزاته والثاني في ذكر المخالفين والجواب عن شبههم، والثالث في المناظرة بين المسلمين والنصاري، واسئلتهم والاجوبة عليها، وقد أتمها في جمادي الاخرة عام 658هـ- انظر: (الرسالة الناصرية، تحقيق، محمد المصري، ط1، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، =الكويت، 1414ه - 1994م ص 27-28؛ مصطفي بن عبداللـه المعروف بحاجي خليفه: كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج1، ص895).

(2) حاجي خليفه: كشف الظنون، ص895.

(3) على الكوراني العاملي: كيف ردالشيعة غزو المغول، ط2، دار الهدي، قم، 1427هـ-2006م، ص37-39.

اتهم الكوراني الكاتب الشيعي، بركةَ خان بغزو بلاد السلاجقة[1] المسلمين، قائلاً: "أن بركة غزا قبل هولاكو بلاد السلاجقة المسلمين، و فرض عليهم مالية ضخمة، وترك فيها حامية مغوليه ورجع"[2]، واستشهد على صحة روايته بقول ابن كثير "ثم أغار بركة خان على بلاد القسطنطينة فصانعه صاحبها، وأرسل الظاهر هدايا عظيمة إلي بركة خان"[3]، وبالعودة لابن كثير وجدت أنه ذكر هذه الواقعة التي استشهد بها الكوراني على غزو بركة لبلاد سلاجقة الروم، في حوادث عام 661هـ وكان حاكم القسطنطينة آنذاك هو الإمبراطور البيزنطي (ميخائيل بالوليوج الثامن) 657-680هـ/1259-1282م[4]، وجاءت حملة بركة على القسطنطينية، لعقاب (باليولوج) لاحتجازه رسل بيبرس المتوجهين إلي بركة، ولتحرير السلطان السلجوقي عز الدين كيكاوس[5]، الذي كان

(1) السلاجقة: ينحدرون من قبيلة (قنق) وهي إحدي عشائر الغز التركية، التي عاشت فيما يعرف اليوم بدولة تركستان، هاجروا إلي آسيا الصغري في منتصف القرن السادس الميلادي، و دخلوا في الإسلام عام349هـ- 960م على يد (سلجوق بن دقاق)، جدهم ومؤسس دولتهم، التي امتدت فيما بعد من شمال الهند في الشرق إلي العراق في الغراب، ومن خراسان وبلاد ماوراء النهر في الشمال إلي سجستان، وفي عام 463هـ فتح السلاجقة ارمينيا وجورجيا، وواصلوا تقدمهم في أملاك الدولة البيزنطية بعد معركة ملاذكرد، واستولوا على الأناضول بكاملها من الدولة البيزنطية، وأسسوا هناك ما عرف باسم دولة سلاجقة الروم، فبعد وفاة سنجر بن ملكشاة عام 552هـ-1157م، تفرق السلاجقة إلي دول مستقلة وظهرت دولة سلاجقة العراق، وسلاجقة كرمان، وسلاجقة الروم وهي الدولة التي استمرت بعد الغزو المغولي لمزيد من التفاصيل انظر: (محمد الصلابي: دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، دار ابن الجوزي، القاهرهـ ص19—27 75-76؛ البار: كيف أسلم المغول، ص41).

(2) الكوراني، كيف ردالشيعة غزو المغول، ص38.

(3) البداية والنهاية، ج13، ص239؛ الكوراني: كيف رد الشيعة الغزو المغولي، ص38.

(4) ميخائيل الثامن باليولوج: يعرف في المصادر الإسلامية بإسم الاشكري، تولي الوصاية على جون الخامس إمبراطور نيقية عام 1259م، وتمكن في نفس العام هزيمة الجيوش المتحالفة ضده، وفي عام 1261م تمكن من استعادة القسطنطينة وطرد اللاتين منها، استولي على نيقية، وقضي على حكم آل لكاريس، وبدأ حكم بيت باليولوج، انظر:

(Mark c.Bartusis, Land and Privilege in Byzantium the Insitioution of Pronoia, 1ed, Cambridge University Press,2012,p.241).

(5) عز الدين كيكاوس: ابن السلطان غياث الدين كيخسرو الثاني، تولي سلطنة سلاجقة الروم بعد وفاة والده عام 644هـ-1246م، دب النزاع بينه وبين إخوته، وقرر مقاومة الغزو المغولي لبلاده لكنه ُهزم وفر إلي =القسطنطينية، ونزل ضيفاً عند باليولوج الذي أحسن استقباله، لكنه خشي بعد ذلك من أن يستولي عز الدين على عرشه فاعتقله مع ابنه، فأرسل بركة خان جيشاً لتحريره من الأسر، وسافر بعد تحريره إلي بلاد القفجاق، و أقام بها حتى وفاته عام 678هـ/ 1279م، انظر: (عز الدين محمد بن شداد:تاريخ الملك الظاهر، تحقيق، احمد بحطيط، دار فرانزشتايز بفيسبادن للنشر، 1403هـ/1983م، ص77-78).

أسيراً لدي باليولوج[1]، ولم يكتفِ الكوراني باقتطاع رواية ابن كثير من سياقها التاريخي بإغفال العامل الزمني للرواية، فأول العامل المكاني تأويلا خاطئاً، وذلك باعتباره القسطنطينية جزءاً من أملاك سلاجقة الروم[2]، في حين أنها لم تتبع دولة السلاجقة يوماً، حيث كانت عاصمة للإمبراطورية الرومانية منذ عام 335حتي 395م، ثم عاصمة للدولة البيزنطية من عام 395م حتي عام 1204م، حين سقطت أمام قوات الحملة الصليبية الرابعة، وأصبحت منذ ذلك التاريخ عاصمة للإمبراطورية اللاتينية، حتي تمكن البيزنطيون من استعادتها مرة أخري عام1261م، لتعود منذ ذلك التاريخ عاصمة للإمبراطورية البيزنطية،وتظل هكذا حتي سقوطها عام 1453م، على يد السلطان العثماني محمد الفاتح، لتصبح منذ ذلك الحين عاصمة للدولة العثمانية(الآن هي مدينة اسطنبول بتركيا)[3].

ولم يكتفِ الكوراني بالتدليل على قوله الخاطئ برواية ابن كثير، فزاد على ذلك واستشهد بقول ابن تغربردي أنه في عام 641هـ-" صالح الروم التتار على أن يدفعوا كل يوم الف دينار وفرسا ومملوكا وكلب صيد ......"[4]، و بقول ابن العبري أنه "في سنة أربعين وستمائة سار السلطان غياث الدين كيخسرو (السلجلوقي)في جمع كثيف وجهاز لم يتجهز أحد مثله .... لمحاربة التتار........"[5].

---

(1) المقريزي: السلوك، ج2، ص10 ؛ Howorth,History of the Mongol , p, 120

(2) الأناضول: تعرف ايضاً باسم منطقة آسيا الصغري، تقع في غرب آسيا بين البحر الأسود في الشمال، والبحر المتوسط في الجنوب، وبحر ايجة في الغرب، تضم الجزء الأكبر من الأراضي التركية، انظر: (Moor, places ,p.56)

(3) الموسوعة العربية الميسرة، ج5، ص2558؛Moor,places,p.384

(4) النجوم الزاهرة، ج6، ص307.

(5) تأريخ الدول، ص440.

وبالنظر للمقولتين السابقتين نجد أنهما لم يـشيرا إلي بركـة خـان مـن قريـب أو مـن بعيـد، بالإضافة إلي أن هذا التاريخ عام 641هـ لم يكن بركة خان قـد تـسلم مهـام الحكـم بعـد حتـي يغزو بلاد السلاجقة، ولم يكن حتي اعتنق الإسلام حتي يكـون غـزوه لـبلاد الـسلاجقة إن حـدث جناية يُحاسب عليها، لكنها لم تحدث.

ومن غزا بلاد السلاجقة في تلك المعركة المشار إليها، هو القائد المغولي بـايجو نويـان، الـذي سار على رأس جيش مكون من ثلاثين ألف جندي قاصداً مدينـة (ارزن الـروم) في عـام 641هــ فتصدي له السلطان السلجوقي غياث الدين كيخسروا، لكنـه هـزم، وسـقطت المدينـة في أيـدي المغول[1]، و رغم هزيمته قرر السلطان عدم الاستسلام، وأمضي العام التالي في حشد جيش ضخم، ضم مختلف الطوائف، وسار به لملاقاة المغول في منطقة جبل كوسي في ارزنكـان، وانتهـت هـذه المعركة كسابقتها أيضاً، بهزيمة غياث الدين كيخسرو عام641هـ/1243 م، واسـتيلاء المغـول عـلى مدن الأناضول[2]، وبعد وفاة غياث الـدين كيخـسرو، قُـسمت المملكـة بـين أبنائـه، فحكـم قلـج أرسلان المنـاطق شرق نهـر كزليلرمـاك، تحـت إمـرة مغـول فـارس، بيـنما حكـم أخـوه عزالـدين كيكاوس المناطق الواقعة غرب النهر، بـشكل مـستقل عـن المغـول، لكنـه هـزم في مواجهـة مـع المغول عام 653هـ/ 1256م، فر على إثرهـا إلي القـسطنطينة، وأصـبحت الأناضـول، كلهـا تابعـة لمغول فارس[3].

---

(1) مؤلف مجهول: أخبار سلاجقة الروم من مؤلفات القرن الـسابع الهجـري، ترجمـة: محمـد الـسعيد جـمال الدين، المركز القومي للترجمة، ص 280-281؛ الصياد: المغول، ص182.

(2) أخبار سلاجقة الروم ، ص 284-289؛ الصياد: المغول، ص182.

(3) A.c.s.peacock&Sara nur yildiz ,the seljuks of Anatolia:court and society in the medieval middle east, i.b.tauris ,London, new York, ,2013, p,111,112 ; david .o morgan ,the Mongols and eastern Mediterranean –in –"latins and Greeks in the eastern Mediterranean after 1204, frank cass, london ,1ed, ،1989 ,p.204.

وتري الباحثة أن سبب هذا العداء الشيعي لبركة خان،ربما يرجع إلي كونه مسلماً سنياً، ولم يعتنق المذهب الشيعي كمغول إيران، إضافة إلي العداء التاريخي بين دولة القفجاق وإيلخانية إيران، والذي استمر حتي سقوط الإليخانية، فإذا أضفنا للعاملين السابقين موقف بركة من غزو هولاكو لبغداد واعتراضه على ذلك الفعل، الذي وصل بحسب بعض المصادر إلي حد منع هولاكو من غزو بغداد عامين كاملين، وثناء المؤرخين على موقف بركة خان من الخليفة وحزنه على قتله، والذي كان أحد أهم أسباب الشقاق بينه وبين ابن عمه هولاكو، في حين أنه لم يبد أي اعتراض على غزو هولاكو لقلاع الإسماعيلية، وأمام مدح المؤرخين لموقف بركة من سقوط الخلافة، نجد على الجانب الآخر، إفاضة في الحديث عن خيانة العلقمي الوزير الشيعي، ودوره في سقوط الخلافة مما دفع هذا الكاتب بتناول الأمر، وكأنه سجال بين مواقف السنة والشيعة من سقوط الخلافة يجب الفوز فيه، بغض النظر عن الحقائق التاريخية.

تولي بركة خان عرش خانية القفجاق:

بعد وفاة باتو خان، زعيم البيت الجنكيزي، ومؤسس خانية القفجاق، حل محله ابنه سرتاق[1]، الذي قيل أنه كان رضيعاً حَكَم تحت وصاية أمه[2]، ويدحض هذا القول ما ذكره روبريك عن مروره عام651هـ/ 1253م، ببلاط سرتاق الواقع على الطريق الذي يمر منه مسيحيو البلغار و روسيا، في طريقهم إلي بلاط باتو خان[3]، الذي أشرك سرتاق معه في إدارة شئون الدولة، و أعطاه سلطة كاملة على مخيمات المغول الواقعة بين الفولجا والدون[4]، كما أوفده ممثلاً عنه عام 653هـ/1255م إلي بلاط منكو قان، الذي دعا باتو لحضور

(1) كان لباتو 16 زوجة والزوجة الرئيسية كانت تسمي براق شين وهي على الأغلب التي أنجبت له ابناؤه الأربعة (سرتاق – توتكان – الغو – انديوان)، انظر:Rubruk,his Journey,p.56)

(2) ارنولد: الدعوة إلي الإسلام، ص282:258 ,Curtin, the Mongol History, p.

(3) journey of rubruk , p.116.

(4) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص403؛ Howorth, the Mongol History,p.92

القوريلتاي، لكنه اعتذر بمرضه، وأرسل ابنه سرتاق، الذي حضر القوريلتاي نيابة عنه، وأثناء استعداده للعودة إلي بلاد القفجاق، وردت الأنباء بوفاة باتو خان، فعين منكوقان سرتاق حاكماً لخانية القفجاق، وأرسله محملاً بالهدايا، إلي بلاده، ولكنه توفي في طريق العودة[1]، وشكك البعض في وفاة سرتاق بطريقة طبيعية، وقالوا إن بركة خان قد دس له السم[2]، فعين منكو قان أولاغجي ابن سرتاق(وفقاً للجويني)، وابن باتو(وفقاًلرشيد الدين) خلفاً له، لكنه توفي بعد عدة أشهر[3]، فخلفه بركة خان على العرش عام 655هـ /1257م [4].

وفي وفاة سرتاق وتولي بركة العرش أورد الجوزجاني رواية لا تخلو من الطرافة فقال: أنه بعد وفاة باتو خان، سافر ابنه سرتاق إلي بلاط منكو قان، وطلب منه أن يوليه العرش خلفاً لأبيه، فأكرمه منكو قان، وأرسله إلي بلاده محملاً بالهدايا، لكنه عندما عاد إلي القفجاق، لم يذهب لرؤية عمه بركة خان، الذي أرسل يسأله عن عدم مجيئه إليه، فأجابه سرتاق بأنك مسلم وأنا مسيحي، ورؤية وجه المسلمين شؤم، فحزن بركة من هذا الرد، وأمر بأن تُنصب له خيمة في الصحراء، جلس فيها وحيداً مقيداً من رقبته بسلسة، يدعو الله، ويسأله أن ينتقم له من سرتاق، وظل على هذه الحال، ثلاثة أيام، حتي توفي سرتاق في اليوم الرابع بداء البطن [5].

---

(1) الهمذاني: تاريخ خلفاء جنكيزخان، ص40؛Howorth,History of the Mongol,p.92

(2) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص402؛

The penny Encyclopedia of the society for the diffusion useful knowledge “tai-wan”, Charles knight and co, London, 1842, vol, 24, p, 74.

(3) الجويني: تاريخ فاتح العالم، مجلد1-ص269؛ الهمذاني: تاريخ خلفاء جنكيز خان، ص40.

(4) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص401؛ الترماني: أحداث التاريخ، ج3، ص943؛ ارنولد: الدعوة إلي الإسلام، ص258؛Vasary ,Berek,p.44

(5) طبقات ناصري: ص230:231.

وقيل أنـه بعـد وفـاة سرتـاق أرادت بـراق شـين[1]،وكانـت صـاحبة نفـوذ وسـلطة أن تـولي ابنها(تدان منكو) السلطة، ولكن أُمراء القفجـاق لم يوافقوهـا عـلى ذلـك، فأرسـلت إلي هولاكـو رسالة تقول فيها: "لقد فرغ الكاش من النشاب وخلا القربان من القوس فتحضر لتسلُّم المُلـك " ومعني الرسالة أنه لم يبق ممانع ولامدافع، وتطلب منه المجئ وتـولي الحكـم، عوضـاً عـن بركـة خان، لكن انكشف أمر الرسالة، وعلم الأمراء بفعلتها، وأمسكوا بها، وهي في طريقها إلي هولاكو، وأغرقوها، جزاء لفعلتها[2].

وبهذا تولي بركة خان الحكم كأول عاهل مغولي مسلم،ومنذ ذلـك الوقـت بـدأ يظهـر الأثـر الفعلي لإسلام بركة خان على الصعيد الداخلي لخانية القفجاق، وعلي الصعيد العالمي .

---

(1) براق شين: كانت زوجة باتو، وأم سرتاق، وتدان منكو، عينها منكوقان وصية على اولاغجي(وفقاً للجويني)، لكنHoworth يشكك في هذه الرواية قائلاً أن اولاغجي هذا هو من عينه بركـة فـيما بعـد حـاكماً عـلى روسيا انظر: (جهانكشاي، م1، ص269؛

Rubruk, his journey p.59 ;History of the Mongol,p.93)

(2) الدويدار: زبدة الفكرة، ص14: ابن خلدون، العبر، ج5، ص534.

الفصل الثاني

السياسة الداخلية لخانية القفجاق

في عهد بركة خان

تُوج بركة خان سلطاناً على إمبراطورية مترامية الأطراف، عُرفت بدولة مغول القفجاق نسبةً لقبائل القفجق[1] الذين سكنوا المنطقة الواقعة بين الفولجا والدون[2]، و أصبحوا أساس سكان خانية المغول، المعروفة باسم (خانية القفجاق)[3]، أو (أولوس جوجي) أي حصة جوجي وممتلكاته، وقد ذُكرت دولة مغول القفجاق في الحوليات الروسية، باسم (Great Horde) أي القبيلة العظيمة[4]، كما عُرفت أيضاً بدولة مغول الشمال، وذلك لوقوعها شمال خانية تركستان وماوراء النهر، وايلخانية إيران، في آسيا الصغري[5]، كما ورد

---

(1) القفجق: اسم تركي، أصله(قبجق) بالباء الفارسية بدل الفاء، ولكن عندما عُربت أبدلت فاء، فصارت (قفجق)، وظل هذا الاسم هو المستخدم في المصادر الإسلامية للدلالة على هؤلاء الترك، الذين عُرفوا في المصادر الروسية باسم بولووشي، و في المصادر الأوروبية باسم قومان، أما سبب تسمية قبائل القبجق بهذا الاسم، فهو أن اغوز خان ملك الترك، كان له قريب توفي اثناء إحدي الغزوات وترك زوجته حامل، وعندما وضعت طفلها كانت في البرية، ولم تجد بيت تضع وليدها فيه كي تحميه من البرد، فوضعته في جوف شجرة، فلما بلغ اوغوز خان هذا الفعل، سمي هذا الطفل قبجق نسبة إلي الشجرة المجوفة التي ولد داخلها، حيث كان قدماء الترك يسمون الشجرة المجوفة قبجق، وإلي الآن يسمي الشئ المجوف، عند أهل قازان، قوبشاق أو كوبشاك، وقد عاش قبجق هذا في كنف اوغوز خان ورعايتهـ حتى تمرد الروس، فأرسل اوغوز خان قبجق هذا ليردهم إلي الطاعة، فتمكن من قمع التمرد، وتولي حكم بلاد الروس، واستقر بذريته في المنطقة الواقعة بين الفولجا والدون، والتي أصبحت تعرف بأراضي القفجاق نسبة إليهم، انظر:(الرمزي: تلفيق الأخبار، ص204- 205؛ بارتولد: تاريخ الترك، ص131).

(2) منطقة ما بين الفولجا والدون تعرف اليوم بجنوب غرب روسيا واوكرانيا انظر:
(Waldman,Encyclopedia of Europe, p.475).

(3) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص205؛ the penny cyclopedia , p. 74

(4) Shirin Akiner, Religious Language of Belarusian,p.18.

(5) طقوش: القبيلة الذهبية، ص13.

ذكرها في بعض المصادر باسم مملكة باتو، وبرية بركة – نسبة إلي "بركة خان"، ومملكة أوزبك نسبة – ل"أوزبك خان"[1]، لكنها اشتهرت باسم القبيلة الذهبية نسبة إلي لون خيام معسكراتهم ذات اللون الذهبي، وتُنطق بالإنجليزية GoldenHorde، وبالمغولية التون أوردا، وبالروسية Zalatya Orda [2].

الإطار الجغرافي لخانية القفجاق:

كان جوجي أول من دخل بلاد القفجاق من بيت جنكيز خان وقد اَفتُتن بها واتخذها مقراً له[3]، وبعد وفاته أتم ابنه باتو فتح بلاد القفجاق، والروس، والجركس، والبلغار، وأوروبا الشرقية [4].

وبهذا عندما آلت مقاليد الحكم إلي بركة، كانت حدود القفجاق تمتد من نهر إريتش شرقاً إلي أرض بلغار الفولجا[5]غرباً، ومن روسيا وبلاد الصقالبة [6] شمالاً، إلي مملكة الإيلخانين في إيران وآسيا الصغري، بالإضافة إلي بلاد ما وراء النهروتركستان في الجنوب[7]، وبهذا تحكَّم مغول القفجاق فيما يعرف اليوم بروسيا وأوكرانيا وسيبيريا

(1) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص382.

(2) John Mendorff , Byzantium and the rise of Russia,study of Byzantium –Russian relations in the fourteenth century ,Cambridge university press , 2010 ,p.37; Buell , Historical Dictionary , p. 72.

(3) الدويدار: زبدة الفكرة، ص14؛ الهمذاني: تاريخ خلفاء جنكيز خان، ص39؛ الصياد: المغول، ص138.

(4) الصياد: المغول، ص186-187؛ الخالدي العالم الإسلامي، ص174.

(5) بلغار الفولجا: كانت تقع في وسط حوض نهر الفولجا، كان لعاصمتهم بلغار أهمية اقتصادية عظيمة، وقد اعتنق بلغار الفولجا الإسلام في القرن العاشر، ثم استولي المغول على بلادهم، ثم ادمجوا مع روسيا في عهد ايفان "1533-1584م" وسلالة بلغار الفولجا يعيشون اليوم في مدينتي "Chuvashia" تشوفاشيا الروسية وقازان –انظر:

(Mercia McDermott,Bulgarian folk Customs, Jessica Kingsley Publishers, London and philadelphia, 1998, p.20; Buell, Historical Dictionary,p,281) .

(6): الصقالبة: ينتمون إلي أجناس مختلفة، و يسكنون البلاد الواقعة بين بلغار والقسطنطينية، انظر: (الحموي: معجم البلدان، ج5، ص373).

(7) ابن خلدون: العبر، ص533 ؛ طقوش: القبيله الذهبية، ص13.

وأجزاء من إيران وأوزبكستان وتركمانستان، كما تحكَّموا في روافد الأقاليم الممتدة في كـل أنحـاء روسيا إلي خليج فنلندا والغرب داخل بولندا وشمال غرب مولدوفا[1]، و قد استمر حكمهم لهذه المناطق الشاسعة، لِمَا يقارب قرنين ونصف من الزمن 636-886هـ/1240-1502م[2].

وكان جيرانهم في الشمال مجموعة قبائل بدائية، بالإضافة إلي الإمبراطوية المغولية، وماعُرف لاحقاً باسم خانية جغتاي في تركستان والشمال، وإيلخانية إيران، أما جيرانهم في الـشمال فكـانوا مجموعة قبائل بدائية، إضافة إلي الإمبراطورية المغولية، والعديد من الأقاليم والإمارات الألمانيـة والبلطيقية والسلافية في الغرب[3]، وقد ضمت تلك الإمبراطوريـة الـضخمة سـكاناً مـن مختلـف الجنسيات والقوميات.

السكان:

ضمت دولة مغول القفجاق بين جنباتها المتسعة سكاناً من مختلف القوميات، تـرك وأرمـن[4]، مـسيحيون كـالروس والأرمـن، ومـسلمون كـالخوارزميين والبلغـار وغـيرهم[5]،

---

(1) Madeleine pelner cosman, Linda g. jones, Life in the Medieval world, facts on file Publishing,2008,vol,1 ,p.219;Buell,historical dictionary, p.72;

انظر: ملحق رقم(2)، لمزيد من التوضيح.

(2) الصياد: المغول، ص187؛ديورانت، قصة الحضارة، ج15، ص159.

(3) Buell , Historical Dictionary , p.73.

(4) الأرمن: طائفة من بلاد الروم عاشت بخانية القفجاق، وقد أسس هؤلاء الارمـن قـديماً دولـة عرفـت باسـم ارمينا الكبري نسبة إلي ارميا بن لنطا بن اوقر بن يافث بن نـوح عليـه الـسلام، الـذي قيـل أنـه أول مـن سكنها فعرفت باسمه، وضمت ارمينيا الكبري مدينة خـلاط في الأناضـول ونواحيهـا، أمـا ارمينيـا الـصغري والتي أسسها القائد الارمني فيلارتوس في جنوب شرق آسيا الـصغري، فـضمت قلقيليـة ونواحيهـا، انظـر: (الحموي: معجم البلدان، ج1، ص203-204؛ ابوالفدا: تقويم البلدان، ص235، عاشور: الحركـة الـصليبية، ج1، ص84).

(5) طقوش: القبيله الذهبيهـ ص13؛

Charles Halperin, Russia and the Mongol Impact on Medieval Russian History Golden Horde, Indiana university press,Bloomington and Indianapolis, 1987, p. 31.

ووثنيون كالمغول، والقفجق الذين كانوا أكثر سكان الخانية اتصالاً بالمغول، وسنتناول بـالتعريف بعض أهم هذه القوميات وأشهرها:

1- القفجق:

هم مجموعة قبائل بدوية تركية، ظهرت في بداية القرن التاسع، وازدادت أعـدادهم خـلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[1]، واستقروا في سـهوب غـرب آسـيا وشرق أوروبـا، وأسسوا مملكة في شبة جزيرة القرم، ونظراً لمجاورة أراضيهم للروس فقـد كـان بيـنهم معـاملات ومصاهرات وحروب طويلة، أضعفت كلاً منهما، الأمـر الـذي أتـاح للمغـول، الانقـضاض علـيهم بسهولة[2]، فاستولوا على كامل بلاد القفجاق وجنوب روسيا عام636هـ/1238م، واسـتقر المغـول بعائلاتهم في أراضي القفجاق، وأدت وحدة الأصل التركي المشترك بين المغول والقفجـاق، وسـهولة التواصل اللغوي، حيث كانت التركية منتشرة بين المغول، إضافة إلي اشتراك الإثنان في العديد من العادات والتقاليد المتعلقة بالبـدو إلي سـهولة انـدماج هـذين العنـصرين سـوياً، حتـي اسـتحال التمييز بينهما، وسُميَّت دولة مغول القفجاق بهذا الاسم نسبة إليهم، كما دخل هؤلاء القفجـاق في الإسلام أُسوة بالمغول[3]، وكان الشعب الآخر الذي اتصل اتصالاً مباشراً بالمغول هم البلغار.

2- البلغار:

هم مجموعة عرقية، عاش جزء منهم على طول نهر الفولجـا، وصـاروا يُعرفـون ببلغـار الفولجا، بينما انتقل الجزء الآخر إلي البلقان، وأسسوا هناك ما يُعرف بدولة بلغاريا على نهـر الدانوب واندمجوا مع السكان الأصليين للمنطقة واعتنقوا المـسيحية[4]، أمـا بلغـار الفولجـا، وهم المقصودون هنا، فقد اختلطوا بـالترك، وصـاروا تركـاً، واعتنقـوا الإسـلام عـلى يـد رجـل

---

(1) طقوش: القبيلة الذهبية، ص14

(2) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص206.

(3) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص220-221 ؛ طقوش: القبيلة الذهبية، ص14.

(4) Buell, Historical Dictionary ,p,281.

صالح يسمي بلار[1]، وأقاموا علاقات جيدة مع العالم الإسلامي منذ وقت مبكر، يـدل عـلى ذلـك قدوم وفد من بلغار إلي الخليفة المقتدر باللــه[2]، يطلبـون منـه العـون ومـدداً عـسكرياً لبنـاء القلاع والحصون، لتحميهم من هجمات الخـزر، وكـذلك إرسـال بعثـة مـن العلـماء لـتفقههم في الدين، وتعلمهم شرائـع الإسـلام[3]، وكـان لعاصـمتهم المـسماة بلغـار[4] أيـضاً أهميـة اقتـصادية عظيمة، فكانت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، تُصدِّر الجلود والفـراء وكميـات كبـيرة من العسل، تطورت فيها صناعة الدباغة، حتي صارت النعـال مـن أهـم صـادرات بـلاد البلغـار، وتعلم الروس منهم صناعة الدباغة، كما ازدهرت لديهم الزراعة، فكان الروس إذا حـل الجفـاف بأراضيهم يستوردون السلع الغذائية من بلغار[5]، وقد اسـتولي المغـول عـلى دولـة البلغـار، عـام 635هـ/1237-1238م وكان عدد سكانها في ذلك الوقت خمسون ألف، انضموا إلي سكان خانيـة القفجاق، و تعاون البلغار مع المغول، في عهد بركة خان، بعد أن وحدهما الإسلام، ومن الجـدير بالذكر أن البلغار اليوم مجموعة عرقية تعيش في سيبيريا[6].

3- الخوارزميون:

يرجـع أصـلهم إلي شـعب (الـلان) الـذي عـاش في الـصحراء الممتـدة مـن منـابع نهـر سـيحون(سـيرداريا)- في دولـة قيرغيزيـا حاليـاً، إلي منـابع نهـر الـدون في غـرب روسـيا، وبعـد

(1) الرمزي:تلفيق الأخبار، ص269.

(2) المقتدر باللـه:295-230هـ خليفة عباسي تولي الخلافة خلفاً لأخيه المكتفي، وكان يبلغ مـن العمـر حينهـا ثلاث عشرة سنة، انظر:(السيوطي:تاريخ الخلفاء، ص585).

(3) ابي الحسن بن على المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة- كمال حسن مرعي، ط1، المكتبـة العصرية، صيدا، بيروت، 1425هـ-2005م، ج1، ص140؛ أحمد بن فضلان بن العباس: رسـالة بـن فـضلان، تحقيق: سامي الدهان، المجمع العلمي العربي، دمشق، ص22.

(4) بلغار: تقع حاليا جنوب مدينة قازان الروسية في خـط مـواز لموسـكو، انظـر: (رسـالة ابـن فـضلان، ص22؛ طقوش: القبيلة الذهبية، ص14).

(5) بارتولد: تاريخ الترك، ص85.

(6) طقوش: القبيلة الذهبية، ص 15؛ Buell,Historical Dictionary , p.127

هجرة الترك لهذه المنطقة، وتعرض اللان للتأثير التركي المباشر- خاصة خلال خضوعهم لحكم السلاجقة، صاروا تركاً، وتحدثوا اللغة التركية، عوضاً عن لغتهم الإيرانية[1].

و تأسست الدولة الخوارزمية في أواخر القرن الحادي عشر، وأصبحت مدينة خوارزم الواقعة على نهر جيحون (امودارايا)، عاصمة للدولة الخوارزمية[2]، التي امتدت من حدود الصين غرباً، حتي العراق في الشرق، كما ضمت أفغانستان وشمال الهند، ومعظم أراضي تركستان وإيران[3]، وقد دخلت خوارزم في صراع مرير مع المغول، الذين التفوا في عملية بطيئة للاستيلاء عليها[4]، ورغم ما أبداه جلال الدين

خوارزمشاه[5]، من مقاومة للغزو، استمرت لسنوات، سقطت خوارزم في النهاية في أيدي المغول، وأصبحت جزءاً من دولتهم[6].

4- الخزر[7]:

هم قبيلة بدوية من أصل تركي، سكنت الأراضي الواقعة غرب بحر الخزر(قزوين حالياً) والذي سُمي بهذا الاسم نسبة إليهم[8]، و أسس هؤلاء الخزر إمبراطورية في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، استمرت منذ عام30 إلي359هـ/650 الي 969م، وامتدت من منطقة الدينبر في الغرب إلي خوارزم والقرم في الشرق، ومن وسط الفولجا في

(1) حافظ احمد حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، دارا لفكر العربي، ص25؛ بارتولد: تاريخ الترك، ص158.

(2) بارتولد: تاريخ الترك، ص159.

(3) حافظ حمدي: الدولة الخوارزمية، ص36؛ البار: كيف أسلم المغول، ص14.

(4) بارتولد: تاريخ الترك، ص، 159؛ Buell ,Histirical Dictionary, p.178

(5) جلال الدين خوارزمشاه: يلقب بجلال الدين منكبرتي، عهد إليه والده السلطان علاء الدين بولاية العهد عام 617هـ-12220م، استمر في مقاومة المغول، إلي أن قُتل في جبل كردستان بالعراق628هـ-1231م عام انظر: (حافظ حمدي: الدولة الخوارزمية، ص 224-225؛ عفاف صبرة: التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، ص191).

(6)Buell ,Historical Dictionary ,p.179.

(7) الخزر: سموا بهذا الاسم لصغر عيونهم، انظر: (الرمزي: تلفيق الأخبار، ص168).

(8) الرمزي:تلفيق الأخبار، ص169.

الشمال إلي سهوب القوقاز الشـمالية في الجنـوب[1]، وقـد اعتنقـت الطبقـة الحاكمـة لدولـة الخـزر الديانـة اليهودية في القرن الثامن الميلادي، وأصبحت هي الديانة الرسمية للدولة، بينما تـألف الشـعب مـن أغلبيـة مسلمة ومسيحية، وأقلية يهودية [2].

و دخل الخـزر في حـروب طويلـة مـع الـروس، انتهـت بـزوال دولـتهم عـام 355-358هــ/965-968م وفرارهم من ويلات الحرب إلي جزيرة يساه كوه، الواقعة على الشـاطئ الشرقـي لبحـر قـزوين، وإلي مدينـة دربند[3]-ومن خزر العصور الوسـطي ينحـدر يهـود أوروبـا الشرقيـة-[4]، ولا شـك أن بعـض هـؤلاء السـكان الفارين قد عادوا إلي موطنهم مرة أخري، وأصبحوا جزءاً من خانية القفجاق.

5- الآص:

الآص عنصر من العناصر التركية كانوا نصاري، ويـذكر أبـو الفـدا أنهـم اسـتمروا عـلى ديـانتهم ولم يُجـــبروا عـــلى الـــدخول في الإســـلام[5]، أمـــا ابـــن بطوطـــة فيـــذكر أنـــه قـــابلهم في سراي و

[1] .دنلوب: تاريخ يهود الخزر، ترجمة:سهيل زكار، ط2، دار حسان، دمشق، 1410هـ-1999م، ص71؛
Peter Golden ,Khazar studies: Achievements and Perspectives –in –“the world of the khazar” ,oriental studies,brill,leiden,2007,vol.17,p.7.

[2] الرمزي: تلفيق الأخبار، ص170، ابن فضلان: رحلته، ص162؛ بارتولد: تاريخ الترك، ص81.

[3] دربند: تقع فيما يعرف اليوم بدولة داغستان وتطل على بحر قزوين وتعرف لدي العرب باسم باب الأبواب كانت أكبر ميناءعلي بحر قزوين في العصور الوسطي ومركز مهم للتجارة والترانزيت بين الشرق والغرب :انظر:
(Sheila .S. Blair, the Monumental Inscriptions from early Islamic Iran and transoxiana, Brill press,Leiden,New york,1992 , p.17).

[4] دنلوب: يهود الخزر، ص223-226-345.

[5] تقويم البلدان، ص203؛ القلقشندي: صبح الأعشي، ج4، ص465، .

أن منهم من كانوا يعتنقـون الإسـلام[1]، ولم يـدخل هؤلاءالنـصاري في الإسـلام بـالإكراه بـل كـان قساوستهم يعاملون معاملة مشايخ المسلمين ويُعفون من الضرائب[2].

وهكذا استوعبت دولة مغول القفجاق تركيبة سكانية متنوعة عرقياً، ودينياً ولغوياً.

سياسة بركة خان تجاه التعددية الدينية في خانية القفجاق:

كان من الطبيعي أن يؤدي التنوع العرقي لسكان القفجاق إلي وجود تنوع وتباين في شـتي مناحي الحياة بوجه عام، وفي الناحية الدينية بوجه خاص، فضمت القفجاق خليطاً من الديانات السماوية والوثنية كان أبرزها أو أوسعها انتشار الشامانية والمسيحية والإسلام.

1- الشامانية:

كانت الديانة الأصلية للمغول، وهي إحدي الديانات الوثنيـة، حيـث آمـن المغـول بإلـه واحد اعتقدوا بأنه خالق كل شئ في هذا العـالم[3]، لكـن رغـم اعـترافهم بوجـود هـذا الإلـه العظيم القادر، لم يؤدوا له الصلوات، وعبروا عن إيمانهم بأشكال مختلفة كالكهانة والنبـوآت والتعويذات لطرد الأرواح الشريرة وتقديم القرابين للآلهة كي تحميهم مـن الأرواح الـشريرة، التي اعتقدوا في قـدرتها عـلى إيـذائهم، كـما اعتقـدوا في قـدرة أرواح المـوتي عـلى التـأثير في حياتهم بالسلب أو الإيجاب لهذا عبدوها[4]، إلي جانب الأصنام، التي احتلت مكانة كبـيرة في حياتهم، فكانوا يصنعونها مـن القـماش، عـلى هيئـة رجـل ويـضعونها عنـد مـدخل الخيمـة لحمايـتهم، كـما كـانوا يـضعونها في أشـكال تـشبه الـضرع، لاعتقـادهم أنهـا بهـذا الـشكل،

(1) رحلة ابن بطوطة، ص273.

(2) بارتولد: تاريخ الترك، ص195.

(3) القلقشندي: صبح الأعشي، ص310؛

Giovannai DIplano Caripini , the story of the Mongol whom we called tartars ,translated by Erik hildinger , branden publishing ,1996, p .42.

(4) ارنولد: الدعوة إلي الإسلام، ص251؛ Hartog , Genghis khan , p,167

ستحمي قطعان الماشية، وتتسبب في زيادة الحليب والنسل[1]، وقد بلغت أهمية هـذه الأصـنام في حياتهم واعتقادهم في قدرتها، أنهم كانوا يقدمون لها اللبن الأول لكـل القطعـان، لـيس هـذا فقط، بل كانوا عندما يبدأون في تناول الطعام أو الشراب، يقـدمون لهـا أولاً كوبـاً أو وعـاءً مـما يتناولون، وعندما يقتلون حيواناً، كانوا يقدمون قلبه قرباناً لهذه الأصنام[2]، كـما كـانوا يقـدمون لها الجياد والتي يُحرم على الجميع ركوبها بعد ذلك، كما كان لديهم صنم لجنكيـز خـان وصـنم للخان الحالي[3].

ولم يقتـصر المغـول عـلى عبـادة الأصـنام بـل اتخـذوا مـن الـشمس والجبـال و الأنهار والقمر والبرق والنيران آلهة، فتسلقوا الصخور في الجبـل المقـدس للاقـتراب مـن الجنـة الأبدية والتحدث مع اللـه[4].

- موقف بركة خان من الشامانية:

تعامـل بركـة خـان بتـسامح تـام مـع أتبـاع الـشامانية، الـذين كـان أغلـبهم مـن المغـول، وحاول استمالتهم إلي الإسلام باللين، وبذل الهدايا لهم، ولم يُؤثْر انتماؤه الـديني المختلـف عـلى علاقتـه بأمرائـه ورجالـه، فنجـد نوغـاي (ت-699هـ/1300-1299م) حفيـد ابـن أخـي بركـة، وقائـد جيوشـه، وصاحب النفوذ الأقوي في القفجاق، قد ظل على الشامانية، بل وغدا نقطة الاتصال بـين الأمـراء الـذين دانوا بالإسلام، وبين أولئك الذين أبوا التحول عن دين المغول القديم، بل بلغ نفوذ نوغاي داخل خانيـة القفجاق أن ظهرت قبيلته والتي ظل أغلبها على الشامانية كقبيلة مستقلة[5]، ولم يعتنق نوغاي وأبنـاؤه

(1) Caripini, the Story of the Mongol, p. 42.

(2) الصياد: المغول، ص334؛ Caripini the Story of the Mongol,p.42

(3) الصياد: المغول، ص335؛ Carpini ,the Story of the Mongol, p. 43

(4) الصياد: المغول، ص335؛ Hartog ,Genghis khan, p. 7

(5) ارنولد: الدعوة إلي الإسلام، ص271؛

Anne.F.Broadbridge, Kingship and Ideology in the Islamia and the Mongol worlds,,1ed, Cambridge university press,2008,p,59.

الإسلام إلا عام669هـ/1270م[1]،أي بعد وفاة بركة خان، وكما تعامل بركة خان مع أتباع الشامانية تعامل بالمثل مع أتباع الديانة المسيحية.

2- المسيحية:

كان للنفوذ المسيحي في خانية القفجاق، شأن ليس بالقليل، وذلك بحكم موقعها الجغرافي القريب من الإمبراطورية البيزنطية، بتأثيرها المسيحي، وثقافتها المسيحية، والحدود المشتركة، والتلاصق الشديد، مع شعوب أوروبا، إضافة إلي وجود شعوب مسيحية بأكملها، تدين بالطاعة للمغول، كالروم، وبلغار الدانوب، ومعظم سكان شبه جزيرة القرم[2]، والروس، حيث الكنيسة الروسية الأرثوذكسية، أكبر الكنائس اتباعاً على مستوي العالم[3].

- **موقف بركة خان من المسيحية:**

ظل المسيحيون في مملكة بركة خان مستقلين تماماً، بأحكامهم الدينية والملكية يجرونها كيفما شاءوا، وإذا حدث لهم عائق أو مضايقة في أمر من أمورهم الدينية، كانوا يشتكون إلي الخان، فيدفع عنهم الضرر[4]، وفي العلاقة بين المسيحيين والسلطة في عهد بركة خان تقول martin"أصبح التفاعل بين الكنيسة والسلطة في القفجاق أكثرَ مباشرةً وانتظاماً في عهد بركة خان، الذي احترم جميع الديانات، وتسامح مع كل المؤسسات الدينية في دولته، بما في ذلك الكنيسة الأرثوذكسية الروسية، فرغم إسلامه لم يضغط أبداً على السكان الروس كي يتبعوا ديانته، على العكس من ذلك تمتعت الكنيسة الروسية بإمتيازات خاصة في عهده"[5]، كما أبقي بركة على قانون اعفاء رجال الدين، وممتلكات الكنيسة من

(1) Istvan Vasary, Cumans and Tatars Oriental Military in pre-ottoman Balkans ,1185-1305,1ed, Cambridge university press,New York,2005,p,89.

(2) عبدالحليم رجب: انتشار الإسلام، ص56.

(3) الموسوعة العربية الميسرة، م5، ص2748.

(4) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص387.

(5) Medieval Russia (980.1584),2ed, Cambridge university press,2007, p,156.

دفع الجزية، وفي سراي تم فتح الكنائس التي تمثل مختلف الطوائف، وفي عـام 660هــ/1261م، أُنشئت كاتدرائية أرثوذكسية بالعاصـمة سراي[1]، وفي المقابـل كانـت الكنيـسة تـصلي مـن أجـل الخان بانتظام، كما تعاونت معه أيضاً في الكثير من الأمور الدنيوية، خاصةً الأسـاقفة المعينـين في سراي من قبل المطران كيرل[2]– والذين خدموا كسفراء دبلوماسيين للخـان، وتواجـدوا في الـبلاط لمقابلة الزائرين لبلاطه من المسيحين الأرثوذكس، فمنذ عام659هــ/1260م-وخـلال بقيـة القـرن الثالث عشر، أدت النخب الكنسية، خدمات شخصية وسياسية للخان[3]، كما توالت الهبات عـلى المؤسسات الدينية، حتي أُثْرِت الكنيسة ثراء فاحشاً، وسط الفقر السائد في البلاد[4].

3- الإسلام:

تدفق التـأثير الإسـلامي عـلى مغـول القفجـاق مـن ثـلاث جهـات، الـشرق حيـث خـوارزم، وتركستان المسلمتان، والشمال حيـث شـعب البلغـار المـسلم، والجنـوب حيـث سـلاجقة الـروم المسلمون[5].

وبالطبع شَكَّلت خانية القفجاق، مسرحاً لتنافُس كلٍ مـن المـسيحية والإسـلام لاجتـذاب هـؤلاء الـوثنيين، فحـاول المـسيحيون الأرثـوذكس اجتـذاب هـؤلاء الغـزاة الجـدد، ونـشر

---

(1) Martin ,Medieval Russia,p,156 ;Eric shiraev ,Russian Government and Politics,1ed,Palgrave, Macmillan,2010,p,29.

(2) كيرل: كان رئيس أساقفة الدير المحلي في غاليسيا قبل أن يعينه دانيال أمـير غاليـسيا وفوليينـا، مطرانـاً وفي عام 1246م سافر كيرل إلي القسطنطينية لتنصيبه هناك، وعاد منها في عام1250م، وفي عـام 1261م انـشأ كيرل ابرشيه جديده مع مركزها الأسقفي في سراي، ربما كان الهدف منها توليد القرب بين الخان و المطران أومحاباة للعقيدة الارتوذكسية، وقد توفي كيرل في ديسمبر 1281م-في شمال روسيا ونقل جـسده لكييـف حيث دفن هناك- انظر:

(Daniel .h.shubin ,History of Russia Christianity:from the earliest years through tsar ivan iv, Algora publishing ,2004 , vol,1,p.87-88).

(3) Martin, Medieval Russia, p.155-156; Myendroff, Byzantium ,p.44-45.

(4) ديورانت: قصة الحضارة، ج15، ص160.

(5) عبدالحليم رجب: انتشار الإسلام، ص56، الخالدي: العالم الإسلامي، ص197.

المسيحية بينهم، وذلك رداً على انتشار الإسلام في بلدان كثيرة من آسيا[1]علي حساب المسيحية الأرثوذكسية، و كان هدف هؤلاء الأرثوذكس، هو تحويل هؤلاء الحكام الجدد إلي المسيحية الأرثوذكسية، ونشرها بين غيرهم من القبائل التركية والمغولية الوثنية، إضافة إلي التبشير بالمسيحية بين المسلمين المنهزمين في ذلك الوقت[2]، وهكذا هدَفَ مسيحيو آسيا للفوز بهذا الشعب الحاكم من جهة، وضرب الإسلام،ودعم القسطنطينية وغيرها من البلدان المسيحية الشرقية مثل جورجيا وأرمينيا في مقاومتهما أمام سلاجقة الروم المسلمين، والتركمان، والأيوبين، وسلاطين والمماليك من جهة أخري[3].

و إضافة إلي جهود مسيحي آسيا، تعرض هؤلاء الحكام الجُدد إلي تأثير مسيحي غرب أوروبا، الذين أرادوا نشر مذهبهم الكاثوليكي في بلاد آسيا، تدعمياً لنفوذهم في تلك البلاد من جهة، و تأميناً لتجارتهم فيها من جهة أخري[4].

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف نشطت البابوية وملوك أوروبا في إرسال الرسل والبعثات التَبشيرية، ليس إلي القفجاق فحسب، بل إلي جميع أنحاء إمبراطورية المغول، فأرسلت البابوية برجالها الفرنسيسكان إلي بلاد القفجاق منذ وقت مبكر، في بعثات تبشيرية تهدف إلي نشر المسيحية وبناء الكنائس[5]، ورغم هذه الجهود المبذولة من جانب المسيحين الأرثوذكس و الكاثوليك لاجتذاب مغول القفجاق للمسيحية، فقد فشلت في النهاية، وتراجعت أمام نجاح الدعوة الإسلامية في اجتذاب هؤلاء الحكام إلي معسكر الإسلام، فاعتناق بركة خان للإسلام جاء بعد فتح المغول لهذه البلاد بحوالي عشرين عاماً، وبذلك فإن مدة الحكم الوثني في خانية القفجاق كانت أقصر مدة عرفتها ممالك المغول

(1) عبدالحليم رجب: انتشار الإسلام، ص29.
(2) عبدالحليم رجب:انتشار الإسلام، ص29.
(3) عبدالحليم رجب:انتشار الإسلام، ص29:30؛ ارنولد: الدعوة إلي الإسلام، ص254.
(4) عبدالحليم رجب: انتشار الإسلام، ص30؛ الخالدي: العالم الإسلامي، ص177.
(5) عبدالحليم رجب:انتشار الإسلام، ص49؛ هلال:العلاقات بين المغول وأوروبا، ص63.

الوثنية قاطبة[1]، والتي تحولت هي الأخري إلي الإسلام تباعاً، فاعتنق مغول فارس الإسـلام، رغـم تعرضهم لتأثير مسيحي مماثل لما تعرضت له خانية القفجاق، مع وجود عنصر إضافي، وهو تأثير الزوجات المسيحيات في البلاط، حيث تزوج خانات فارس بزوجات مـسيحيات[2]، وكـذلك انتهـي الحال في خانية جغتاي، في بلاد تركستان و ماوراء النهـر، حيـث دار الـصراع هنـاك بـين البوذيـة والشامانية من جهة، وبين الإسلام من جهة أخري، لكن انتهي الأمر بانتصار الإسـلام[3]، وانتـشاره بين مغول هذه البلاد، وتغُّير الأحوال لصالح المسلمين المضطهدين هناك[4].

و يعزو الدكتور عادل هلال تحول المغول إلي الإسلام، بأنه جاء اتباعـاً لـديانات ومعتقـدات رعاياهم، وذلك ضماناً لولائهم واستقرار عروشهم، فاعتنق قوبيلاي قان البوذية ديانـة رعايـاه في الصين، بينمااعتنق مغول فارس والتركستان والقفجاق الإسلام، الـذي كـان ديـن الأغلبيـة في تلـك المناطق[5].

وتختلف الباحثة مع هذا الرأي، الذي تنفيه العديد مـن الـشواهد، فبالنـسبة لمغـول القفجاق فقد دان بالمسيحية أعداد كبيرة من رعاياهم كالروم والجركس والروس، وهؤلاء مثلوا نسبة ضخمة مـن الـسكان، إضـافة إلي التـأثير المـسيحي القـادم مـن بيزنطـة، عـبر الحدود البرية والمائية المشتركة، والتجار الأجانب المتواجدون بـالقرم إضـافة إلي أن المـدار التوسعي لخانية القفجاق كان أوروبا المسيحية، فغزا بركة خان بولنـدا والمجـر، ووصـلت

---

(1) الصياد: المغول، ص337؛ عبدالحليم رجب: انتشار الإسلام، ص36.

(2) عبدالحليم رجب: انتشار الإسلام، ص36؛ ارنولد: الدعوة إلي الإسلام، ص260.

(3) حدث هذا عندما اعتنق طرماشيرين(726-734هـ/1326-1334م) حاكم خانية جغتاي الإسلام، وهو الأمـر الذي مهد الطريق لإسلام الجغتائيين بعد ذلك، انظر:

(Michal Biran, the Chaghadaids and Islam the conversion of Tarmashirin khan (1331-34), journal of the American oriental society ,vol ,122,no.4,(oct-dec,2002),p,742.).

(4) عبدالحليم رجب: انتشار الإسلام، ص37-38؛ ارنولد: الدعوة إلي الإسلام، ص266.

(5) العلاقات بين المغول وأوروبا، ص199.

تهديداته حتي فرنسا[1]، إضافة إلي أن المسلمين، وخاصة مسلمي آسيا، كانوا في حالة ضعف شديدة، عقب الغزو المغولي لبلادهم، وفي هذا الصدد يقول أرنولد :" أن منافسة الإسلام لغيره من الديانات القوية كالبوذية والمسيحية في مستهل الحكم المغولي، كان عملاً بعيد المنال، إذْ أن المسلمين كانوا قد قاسوا أكثر من غيرهم، وأصبحت مدنهم التي كانت مركزاً للسلطة الدينية، وقبلة للعلم أطلالاً بالية، كما كان نصيب فقهائهم القتل والأسر"[2].

والوضع هكذا فوفقاً للرأي السابق كان الأحري ببركة خان الذي اعتنق الإسلام في تلك الفترة المبكرة من الغزو المغولي اعتناق المسيحية عوضاً عنه، حفاظاً على مصالح القفجاق الاقتصادية مع بيزنطة، واسترضاءً للروس الذين أظهروا مقاومة في بداية الغزو، واستمالة لأوروبا المجال التوسعي لخانية القفجاق.

أما خانية تركستان: فكان الصراع الأساسي فيها قائماً بين الشامانية والبوذية، لأنها كانت أقرب إلي بلاد الصين والخطا، حيث تسود الشامانية والبوذية والكونفوسشية، وأدي هذا القرب إلي بقاء خانات جغتاي على وثنيتهم لمدة طويلة، كما ناهض حكامهم الإسلام واضطهدوا المسلمين[3]، حتي غادروا الجزء الصحراوي من دولتهم، وانتقلوا إلي بلاد ماوراء النهر وأقاموا بها، وهناك تأثروا بالحضارة الإسلامية، فاعتنقوا الإسلام في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، أي بعد ما يقارب قرن ونصف من حكمهم تلك البلاد[4].

---

(1) عبدالحليم رجب: انتشار الإسلام، ص56؛
Peter Jackson, the Mongol and the West(1221-1410),Pearson Longman, Harlow, England, 2005, p.123.

(2) الدعوة إلي الإسلام، ص256.

(3) عبدالحليم رجب: إنتشار الإسلام، ص38؛ بارتولد: تاريخ الترك، ص196.

(4) المرجع نفسه، ص38، بارتولد: ص196.

وكما كان الحال في خانية جغتاي، كان في إيلخانيـة إيـران، ودار الـصراع الأسـاسي فيهـا بـين البوذية والإسلام، حيث اعتنق هولاكو وأبناؤه من بعده البوذية، وكثرت المعابد البوذيـة بـإيران، ووفـد إليهـا الرهبـان البوذيـون قـادمون مـن الهنـد، وأدي هـذا الانتـشار البـوذي إلي اضـطهاد المسلمين هناك[1]، واستمر الحال هكذا، حتي تحول غازان خان(694هـ-1295م/703هـ-1304م) ابن أرغون خان من البوذية إلي الإسلام، الذي أصـبح منـذ ذلـك الحـين الديانـة الرسـمية لدولـة المغول بإيران[2].

وبهذا تتبقي دولة واحدة من دول المغول لم تعتنق الإسلام، وهـي دولـتهم في الـصين، التـي اعتنق حكامها الجينكيزيون البوذية، وربما يرجع ذلـك، إلي تكـاثف نـشاط الرهبـان البـوذيين في تلك البلاد، وبُعدها عن مجال التأثير الإسلامي، ووجودهـا في مجـال التـأثير البـوذي، الـذي سـاد هذه البلاد، إضافة إلي العطف والمساندة، التي تمتعت بهـا البوذيـة مـن جنكيـز خـان[3]، ولـيس اتباعاً للصينين أو ضماناً لولائهم، فالمتتبع للثقافة الصينية، يجد أنها حاولت إضفاء الشرعية عـلى الغزو، عن طريق الاعتقاد بأن السلالة الحاكمة مفوّضـة مـن اللـــه، حتـي لـو كانـت غازيـة أو أجنبية[4]، إضافة إلي أن الحكام الجنكيزيين في الصين قد قسموا الشعب إلي أربع فئات هرمية:-

الفئة الأولي: ضمت المغول كافة فقراء وأغنياء، بينما تألفت الفئة الثانية: من الأجانب مثـل المسلمين والمسيحين، الذين كانوا في ثاني أعلي فئة، وأصبح بعضهم قادة وإداريـين عـلى مـستوي عالٍ من النفوذ، وجاء في الفئة الثالثة: شمال الصين الذي استسلم للحكم المغولي، في وقت سابق عن جنوب الصين، الذي قاوم الغزو لأكثر من نصف قرن، فوضعوا في أدني مـستوي مـن الفئـات الاجتماعية لمنعهم من تقويض نظام الحكم[5].

(1) عبدالحليم رجب: إنتشار الإسلام، ص41؛ ارنولد، الدعوة إلي الإسلام، ص263.

(2) المرجع نفسه، ص41؛ ارنولد: ص263.

(3) المرجع نفسه، ص40.

(4) Hlperin , Russia and the Golden Horde,p.8.

(5) Xinruliu,the Silk Road in World History ,Oxford university press ,2010,p,117:118.

وبهذا نجد أن اعتناق ثلاثة أرباع الإمبراطورية الجنكيزية للإسلام، لم يأت اتباعاً لأهواء شعوبهم، وإنما اقتناعاً به لكونه كما يقول بارتولد "دين عالمي بمعني الكلمة"[1].

وبالعودة إلي خانية القفجاق، وما أحدثه إسلام بركة خان من تأثير على الساحة الداخلية للخانية التي دان حكامها السابقون بديانة وثنية، نجد أن الأثر المباشر لإسلام بركة خان قد ظهر بصورة واضحة في حرصه على إظهار شعائر الإسلام، والذود عن أهله، وفي هذا الصدد يقول الجوزجاني: "أن كل جيش بركة خان كان مسلماً، كما جرت العادة بأن يحمل كل فارس في جيشه سجادة للصلاة، حتي إذا حان وقتها، انشغلوا في صلاتهم، كما لم يكن في جيشه شخص واحد يتعاطي الخمر"[2]، كما حُرم أكل لحم الخنزير في بلاطه، و طُبق هذا الإجراء حتي في الأماكن التي يصعب الوصول إليها، كما كان له مساجد على هيئة خيم تُحمل معه، وله مؤذن، وتقام في بلاده الصلوات الخمس والجمعة، وأنشأ الكثير من مدارس تحفيظ القرآن للأطفال[3]، كما قرب إليه المسلمين، وأكرم من يفد منهم إليه، وذكر سفراء مصر، أنهم التقوا في بلاط بركة برجل فقير من أهل الفيوم، اسمه الشيخ أحمدالمصري، كان له عنده حظوة، ومنزلة كبيرة[4].

كما ضمت الطبقة الاجتماعية الراقية في بلاده مشاهير العلماء، من الفقهاء والمحدثين والمفسرين والمناظرين[5]، حتي قال الرمزي: "أنه اجتمع عنده وعند أوزبك من بعده من العلماء والأدباء والظرفاء مالم يجتمع في مصر ولا قراها"[6]، كما امتلك بركة خان مكتبة ضخمة ضمت الكثير من كتب الدين، وكانت أكثر مجالسه ومناظراته مع علماء الدين، أما علم الشريعة فقد كان موضع نقاش دائم في بلاطه[7].

---

(1) تاريخ الترك، ص88.

(2) طبقات ناصري، ص227.

(3) الدويدار: زبدة الفكرة، ص14؛ ابن تغربردي: النجوم الزاهرة، ج7، ص222؛ بارتولد:تاريخ الترك، ص195.

(4) الذهبي: تاريخ الدول، ص191؛ الرمزي: تلفيق الأخبار، ص439.

(5) الجوزجاني: طبقات ناصري، ص227؛ ارنولد: الدعوة إلي الإسلام، ص259.

(6) تلفيق الأخبار، ص411.

(7) الجوزجاني: طبقات ناصري، ص227.

وإلي جانب اهتمامه بعلوم الدين الإسلامي، اهتم بركة خان بالمسلمين وأحوالهم، وحرص على الذود عنهم، يدل على هذا ما رواه الجوزجاني عن تحول أحد مسيحي سمرقند إلي الإسلام، والذي تزامن مع قدوم موظف مغولي رفيع المستوي من الصين، وكان مائلاً إلي المسيحية[1]، فذهب إليه مسيحيو سمرقند، يشكون إليه إسلام هذا الشاب، ويقولون أن المسلمين يجتذبون ابناءنا إلي الإسلام، وإن استمر الأمر هكذا، فسيتحول أبناؤنا كلهم إلي الإسلام، فما كان من المغولي إلا أن أرسل إلي الشاب المسلم حديثاً، واستخدم معه كل وسائل الترغيب والترهيب ليرتد عن الإسلام، لكن الفتي أصر على إسلامه، ورفض العودة إلي المسيحية، فأمر المغولي بتعذيب الفتي أمام الجميع، حتي استشهد تحت التعذيب، فخاف مسلمو سمرقند على أنفسهم[2]، وذهبوا إلي بلاط بركة خان، يشكون إليه تصرف مسيحي سمرقند، فغضب بركة خان، من هذه الأخبار و أرسل مجموعة من العسكر، وبعض زعماء المسلمين، وأمرهم أن يذبحوا مجموعة المسيحين، الذين ارتكبوا هذا الفعل، فانتظروا حتي اجتمعت تلك المجموعة في الكنيسة، ثم قبضوا عليهم وقتلوهم، وأحالوا الكنيسة أطلالاً بالية[3].

ومما سبق يمكن تلخيص السياسة الدينية لبركة خان، فى أنه كان حاكماً مسلماً سُنِّياً، يري أن من واجبه الدفاع عن الإسلام والذود عن مستضعفيه، دون أن يؤدي هذا إلي اضطهاد رعاياه من أتباع الديانات الأخري، فتعامل بسماحة دينية بالغة مع جميع رعاياه، ولعل أفضل وصف لبركة هو قول ماركو بولو عنه " أنه أكثر أمراء التتار آنذاك تحرراً وتمدنا"[4].

---

(1) الجوزجاني: طبقات ناصري، 228.

(2) الجوزجاني: طبقات ناصري، ص228:229.

(3) الجوزجاني: طبقات ناصري، ص229.

(4) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص410؛ باولو: رحلاتهـ ص33.

اللغـــة:

كان من الطبيعـي مـع وجـود هـذا التعـدد العرقـي والـديني للـسكان، أن تتنـوع اللغـات المستخدمة داخل الخانية أيضاً، مابين الروسية والتركية التي انتشرت بلهجاتها وفروعها المختلفة، و أبرزها القفجاقية لغة السكان الأصليين للخانية[1]، إلي جانب الأيغورية اللغة الأصلية للمغـول، والتي لم تكن معروفة في بلاد القفجاق قبـل الغـزو المغـولي، وحتـي بعـد الغـزو المغـولي لأراضي القفجاق لم تحقق الأيغوريـة انتـشاراً هنـاك، واقتـصر اسـتخدامها عـلى الـبلاط المغـولي[2]، فقـد تراجعت أمام التركية التي شاع استخدامها في بلاط القفجاق وأصبحت اللغة الرئيـسية هنـاك[3]، ويؤكد هذا الأمر سفراء مصر ببلاط بركـة خـان، الـذين ذكـروا أن شرف الـدين القزوينـي قـاضي قضاة القفجاق، قد قرأ كتاب بيبرس على بركة خان باللغة التركية، كما ذكر ابن بطوطة أن اللغة المستخدمة في بلاط أوزبك خان كانت التركية أيضاً[4]، وإلي جانب انتشار التركية، أدي إسلام بركة خان في منتصف القرن الثالث عشر إلي انتشار المعرفة باللغة العربية، إلي جانب الفارسـية التـي انتشرت بشكل واسع بين طبقة الخاصة، وبلا شك أصبحت الكتابة باللغة العربية أمراً مألوفا[5].

الحياة الاجتماعية في عصر بركة خان:

كان التنوع والتعدد هو السمة الرئيسية للحيـاة في خانيـة القفجـاق، فكـما تنـوع الـسكان عرقيـاً ودينيـاً ولغويـاً، تنوعـوا أيـضاً في طـرق العـيش، ومـا يهمنـا هنـا هـو الحيـاة الاجتماعيـة

---

(1) Waldman , Encyclopedia of European,475 ; Buell, Historicall Dictionary p, 178 ; Aleman, Sources on the Alans, p,1.

(2) بارتولد: تاريخ الترك، ص193.

(3) لم يكن للعنصر المغولي منزلة كبيرة في بلاد القفجاق، وكان أغلب الجـيش المغـولي، مكـون ممـن يتحـدثون التركية، ومن الناحية العرقية كان الترك في الجيش المغولي، أكثر عدداً من المغول أنفسهم- انظـر: (باتولـد: تاريخ الترك، ص191؛

(Akiner ,Religious Language of Belarusian,p,18).

(4) ابن بطوطة: رحلته، ص248 ؛ الرمزي: تلفيق الأخبار، ص439.

(5) Akiner, Religious Language of Belarusian, p .18.

للعنصران الأساسيان للسكان، والطبقة المؤثرة في إدارة شئون الدولة، وهما القفجق السكان الأصليين للخانية، والمغول الحكام الجدد، وذلك لاشتراكهما معاً في الأصل، وانصهارهما سوياً بعد الغزو.

1- العادات والتقاليد:

كان للنشأة البدوية للمغول وديانتهم الوثنية، أثر بارز في عاداتهم وتقاليدهم التي توراثوها جيلاً بعد جيل من ذلك: عادة منتشرة بين جميع الشعوب البدوية وهي عادة سُكني الخيام، التي حافظ عليها المغول حتي بعد فتحهم الكثير من بلدان العالم المتمدن، واضطرارهم إلي الإقامة بالأماكن الحضرية، ومن الأمور التي ارتبطت بسكني الخيام كانت عادة المصايف والمشاتي، فقد اعتاد المغول على تغيير محل إقامتهم وفقاً للفصول، فينتقلون في فصل الشتاء إلي المناطق الأكثر دفئاً، ويقتربون في فصل الصيف من المناطق الساحلية ذات الهواء المعتدل[1]، وقد اتخذت هذه الأماكنُ المخصصة للمصايف والمشاتي شكل مدينة كبيرة متنقلة من الخيام، حيث كان يقيم فيها الخان، إلي جانب السكان الذين يمثلون جميع الطوائف من قادة جيش، وقضاة وكتاب وصناع وتجار، كما كانت تُقام بها الأسواق لإمداد السكان بمايلزمهم[2]، و ظل بركة خان محتفظاً بهذه العادة المرتبطة بسكني الخيام والانتقال بين سراي المقر الشتوي للخانات وبين بلغار[3].

كما مارس المغول بعض الطقوس والعادات المرتبطة بسكني الخيام والمستمدة من الديانة الشامانية، كعدم إلقاء الطعام، أو الحليب، أو الشراب، على أرض الخيمة، أو التبول داخلها، فإن فَعل أحد ذلك متعمداً فإنه يُقتل، وإذا لم يكن يعلم، فإنه يدفع غرامة كبيرة للساحر الذي سيطهر الخيمة، وخلال عملية التطهير يجب أن تمر الخيمة وكل ما فيها بين

(1) الدويدار: زبدة الفكرة، ص4؛ الصياد: المغول، ص351.

(2) ابن بطوطة: رحلته، ص251؛ الصياد: المغول، ص351.

(3) ماركو باولو: رحلته، ص33 ؛ هايد، تاريخ التجارة، ص83.

نارين، وقبل أن يتم ذلك لا يجرؤ أحد على الدخول إليها، أو أخذ شئ منها[1]، وأيضاً اذا أُعطي أحد قطعة طعام ولم يأكلها أو بصقها، فإنه يُحفر له حفرة تحت الخيمة يُسحب إليها ويُقتل بلا رحمة، وإذا وطأ أي شخص بقدمه عتبة خيمة الأمير، فإنه يقتل بهذه الطريقة أيضاً[2]، وعند قدوم سفراء الدول الأخري للزيارة يجب عليهم أن يمروا هم وأمتعتهم بين نارين لتطهيرهم قبل دخولهم خيمة الأمير، لعلهم جلبوا معهم سحراً أو بعض الشر، ويكون دخولهم عليه من جهة اليسار[3].

وقد ظل بركة خان رغم إسلامه متمسكاً بتلك العادات ذات الأصل الوثني، حيث ذكر رُسل مصر في بلاط بركة خان أنه تم التنبيه عليهم بالدخول عليه من جهة اليسار، وعدم الانتقال إلي الجهة اليمني إلا بعد أخذ الكتب منهم، وألا يدخلوا عليه الخيمة بسلاح، ولا يطأوا بأقدامهم عتبة الخيمة، كما تم التنبيه عليهم أيضاً بألا يأكلوا ثلجاً، ولايغتسلوا أو يغسلوا ثيابهم في النهر[4]، حيث اعتقد المغول أن الأنهار وينابيع المياه تمثل الآلهة، لذلك لم يكن مسموحاً بتلويث المياه، بغسل الجسم فيها أو الملابس، أو أواني الطهو، حيث كان هذا الأمر ممنوعاً منعاً باتاً وفقاً لمعتقدات المغول الدينية، و أدي هذا الأمر إلي غياب كامل للنظافة وسط المغول، الذين وجدوا صعوبات متكررة بخصوص استخدام الماء، حين اختلطوا بالقبائل الإسلامية المعتادة على الاغتسال في الماء[5].

أما عن عاداتهم في الطعام والشراب فكان المغول يأكلون كل ذات روح كالكلاب والذئاب والثعالب والخيول، ويأكلون القمل والفئران، ولكن بركة خان بإسلامه استطاع التخلص من هذه العادة، فمن الثابت أنه حرم أكل لحم الخنزير في مملكته، وطَبَّقَ هذا القرار

---

(1) Carpini, Story of Mongols,p.45.

(2) Carpini, Story of Mongols,p.45.

(3) Carpini, Story of Mongols,p.45.

(4) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص438؛ بارتولد: تاريخ الترك، ص196.

(5) Hartoge, Genghis khan conqueror,p.7.

حتي في الأماكن التي صعُب الوصول إليها[1]، أما القفجاقيون فكان أكثر طعامهم لحم الخيل والأغنام، ولا يأكلون الخبز، أو الطعام الغليظ، إنما يصنعون طعاماً من شئ عندهم يسمونه الدوقي، حيث يضعون الماء على النار، فإذا غلي صبّوا عليه شيئاً من الدوقي، وإذا كان عندهم لحم قطعوه قطعاً صغيرة، وطبخوه معه، ثم يصبون عليه اللبن الرائب[2]، وعندهم نوع آخر، من الطعام يسمي البورخاني، وهو عجين يقطعونه قطعاً صغيرة، ويثقبون وسطها ويجعلونها في قدر، فإذا طُبخت صبّوا عليه اللبن الرائب وشربوها[3]، كذلك عندهم نبيذ يصنعونه من حب الدوقي، أبيض اللون، وطعمه حامض، يسمونه البوظة، وهم حنفية المذهب، والنبيذ عندهم حلال[4]،وعندهم نبيذ آخر يصنعونه من لبن الخيل، يسمي القمز، وكان بيبرس شديد الشغف به، وذكر سفراء مصر في بلاط بركة، أنه تم تقديم القمز مع العسل المطبوخ لهم[5] .

أما عن عاداتهم في الزواج فقد كان لخان المغول أن يتزوج بعدد غير محدد من النساء، وكان يأخذ بمبدأ تعدد الزوجات، ومن عاداتهم المتبعة في الزواج إذا تغلب السلطان على ملك أو أمير، أو دخل معه في تحالف، فإنه يتزوج من ابنته، أو أخته، أما إذا تغلب عليه وقتله فإنه يتزوج امرأته، وكان جنكيز خان يسير على تلك العادة، ويقال أن عدد زوجاته، زادعن خمسمائة امرأة، ولا يخفي ما في هذا الرقم من المبالغة، وعدم المنطقية، كما تزوج جوجي أيضاً العديد من النساء[6]، ولما كان المغول يتزوجون بعدد غير محدد من النساء، فقد كانوا يفضلون أبناءهم من الزوجة الأولي، وبعد موت

(1) لويس جوانفيل: حياتة وحملاته على مصر والشام، ترجمة: أحمد حبشي، ط1، دار المعارف، مصر، 1986م، ص217؛ بارتولد: تاريخ الترك، ص190.

(2) جوانفيل: مذكراته، ص217؛ ابن بطوطة: رحلته، ص246-247.

(3) ابن بطوطة: رحلته، ص246.

(4) ابن بطوطة: رحلته، ص246.

(5) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص439؛ وليم موير: تاريخ دولة المماليك في مصر، ترجمة: محمود عابدين سليم، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1415هـ-1995م، ص58؛ رائد عبدالرحيم: الفاظ مغولية في آدب العصر المملوكي، مجلة جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، مجلد22، (4)، 2008، ص1318.

(6) ابن خلدون: العبر، ص529؛ الصياد: المغول، ص352.

الخان، كانت تؤول جميع نسائه إلي أكبر أبنائه، الذي كان لـه الحـق في الـزواج بمـن شـاء مـنهن باستثناء والدته، كما كان يمنحهن كهدايا لأصدقائه أويطلـق سراحهـن[1]، وقـد هجـر بركـة خـان بإسلامه تلك العادة، وتزوج بثلاث نساء فقط[2].

2- وضع المرأة داخل الخانية:

أما عن أحوال المرأة المغولية، فهي واحدة من حالات الحرية الكاملة، حيـث تمتعـت المـرأة المغولية بمكانة عالية، فكان يحق لها تملك العقارات، والمشاركة في التقـاضي، فكانـت تمثُـل أمـام القانون مثلها مثل الرجل، وتشارك في القتال، وأمـور الحكـم، والـصيد، وعنـدما يـذهب الرجـال بعيداً للحرب، كانت تقوم هي بالرعي[3].

وقد زار ابن بطوطة بلاد القفجاق، وأشار إلي ما تمتعت به النـساء هنـاك، مـن علـو الـشأن فقال: " رأيت بهذه الـبلاد عجبـاً مـن تعظـيم النـساء عنـدهم، وهـن أعـلي شـأناً مـن الرجـال، ولخواتينهم مشاركة معهم في الحكم وإصدار الأمور عنهم، لدرجـة أن خانـات المغـول وملـوكهم كانوا إذا كتبوا أمراً أو فرماناً يقولون فيه عن أمر السلطان والخاتون"[4]، وكانت كل خاتون تُمـنح عدداً من الإقطاعات التي تُجبي لحسابها، أو تُمنح راتباً سنوياً كبيراً[5].

وقد بلغ مـن علـو شـأن الخـواتين، أن القوريلتـاي لم يكـن ينعقـد إلا بحـضورهن، كـما تدخلن في عـزل بعـض الخانـات، وسـاعدن الـبعض الآخـر في ارتقـاء العـرش، وكـن يتمـتعن بمظاهر المُلك، فكان للخاتون الكبري أي زوجة الخان المفضلة، طبل يُدق عقب طبـل الخـان نفسه، ثـم تُـدق سـائر طبـول الخـواتين، يعقبـه طبـل الـوزير الأول، وبقيـة الـوزراء[6]، كـما

---

(1) باولو: رحلته، ص140؛ الصياد: المغول، ص352.

(2) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص438.

(3) Bertold Spuler ,History of the Muslim world: the Mongol periode,,translated from german,F.R.C.Bagley , E. j.Brill, Leiden,1960 ,vol,2 p.17; Donald.G. Ostrowski , Muscovy and the Mongols: Cross-Cultural Influences on the Steppe Frontier,1304-1589,1 paperback ed cambridge university press, 2002,p,75.

(4) ابن بطوطة: رحلته، ص250.

(5) القلقشندي: صبح الأعشي، ص426؛ عبدالحليم رجب: انتشار الإسلام، ص69.

(6) ابن بطوطة: رحلته، ص250؛ عبدالحليم رجب: انتشار الإسلام، ص69-70.

صرح سفراء مصر بأوردا بركة، أنه استقبلهم هو وزوجته الخاتون الكبري، التي كانت تجلس في قاعة المُلك إلي جواره، وأنهم أقاموا في ضيافة زوجته الأخري ججك خاتون[1].

النظام الإداري للدولة في عهد بركة خان:

يأتي الخان على رأس السلطة في خانية القفجاق، وكان يخضع فقط لسلطة القان الأعظم في قراقورم، كما كان يُشترط فيمن يتولي خانية القفجاق أن يكون من نسل جوجي المباشر، فتولي باتو العرش، تلاه ابنه سرتاق، ثم خلفهما بركة خان[2]، وفي عهده تغيرت الأوضاع الداخلية في دولة مغول القفجاق، حيث استقل بركة خان بخانية القفجاق عن بقية أجزاء الإمبراطورية المغولية[3]، وذلك في اعقاب الحرب الأهلية التي اندلعت في إمبراطورية المغول، بسبب نزاع الأخوان اريق بوكا وقوبيلاي على عرش القانية في قراقورم، وفشلِ الجهود المبذولة لاحتواء هذا النزاع الذي تحول إلي حرب بين معسكر اريق بوكا وأنصاره "بركة خان والغو"- حاكم خانية جغتاي[4] في وسط آسيا- من جهة، وبين معسكر قوبيلاي المدعوم من هولاكو حاكم خانية فارس من جهة أخري[5]، وهي الحرب التي انتهت بانتصار قوبيلاي[6] عام 662هـ-1263م وتنصيبه قان للمغول، وبانقسام خانية المغول إلي الأبد[7].

---

(1) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص438-439.

(2) Martin, Medieval Russia, p, 141.

(3) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص389؛ عمران: المغول وأوروبا، ص83؛ طقوش: القبيلة الذهبية، ص33.

(4) الغو حاكم خانية جغطاي كان يدعي وقوفه إلي جانب اريق بوكا، والحقيقة أنه كان يعمل من أجل مصلحته الشخصية، وسرعان ما صادر ما تم جمعه من مؤن وأسلحة لصالح جيش اريق بوكا وأعلن تمرده عليه، انظر:(قداوي: إمبراطورية المغول، ص293).

(5) Kirakos Gandzakets,I,s ,History of the Armenians ,translated from classical Armenian by Robert Bedrosian ,Newyork ,1986,p,113.

(6) قوبيلاي قان: (658-693هـ/1260-1294م)، تولي عرش المغول في الصين بعد وفاة أخية مونكو قان، اتسعت رقعة الإمبراطورية المغولية في عهدة واتم فتح بلاد الصين كلها، اهتم بالتجارة والزراعة والصناعة، وإنشاء المدن، ورغم اعتناقه البوذية لم يكن متعصباً ضد الديانات الآخري، وكان يجتمع ببلاطه العلماء من مختلف الديانات لإقامة المناظرات، لمزيد من التفاصيل انظر: (الصياد: المغول، ص216-224 ؛ (Buell,Historical Dictionary,pp.226-228).

(7) Christopher I. Beckwith , Empire of the Silk Road: History of Central Eurasia from the Bronze age to the present ,Princeton university press, 2009, p,193.

وبالعودة لخانية القفجاق، نجد أن المغول قد تمركـزوا في أراضي القفجـاق وسراي، وأطـراف نهر الدون، وبلاد القرم، واستراخان[1] وبلغار، وخـوارزم، وكـانوا يحكمـون هـذه الأقـاليم بـصورة مباشرة، بواسطة نواب وولاة من الأمـراء التتـار، أمـا مـا عـداها مـن الأقـاليم كروسـيا، وأرمينيـا، وجورجيا، فكانوا يُنصِّبون فيها حكاماً من أهـل تلـك الـبلاد[2]، وذلـك لأن فوائـد الإدارة المبـاشرة لهذه المناطق لن توازي النفقات، والمغول أرادوا تحقيق أقصي مكسب مع أقل ثمن، لذلك كـانوا يتركون للأهالي الاتفاق على حاكم، فإن اختلفوا يؤول الاختيار إلي الخان[3].

وقـد أسـند بركـة خـان إدارة إقلـيم روسـيا، الـذي مثـل أكـبر الأقـاليم داخـل خانيـة القفجـاق إلي نائبـه أولاوجـي[4]، ولم يقـم بـأي تغيـير في الأوضـاع الداخليـة للـبلاد بـصورة مباشرة، فلم يغير الدساتير، أو القوانين، أو الأعراف التـي سـادت المنـاطق الروسـية، كـما لم يغير حكام الولايات طالما يقدمون فروض الولاء والطاعة للمغول[5]، فأقر بركة أسرة روريـك rurik[6]، كحكـام داخـل الأراضي الروسـية[7]، والـذين حـافظوا عـلى ولائهـم للخـان، فـزار

---

(1) استراخان: هي عاصمة إقليم استراخان في روسيا الفيدرالية، تقع على ضفاف نهر الفولجا، على بعـد 96كـم من بحر قزوين، انظر: .(Moor: places,p.57)

(2) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص383.

(6) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص383؛ Halperin,Russia and the Golden Horde , p.30

(4) الرمزي: تليفق الأخبار، ص445.

(2) الرمزي: تليفق الأخبار، ص385-386 ؛ عمران: المغول وأوروبا، ص185.

(6) أسرة روريك: أسسها الأمير الأسطوري روريك المنحدر من نسل الفايكنج، و الذي بسط نفـوذه عـلى إمـارة نوفجورد عام 862م، وأسس ما عُرف بأسرة روريك التي أصبحت السلالة الحاكمـة لـروس الكيفيـة بعـد عام 862م، واستمرت حتى عام 1598م، لمزيد من التفاصيل انظر:

(Ulwencreutz, The Royal Families in Europe V abrief history of the ruling houses during the last years, Ulwencreutz media,2013,p.280).

(7) Martin, Medieval Russia , p.156 .

الكسندر نيفسكي كبير أمرائهم[1] بلاط بركة خان أكثر من مرة، كما قدم أمراء روستوف rostov[2]، إلي القفجاق كثيراً، ويبدوا أن هذا الفرع من أسرة رويرك قد حقق وضعاً مميزاً في بلاط الخان[3]، ففي عام658هـ/ 1260م قام بعض أمرائهم بزيارة بلاط بركة خان، وأقاموا هناك فترة طويلة، كما شاركوا في الحملات العسكرية لخانية القفجاق ضد ليتوانيا[4] وايلخانية إيران، وحتي ضد بعض الإمارات الروسية[5]، كما اصطحب بعضهم زوجاتهم وأطفالهم معهم إلي الخانية، وتزوج البعض الآخر من مغوليات[6] .

وإضافة إلي سياسة الابقاء على الحكام الروس، ابقي المغول أيضاًعلي الأراضي في أيدي أصحابها، لأن المغول كشعب بدوي فضلوا التمركز في السهول الشرقية والجنوبية أسفل نهر الفولجا، ولعل هذا يفسر بقاء العناصر المغولية متماسكة لفترة طويلة قبل أن تذوب مع العناصر الروسية[7].

---

(5) الكسندر نيفسكي (1236-1263م): كان أمير نوفجورد وواحد من أمراء روسيا العظام، اوقف هجوم الألمان والسويدين والليتوانين على الأراضي الروسية، وأقام علاقات جيدة على المغول، وبهذا استطاع تحقيق الأمن لبلادهـ انظر:

(kinder, et,al ,Making Europe -people, politics and culture ,cengage learning ,2009 ,vol,I to 1790 ,p.319).

(2) مدينة رستوف: إحدي مدن روسيا الفيدرالية، وتقع عاصمة إقليم روستوف على ضفاف نهر الدون، على مسافة 40كيلو متر من مصب بحر ازوف، انظر: (Moor: places,p. 665)

(3) Martine, Medieval Russia, p.154.

(4) ليتوانيا: هي إحدي جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق، يحدها من الغرب بحر البلطيق، ومن الجنوب الغربي بولندا، كانت دوقية عظيمة في القرن الثالث عشر، وتوسعت في القرن الخامس عشر حتى امتدت حدودها من بحر البلطيق حتى البحر الأسود، واتحدت مع بولندا 1385-1795م، لمزيد من التفاصيل انظر:(Moor: places,p.640-641)

(5) Martine, Medieval Russia , p.154.

(6) Martine, Medieval Russia , p.154.

(7) سعيد عمران: المغول وأوروبا، ص185؛

Martin, the Land of darkness and the Golden Horde the fur trade under the Mongols xiii-xiv th centuries ,chaiers dumode russet sovietique,vol,19,no,4,1oct-dec,1978,p,401.

ويمكن وصف الحكم المغولي لروسيا، بالأمة التي تسيطر على شعب آخر في الشئون الدولية، لكنها تسمح له بالسيادة الداخلية، مع التزام هذا الشعب بالولاء للسيد الإقطاعي[1]، - أو ما يعرف حديثاً بالحكم الذاتي- و قد تجلت مظاهر هذا الولاء في تبعية الأمراء الروس ودفع الضرائب.

- تبعية الأُمراء الروس:

أذعن الروس للحكم المغولي، واعترف الأمراء الروس بباتو خان وخلفائه كسادة لهم، وبعد انتهاء حملات الغزو المغولي في الغرب، بدأ الأمراء الروس بالقدوم إلي بلاط القفجاق، لتقديم فروض الولاء، و ليحصلوا على موافقة الخان على تنصيبهم حكاماً للأقاليم التي في حوزتهم[2]، وعندما تولي بركة خان الحكم، ذهب الأمير الكسندر نيفسكي مع أخويه: اندريه [3]حاكم سوزدال suzdal، وياروسلاف[4] [5] حاكم روستوفrostov، إلي سراي لتهنئة الخان الجديد وتقديم

(1) Martin, Medieval Russia, p.157.

(2) Martin: Medieval Russia , p.147.

(3) اندرية الثاني ابن الأمير ياروسلاف الثاني، وأمير فلاديمير، تزوج عام 1250م من ابنة الأمير دانيال أمير غاليسيا، وذلك حتى يحقق حلمه باتحاد شمال وجنوب روسيا، والتخلص من الحكم المغولي، لكن أحلامه ذهبت هباء بعد هزيمته أمام المغول وفراره إلي السويد عام 1252م، وقام باتو بتنصيب أخيه الكسندر أميراً على فلاديمير عوضاًعنه، وعندما عاد اندريه إلي روسيا عام 1255م، تولي حكم إمارة سوزدال، انظر:
(Walter g. Moss,Ahistory of Russia anthem press, London, 2ed, 2005,vol,I, p.75; timothy mas, the Mongols Empire Ahistorical encyclopedia, A B C-clio,California,2016,vol,2,p.66;Robert auty, Dimitri obolensky,Anthony kingsford ,companion to Russia studies An introduction to Russian history ,Cambridge university press,new york ,1991,vol,1,p.79).

(4) سوزدال: مدينة صغيرة في إقليم فلاديمير، وجدت في القرن الحادي عشر وأصبحت مركزاً دينياً هاماً، إلي جانب الكنيسة الرئيسية القديمة، انظر: Moor:places,p.755)

(5) ياروسلاف: هو ابن الامير ياروسلاف الثاني، وبعد وفاة الكسندر نيفسكي، تنافس ياروسلاف وأخيه اندريه على حكم إمارة فلاديمير لكن بركة استبعد اندريه لموقفه السابق من الحكم المغولي، وولي ياروسلاف إمارة فلاديمير التي ظل يحكمها حتى وفاته عام 1271-1272م، وبعد وفاته خلفه أخيه الأصغر فاسيلي، انظر (Martin: Medieval Russia,p.170):

الهدايا، فاستقبلهم نائبه وابن أخيه أولاغجي، وكان أحد أهدافهم مـن هـذه الزيـارة إضـافة إلي تقديم فروض الولاء هو حماية الأجزاء الشمالية من غزو جامعي الـضرائب، وهـو مـا كـان أمـل ضعيف للغاية[1].

وكان يتم استدعاء هؤلاء الأمراء لتلقي الأوامر، وفي بعض الأحيان كان يُطلب منهم الذهاب إلي القان الأعظم في قراقورم، ليس ذلك فحـسب، بـل كـان علـيهم تقـديم الهـدايا المناسـبة لـه، متحملين مخاطر الطريق ذهاباً وإياباً[2]، كما تحتم على هؤلاء الأمـراء إتبـاع الطقـوس المغوليـة، مثل السجود أمام خيمة الخان قبل دخولها، وقد أرسل باتو خان الكسندر نيفسكي لزيارة القـان كيوك في قراقورم، والذي أنعم عليه بحكم ولاية نوفجورد novgorod، وجنوب روسـيا، وأعطـاه كييف، ونصَّب أخاه اندريه حاكماً على فلاديمير vladimir[3]، وقد أقـرهما بـاتو عـلى مـا ولاهـما القان، وظل الكسندر على وفائه وتبعيته لباتو، وبركة خان من بعده[4].

العادات والتقاليد المتبعة لتولي الأمراء الروس شئون الإدارة:

كان على الأمراء الروس الالتزام ببعض الطقوس والعادات المتعارف عليها في التعامـل مع ساداتهم المغول، من ذلـك طقـس تنـصيب الأمـراء، حيـث كـان يتحـتم عـلى المرشـح لمنصب الأمير الذهاب إلي مدينة سراي، كي يحصل على موافقة الخان على توليه الإمارة[5]، وبعد ذلك يعود برفقة مبعوث من الخان ومجموعة من العـسكر، فـإذا وصـلوا إلي مقـر الحكم، دخل مبعوث الخان أكبر كنائـسهم بفرسـه[6]، فيجتمـع إليـه أعيـانهم وأمـراؤهم،

(1) طقوش: القبيلة الذهبية، ص33؛ Howorth, thehistory of Mongol , p. 106

(2) عمران: المغول وأوربا، ص186.

(3) فلاديمير: إحدي مدن الكيان الروسي، تبعد 185كم عن موسكو، وقد كانت فلاديمير عاصمة لأمـارة فلاديمـير في القرن الثاني عشر الميلادي، ووجد بها العديد من الكاتدرائيات والكنائس، ثم انضمت إلي إمارة موسكو في القرن الرابع عشر، انظر:(Moor;places,p.837-838)

(4) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص384؛ عمران: المغول وأوروبا، ص186.

(5) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص386.

(6)الرمزي: تلفيق الأخبار ، ص386.

فيستدبر مبعوث الخان أكبر تماثيلهم بفرسه، ويقرأ عليهم فرمان الخان المتضمن اسـم مـن ولاّه الخان، ويأمرهم بطاعته، ثم يرجع إلي القفجاق[1].

كما تحتم على الأمراء الروس الخروج، لاستقبال مبعوثي الخان، سيراً على الأقدام من مـسافة بعيدة، وكذلك توديعهم لمسافة بعيدة، كما كانوا يسجدون أمـامهم، ويفرشـون لهـم الـسجاجيد الفاخرة، ويقدمون لهم كؤوساً مملـوءة بالـذهب، ويـستمعون بكـل اهـتمام إلي أوامـر الخـان وينفذونها بدقة[2].

وعند نشوب خلاف بين هؤلاء الأمراء كانوا يذهبون إلي بلاط الخان يشكون إليه، وكان مـن حق الخان أن يعزل من يريد، ويولّي من يريد، ويشن عليهم الغارات، إذا حاولوا التمـرد[3]، كـما كُلِّف الأمراء الروس بالقبض عـلى الثـائرين والخـارجين عـن القـانون، وتـسليمهم إلي الـسلطات المغولية، ولم يكن من حق الأمراء الروس إعـلان الحـرب عـلى بعـضهم بعـضاً، أو خـارج روسـيا، بدون موافقة الخان[4]، كما كان عليهم دفع الضريبة للخان، ولضمان امتثال هؤلاء الأمراء لأوامـر الخان، والإشراف على تحصيل الضرائب، تمركز الموظفون المغول في الأراضي الروسية[5].

الجهاز الإداري للدولة:

مثل السلطة المغولية في الأراضي الروسية موظفـون مغـول مقيمـون يـسمون "الباسـكاكي"، وهـي كلمـه تركيـة[6]، وجـاءت أول إشـارة لهـؤلاء الباسـكاكي في مـذكرات المبـشر الفرنسـسكاني كاربييني Carpini، الذي أناب عن البابا في سفارة إلي بـلاط المغـول، ووصـف الإداريـين المغـول الذين رآهم بالأراضي الروسـية، خـلال مـروره بهـا عـام651هــ/1253م[7]، ولـيس معروفـاً متـي

(1)الرمزي: تلفيق الأخبار، ص386.

(2)الرمزي: تلفيق الأخبار، ص386 ؛ عمران: المغول وأوروبا، ص187؛ Martine, Medieval Russia ,p.149.

(3) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص384.

(4) عمران: المغول وأوروبا، ص186-187.

(5) Martine, North East Russia and the Golden Horde (1246-1359) in "the Cambridge history of Russia from early rus to 1689", Cambridge university press ,2006,vol,1, p,130 .

(6) Halperine , Russia and the Golden Horde, p ,31.

(7) the story of the Mongol, p.81.

قدم الباسكاكي إلي مدن شمال شرق روسيا، على وجه التحديد، ومـن المعلـوم أن إجـراء التعـداد كان جزءاً من مهامهم[1]، إضافة إلي حماية الطرق، ونقل البـضائع التجاريـة، و جمـع الـضرائب، ومساعدة الأمراء الروس، ولأجل هذا كله مُنح هؤلاء الباسكاكي حصانة من الخان إضافة إلي قوة عسكرية تحت إمرتهم[2]، وإضافة إلي هؤلاء الباسكاكي، استحدث بركـة خـان وظيفـة جديـدة في الأراضي الروسية، استمرت منذ عهده وحتي نهاية القـرن الثالـث عـشر، وهـي وظيفـة جـامعي الضرائب، الذين كانوا في أغلب الأوقات مسلمين من وسط آسيا[3]، حيث عمـل بركـة خـان عـلى صبغ الدولة بالصبغة الإسلامية، واتخذ في سبيل ذلك أحد المسلمين، وزيـراً لـه، كـما توافـد عـلى بلاده الكثير من العلماء والفقهاء، الهاربين من بطش هولاكو وابنه ابغا، وتم تعيينهم في مناصب الدولة المختلفة[4].

النظام الإقتصادي:

في الأراضي التي حازها جغتاي في آسـيا الوسـطي، ومغـول القفجـاق في الـسهوب الروسـية الجنوبية كانت الزراعة محدوده نـسبياً، إلا في أمـاكن الواحـات[5]، لـذلك ارتكـز اقتـصاد خانيـة القفجاق على ثلاث مصادر رئيسية هي: الثروة الحيوانية والضرائب و التجارة[6].

(1) Martine, Medieval Russia, p.150 .

(2) Martine, Medieval Russia, p.150 .

(3) كان شيئاً عادياً لخلفاء جنكيز خان توظيف تجار مسلمين كجبـاة للـضرائب، ففـي مقـر القـان الأعظـم في قراقورم منحت حكومة يوان جامعي الضرائب المقيمين وضعاً مميزاً من أجـل الـسيطرة عـلى المتمـردين، انظر:.(Xinruliu , the Silk Road ,p.117).

(4) عبدالحليم رجب: انتشار الإسلام، ص78.

(5) Xinruliu ,the Silk Road , p.117.

(6) Martine, Medieval Russia , p.142.

1- الثروة الحيوانية:

قبل وصول المغول إلي أواسط آسيا، بفترة طويلة، اعتاد سكان هذه السهول على ترويض الخيول البرية، كما كان للخيل قيمة عظيمة في الثقافة المغولية[1]، و ذكر ابن بطوطة أن الخيل ببلاد القفجاق كثيرة جداً وثمنها قليل، ومنها مصدر رزقهم، ويمتلك الواحد منهم الآلآف منها[2]، واللحوم بهذه البلاد رخيصة جداً، وأكثر ما يؤكل بها لحم الخيول، وقد بلغ من وفرة اللحم ببلادهم، أنه كان لا يباع ولا يشتري لدي سكان البر لكثرته، وكان غالب أكلهم لحوم الطير، واللبن، والسمن، وإن مرض لأحدهم فرس أو بقرة، أو شاة، أو غير ذلك، ذبحها فأكل هو وأهله منها، وأهدي جيرانه، فإذا مرض عند من أُهدي إليه شئ ذبحه أيضاً، وأهدي جيرانه، فلا تكاد بيوتهم تخلو من اللحم[3].

2- الضرائب:

كانت خانية القفجاق فقيرة الموارد نسبياً، لذا شكلت الضرائب رافداً مهماً من روافد الاقتصاد داخل الخانية.

سارت عملية جمع الضرائب داخل خانية القفجاق، على أساس إحتمالين: أولهما: أنها كانت تتم لصالح القان الأعظم بقراقورم[4]،بينما يقضي الاحتمال الثاني، بتبعية جميع أنشطة الضرائب في بلاد القفجاق، لخان القفجاق وحده[5]، في حين يري رأي ثالث، وهو الأقرب للصواب أن جميع العائدات، التي كان يتم جمعها من روافد الإمبراطورية المغولية، في منتصف القرن الثالث عشر، كان يتم تقسيمها بين الحكام الجنكيزيون، وفقاً لأسلوب مقبول بين جميع الأطراف[6]، ولكن اختلف هذا الوضع بعد نشوب الحرب، بين

---

(1) Michael Burgan ,Empire of the Mongols ,Chelsea house publishers, new York,2009,p,32.

(2) ابن بطوطة: رحلته، ص248.

(3) القلقشندي: صبح الأعشي، ج4، ص471.

(4) Martin, Medieval Russia , p.150.

(5) Martin, Medieval Russia , p 151.

(6) Martin, Medieval Russia,p.151.

أريق بوكا، وقوبيلاي، بالتوازي مع الخلافات بين بركة خان وهولاكو، فانقسم الجنكيزيون، وبالتالي أصبحت عائدات التجارة تعود لبركة خان وخلفائة دون مشاركتها مع قراقورم[1].

وفي بداية الحكم المغولي لروسيا، طالب المغول الروس بدفع ضريبة العشر، أي العشر من كل شئ، والتي تعني عشر السكان، وعشر خيول الأمراء، والماشية، والأشياء القيّمة الأخري[2]، وبعد ذلك تم فرض ضريبة عامة على الجميع، والتي كانت تمثل عبئاً على الفقراء والأغنياء على حد سواء، وكان يتم تسديد هذه الضريبة نقداً أو عيناً، مثل الفراء، وهي عبارة عن خمسة من فراء -الدب الأبيض، أو الثعلب الأسود، أو السمور[3] عن كل فرد، ومن يعجز عن سدادها ينضم لطائفة العبيد، وكان لتعسف جامعي هذه الضريبة دوراً هاماً في قيام العديد من الثورات ضد المغول[4].

أما الضريبة الثانية: فكانت تُسمي ضريبة الرؤوس أو الدم، وهي مقدار معين من الجواري والعبيد، يتم تسليمهم كل عام إلي محصل الخان، الذي كان يذهب في وقت محدد كل عام إلي بلدة موسكو لتحصيل الضريبة المفروضة، واستلام العبيد والجواري، الذين يجمعهم الأمير في ميدان واسع، ليختار منهم مسئول الخان العدد المطلوب ممن يعجبه ويترك الباقين[5]، وهذا الميدان موجود حالياً في موسكو، ويقال له بالروسية "تيسكي بول" أي ميدان الأولاد، ويذهب إليه الروس بأولادهم ليذكرونهم بما فعل بهم المغول، ويحذرونهم من الفرقة، ورغم ذلك كان أعيان الروس وأمراؤهم، يعطون بناتهم للخان، أو

(1) Martin, Medieval Russia,p.151.

(2) Martine, Medival Russia,p.149.

(3) السمور: حيوان ثديي يعيش في اورآسيا الشمالية، يتميز بفراء سميك، بني اللون أو أسود مشوب برمادي، يستخدم فراءه للتجارة، انظر: (الموسوعة العربية، ج4، ص1893).

(4) Erick Shiraev , Russian governmen,p. 29 ; Howorth, history of the mongol,p.106 ; Martine, Medieval Russia ,p. 149.

(5) الرمزي: تلفيق الاخبار، ص486.

أحد أولاده أو أمرائه بإختيارهم ليكونوا عيوناً لهم داخل البلاط[1]، وكان يتم استخدام هؤلاء العبيد والجواري كالآتي:

أولاً: الرجال الأقوياء من العبيد كان يتم تجنيدهم في الجيش، ووضعهم في الصفوف الأمامية، لتلقي الضربة الأولي خلال الهجوم[2].

ثانياً: العمال المهرة أو غير المهرة من العبيد كان يتم تجنيدهم لبناء المدن، داخل خانية القفجاق، هذا بالإضافة إلي إنتاج وتصنيع المواد المطلوبة، للسكان المقيمين والأسواق، وقد فاقم انتقال هؤلاء العمال المهرة من الأراضي الروسية من أزمتها الاقتصادية بعد الغزو[3] .

ثالثاً: باقي الأسري من العبيد والجواري كان يتم استخدامهم كخدم في المنازل، أو بيعهم عن طريق تجارة العبيد المزدهرة آنذاك، والتي كانت واحدة من المكونات الرئيسية للصلة التجارية، بين سراي والسوق الإيطالي في موانئ البحر الأسود، وبين مراكز التجارة القوقازية في مصر[4].

وقُدرت الضريبة التي تم جمعها في عام 792هـ/1389م، بحوالي خمسة آلاف روبل فضي، وهي السنة الأولي التي أتيحت حساباتها، وربما تم جمع مبالغ أكبر من هذا في السنوات السابقة، وقد فُسر هذا المبلغ بأنه استنزاف لاقتصاد المدن الروسية[5].

ومن الأشياء التي ارتبطت بجمع الضرائب كان التعداد السكاني: الذي عزز من السلطة العسكرية للمغول، الذين استخدموا بياناته في حرب فارس والعراق، كأساس لتوزيع المجندين في الجيش، كما اعتمدوا على بيانات التعداد لتقدير الضرائب[6]، حيث قسم المغول الأراضي الروسية إلي مناطق تبعاً للكثافة السكانية، واستخدموا هذا التقسيم

---

(1) الرمزي: تلفيق الاخبار، ص486.

(2) Martin, Medieval Russia ,p.149 .

(3) Martin, Medieval Russia ,p.149 .

(4) Martin, Medieval Russia ,p.149 .

(5) Martin , north eastern Russia, p. 130.

(6) Martin , Medieval Russia p.149.

كأساس لتقدير عدد الجنود والضرائب الواجب على كل مقاطعه تقديمها، واختُلف في توقيت هذا التقسيم هل كان مرافقاً لأول تعداد سكاني في روسيا، والذي أُخذ في كييف عام638هـ/ 1240م، أم جاء مصاحباً لأول تعداد سكاني في عهد بركة خان [1]، والذي بدأ عام655هـ/ 1257م، بأمر من منكوقان الذي أراد إجراء تعداد سكاني، في جميع أنحاء الإمبراطورية الجينكيزية[2]، لحساب كل رعاياه، والأشياء التي تحت حكم المغول، لزيادة دخله من خلال تحصيل الضرائب، و لهذا الغرض أرسل احد الموظفين واسمه بيركو إلي روسيا، ليقوم بعمل إحصاء للسكان وتحديد مقدار ضريبة الرؤوس[3].

وقد تم تقسيم المناطق الروسية في هذا التعداد إلي وحدات، تسمي إحدها "توما" وهي مرتبطة بعدد العشرة آلاف، وتشير إلي أن المنطقة تحتوي على عشرة آلاف أسير، أو أنها تقدم عشرة آلاف جندي، بينما ارتبطت مناطق أخري بوحدة تسمي "أوما"، وتمثل وحدات المئات والآلاف والعشرات، وتستخدم للدلالة على المناطق التي تقدم أعداداً أقل من العشرة آلاف، وقد مكّن هذا التقسيم المغول من جمع الضرائب، والتجنيد الإجباري على أُسس أكثر دقة من التقديرات التقريبية السابقه[4]، وقد ظهر موظفو هذا التعداد أولاً في مدينتي ريازان ryazan[5]، وموروم murom، حيث قاموا بتعداد السكان هناك، ووصفوا الأراضي بدقة وفرضوا الضرائب على الجميع، باستثناء رجال الدين، ووصفوا ممتلكات المدينة والقرية والمهن في هذا التعداد، ثم انتقلوا إلي سوزدالsuzdal، ورستوفrostov،

(1) . Martin , Medieval Russia p.149.

(2) التعداد الأول الذي تم إجرائه في عهد كيوك قان، اقتصر على مدينتي كييف وشيرنجوف، انظر: (Howorth ,History of the Mongol,p.106) .

(3) طقوش: القبيلة الذهبية ص33؛ Curtin, the Mongols in Russia , little Brown and company,Boston, 1908, p.283-284.

(4) Howorth, History of the Mongol, p.106; Martine, Medieval Russia,pp.149-150.

(5) ريازان: واحدة من أقدم المدن الروسية، وجدت في القرن الحادي عشر، واليوم تبعد حوالي 185كم عن جنوب شرق موسكو، وهي مركز صناعي وتجاري هام، انظر: (Moor: places,p. 671)

وفلاديمير vladimir، واستغرقوا في هذا العمل عامين، قبل أن ينتهوا حيث أولوه عناية كبيرة دون تسرع،وتالياً: بدأ المفتشون في التأكد من جمع الجزية والضرائب[1].

وعندما علم الأمير الكسندر نيفسكي، بأن نوفجورد[2] novogord يجب عليها الخضوع كباقي الإمارات الروسية، ذهب إلي القفجاق بصحبة أمراء رستوفrostov، وسوزدالsuzdal، وتفيرtve'r[3]، مطالبين بإعفاء نوفجورد من غزو جامعي الضرائب، ولكن بركة خان أصر على موقفه، وأخبرهم بضرورة استقبال المسئولين المغول، المكلفين بالتعداد وتيسير مهمتهم[4].

- تعداد نوفجورد:

علي عكس ولايات الجنوب الروسي، لم تتعرض نوفجورد للغزو المغولي، ولم تُفرض عليها الضريبة من قبل[5]، حتي كان عام 655-656هــ/1257-1258م، وهو موعد وصول الموظفين المغول إلي نوفجورد، لأول مرة من اجل إجراء التعداد السكاني، وقد أعطي الأمير نيفسكي الموظفين المغول عدداً من رجاله لمساعدتهم في إنجاز مهمتهم[6].

---

(1) Curtin: the Mongols in Russia, p.284: Martin: Medieval Russia, p.150.

(2) كانت مدينة نوفجورد واقعة في الشمال الغربي من روسيا على ضفتي نهر فلخوف بالقرب من بحيرة المن، نشطت فيها التجارة الداخلية والخارجية، وكانت تُتجر عن طريق نهر الدينبر مع كييف وبيزنطة، ومع البلاد الإسلامية عن طريق نهر الفولجا، كما احتكرت تجارة الفراء الروسية، انظر: (ديورانت: قصة الحضارة، ج15، ص156).

(3) تفير: كانت إمارة مستقلة منذ عام 1240م حتى نهاية القرن الخامس عشر، واليوم تفير هي عاصمة إقليم كالينين في روسيا، و تقع على تقاطع نهر الفولغا مع نهر تيفر وتبعد مسافة169كم عن موسكو، انظر:(Moor: places,p.402)

(4) طقوش: القبيلة الذهبية، ص33؛ Howorth,History of the Mongol ,p,106

(5) طقوش: القبيلة الذهبية، ص 33؛ Martin ,north eastern Russia ,p.136

(6) Curtin, the Mongols in Russia ,p,284.

لكن الموظفين المغول غادروا نوفجورد سريعاً، وهم في قمة الغضب من المعاملة السيئة التي تلقوها هناك، وهددوا نيفسكي بعدم العودة إلي نوفجورد، وإخبار الخان بما حدث[1]، فشعر نيفسكي بالخطر، وخشي من غضب الخان، لذا أرسل إلي إخوته كي يساعدوه في تهدئة المغول الغاضبين، والذين وافقوا على العودة إلي نوفجورد، شريطة أن يذهب نيفسكي معهم، وعند وصولهم إلي نوفجورد، فوجئ ألكسندر بأن ابنه فاسيلي هو من يقود الثورة ضد الموظفين المغول[2]، و عندما رأي فاسيلي والده، هرب مع زعماء الثورة إلي مدينة بسكوفpskov[3]، وعقب ذلك أرسل أهالي نوفجورد الهدايا إلي الموظفين المغول[4]، وبعدما اطمأن نيفسكي إلي استقرار الأمور في نوفجورد، ذهب إلي بسكوف[5]، وقبض على ابنه، وقادة الثورة، الذين تلقوا عقاباً قاسياً، فاقتُلعت أعين البعض، والبعض الآخر قطعت أيديهم، وآخرون مزقت أنوفهم، بينما قُطعت ألسنة البعض، واقتُلعت آذانهم، أما فاسيلي ابن نيفسكي فوضع تحت الحراسة، وأُرسل إلي سوزدال[6]، وسُر المسئولون المغول بهذا العقاب، وبالهدايا الباهظة التي تلقوها، ووعدوا بالتزام الصمت التام، وعدم تقديم شكوي للخان[7] .

(1) Curtin, the Mongols in Russia ,p,284.

(2) Curtin, the Mongols in Russia ,p,284.

(3) بسكوف: مدينة روسية قديمة، تحتوي على العديد من الكنائس والأديرة التي يعود تاريخها إلي القرن الرابع عشر والخامس عشر، ازدهرت كمدينة اقتصادية مهمة في العصور الوسطي، انضمت إلي موسكو عام 1510م، انظر: (Moor: places,p.636)

(4) عمران: المغول وأوروبا، ص183؛ Curtin, the Mongols in Russia ,p,284

(5) عمران: المغول وأوروبا، ص183؛ Curtin, the Mongols in Russia ,p,284

(6) chronicle of Novgorod, translated from Russian by Robert Michell ,Nevill , Raymond ,third series ,vol, xxv , London ,1914, p , 95 ;Curtin, the Mongol in Russia,p.284.

(7) chronicle of Novgorod, p, 95 ;Curtin, the Mongol in Russia,p.284.

لكن نيفسكي الخائف من اندلاع الثورة مرة أخري، عمل على بث الرعب في نفوس النوفجورديون عن طريق نشر أنباء كاذبة تفيد بتحرك القوات المغولية باتجاه نوفجورد، وأن تلك القوات ستدمر المدينة في حال رفض السكان إجراء التعداد[1].

وأمام هذه الشائعات المفزعة، قرر رافضو التعداد السماح للموظفين المغول بإجراء التعداد فحسب، وبهذا أصبح نيفسكي قادراً على تلبية رغبات أسياده المغول[2]، وتوسل إلي الموظفين المغول بالبدء بالتعداد دون تأخير، تنفيذاً لأوامر الخان، فوافقوا ولكنهم طلبوا من نيفسكي البقاء معهم[3].

وعقب هذه التطورات السياسية، وصل موظفو المغول إلي نوفجورد مرة أخري، وشرعوا في القيام بعملهم، والمرور من منزل إلي آخر لإحصاء السكان وتسجيلهم في السجلات[4]، لكن عمت الفوضي مرة أخري، وسخر الأهالي من الموظفين المغول، الذين طلبوا من نيفسكي حمايتهم، فأرسل حرساً إلي منازلهم،لكن الأهالي كانوا متحمسين للمقاومة بشكل رهيب، فهدد الموظفون المغول نيفسكي بالتخلي عن مهمتهم، والعودة إلي سراي، فاضطر نيفسكي إلي مرافقتهم بشكل دائم[5]، لكن حماسة الناس ازدادت، وخاف الموظفون المغول على أنفسهم، وخشي نيفسكي أن يقتلهم الأهالي، ورأي أنه ليس من الحكمة إبقاؤهم أكثر من ذلك، فأرسلهم خارج نوفجورد دون أن ينتهوا من التعداد السكاني[6].

وفي عام 657هـ/1259م، وصل مبعوثان جديدان من قبل الخان اسمهما (بيركو، وكاسيشاك) وذلك لقيادة رجاله المتواجدين في مدينة فلاديمير، وإتمام التعداد السكاني،

---

(1) Curtin, the Mongol in Russia,p.286.

(2) Curtin, the Mongol in Russia,p.286.

(3) Curtin, the Mongol in Russia,p.286.

(4) طقوش: القبيلة الذهبية، ص34.

(5) Curtin, the Mongol in Russia,p,286.

(6) Curtin , the Mongol in Russia , p.287.

ومرة أخـري وجـد نيفـسكي نفـسه مـضطراً إلي مرافقـة مـوظفي التعـداد في طـرق نوفجـورد[1]، واصطحب معه هذه المرة قوة كبيرة من الجنود من مدينتي روستوف وسوزدال، وذلك بناءً على طلب من بيركو وكاسيشاك، اللذان أرادا هذه القوة لحمايتهما، وقلق سكان نوفجورد مـن هـذه القوة الكبيرة، ورأوا أن المقاومة ستكون عبثاً فخضعوا، ولم يعـد بيركـو وكاسيـشاك إلي القفجـاق، حتـي تأكـدوا أن المـوظفين المغـول سيـصبحون قـادرين عـلى القيـام بالتعـداد في سـهولة ودون عوائق[2]، وبالفعل شرع الموظفون المغول في أخذ التعداد، لكن عادت نوفجورد إلي المقاومة مرة أخري، وتأزم الموقف، وكان الطرفان مستعدان للدخول في مواجهات دامية، حتـي طـرأت فكـرة لنيفسكي في محاولة منه لتجنب هذه المواجهة القاسية[3]، فتوسل إلي مبعوثي الخـان كي يغـادروا نوفجورد ففعلوا، ثم أعلن لأهالي نوفجورد، أنه استنفذ كل الوسائل للحفاظ على حيـاتهم، وأنـه سيغادرهم ويذهب إلي الخان ليتلقـي عقابـه، وغـادر المدينـة بـصحبة قواتـه، وكـان الأهـالي في نوفجورد، يتوقعون أن يأمر قواته بمهاجمتهم، لكنه أمرهم بمغادرة المدينة[4]، وكان هذا التصرف كفيلاً ببث الرعب في قلوب جميع السكان، الذين ركعوا مرة واحـدة، وناشـدوا نيفـسكي البقـاء، ووعدوه بالإذعان لأوامره، وتنفيذ جميع طلباته، فاستدعي المغول الذين بدأوا عملهم هذه المرة في ظروف جيدة، ولاحقاً عمت الفرحة نوفجورد حـين انتهـي وكـلاء الخـان مـن إجـراء التعـداد عام659هـ/1261م[5].

بيد أن نيفسكي لم يشعر بالراحة مطلقاً، فقد تمركز المفتشون المغول في كـل أنحـاء بـلاده، وجاء الثقل الكبير للاحتلال المغولي، عنـدما أسـند بركـة خـان جمـع ضرائـب المـزارع الروسـية لرجال من خوارزم وتركستان وبخاري، كان مـن بيـنهم يهـود وأرمـن، وأشـخاص مـن مختلـف

(1) Chronicle of Novgorod ,p.95; Howorth, history of the Mongol, p.107.

(2) Curtin , the Mongol in Russia, p.287.

(3) عمران: المغول وأوروبا، ص184؛ Curtin, the Mongol in Russia, p.287

(4) Curtin , the Mongols in Russia ,p.288.

(5) طقوش: القبيلة الذهبية، ص34؛ Curtin, the Mongol in Russia, p.288

الديانات واللغات، لم يُسمع بهم في روسيا مـن قبـل[1]، وقـد كشـف عمـل هـؤلاء الرجـال القهـر المغولي للسكان بشكل كبير، فكانوا يضربون من لم يتمكن من دفع الضرائب من الـسكان ضربـاً مبرحاً بالسياط، أو يأخذونه عبداً، وبسبب هـؤلاء الرجـال انـدلعت أعـمال الـشغب[2]، في مـدن فلاديمير وسوزدال ورستوف ضد المغول، لدرجة أن سكان مدينة ياروسلافل yaroslavl [3]، قبضوا على أحد جامعي الضرائب، ويدعي زوزيموس، وكان راهباً نصرانياً، اعتنق الإسلام، فقتلـوه ورمـوا جثته للكلاب[4]، ومن حسن الحظ أن الهجوم كان على جـامعي الـضرائب ومـساعديهم، ولـيس على رجال الخان، وبالتالي فإن غضب بركة خان، كان أقل حدة مما كان سيحدث لو هوجم أحد رجاله، لكنه لا يزال غاضباً[5]، لهذا سافر نيفسكي إلي القفجاق، لمعاجلة الوضع المتـأزم، وتجنيـب بلاده ويلات الانتقام[6]، وحمل معـه هـدايا أكـثر قيمـة مـن أي هـدايا قـدمها مـن قبـل، وقـدم اعتذاره للخان الغاضب، وفسر الحادث بالتعصب الديني، وليس التمرد على السلطات المغوليـة، وتقبل بركة خان العذر الذي قدمه، وأعفاه من الغرامات المطلوبـة[7]، لكنـه احتجـزه في الـبلاط، دون داعٍ، طوال الربيع والصيف، وسمح له بـالعودة إلي ديـاره في أواخـر فـصل الخريـف، لكنـه توفي في طريق العودة عام662هـ/1263م، عن عمـر ينـاهز 42عامـاً، ووقـع نبـأ موتـه في روسـيا ككارثة وطنيه[8].

---

(1) Curtin,the Mongol in Russia,p,288; Howorth, history of the mongol, p.107.

(2) Curtin, the Mongol in Russia ,p.288; Howorth, history of the ongol, p.107

(3) ياروسلافل: إحدي مدن روسيا القديمة، ظهرت في القرن الحادي عشر، وخضعت لموسكو في القرن الخـامس عشر، وتقع المدينةعلي تقاطع نهر الفولجا مع نهر كوتوروسلي، وتبعـد مـسافة257كـم عـن شـمال شرق موسكو، انظر:Moor;places,p.873)

(4) طقوش: القبيلة الذهبية، ص34؛ Howorth, history of the mongol,p.106

(5) Curtin, the Mongols in Russia,p.289.

(6) طقوش:القبيلة الذهبية، ص34؛Curtin, the Mongols in Russia ,p.289

(7) عمران :المغول وأوروبا، ص184؛Howorth, History of the Mongol,p.107

(8) Curtin, the Mongols in Russia ,p.289; Howorth, History of the Mongol, p.107.

والواقع أن ألكسندر نيفسكي، قد جنب بلاده ويلات الحروب، بفضل سياسته المرنة، وحقق لها الأمن والاستقرار[1].

3- التجارة:

بعد أن استقر الأمر للمغول وهدأت عمليات الغزو، بدأوا في تأمين الطرق التجارية، والتي مثلت أهمية كبري في نقل الجنود والمعدات العسكرية، فضلاً عن تبادل الغنائم والسفارات والسلع التجارية بين جميع أنحاء الإمبراطورية[2]، ولم يقتصر هذا الاهتمام بالتجارة على شبكة التجارة الداخلية فقط، بل امتد ليشمل طرق التجارة العالمية، التي ربطت إمبراطورية المغول بباقي أجزاء العالم، وقد أولي بركة خان التجارة الداخلية، والخارجية في بلاده اهتماماً خاصاً، نظراً لانقطاع الصلة في عهده بباقي أنحاء الإمبراطورية الجنكيزية، واضطراره إلي البحث عن منافذ وأسواق أخري للتجارة.

أولاً: التجارة الداخلية: عانت التجارة الداخلية في روسيا من انتكاسة خطيرة في القرن الأول للسيطرة المغولية على الأراضي الروسية، بسبب تدمير مدن الصناعات اليدوية، مما أدي إلي عجز المدن عن تلبية مطالب الأسواق الداخلية[3]، لكن بالرغم من ذلك ظل الطلب على البضائع الروسية قائماً، لاسيما في سراي بعد أن تعودت على السلع الفاخرة، كفرو السمور وجلد القاقم[4]، الذي كان جزءاً من الجزية المدفوعة، كما واصل خانات المغول والشخصيات الهامة تشجيع الأمراء الروس على جلب هذه السلع، كهدايا أو رشاوي[5].

---

(1) طقوش: القبيلة الذهبية، ص35.: Howorth, History of the Mongol, p107.

(2) هلال:العلاقات بين المغول وأوروبا، ص219.

(3) George Vernadsky ,the Mongol impact on Russia –in-"readings in Russian civilization: Russia before Peter the great,900-1700 ",2ed, University of Chicago press, ,1969,vol ,1,p,176 .

(4) القاقم: حيوان ينتمي لفصيلة ابن عرس، يستوطن اورآسيا وشرق أوروبا، يتميز بفراءه الثمين، ويتحول لون القاقم الذكر في المناطق الشمالية إلي اللون الأبيض في الشتاء، وهو من أنفس أنواع الفراء، انظر: (الموسوعة العربية، ج5، ص2527).

(5) Martin , Medieval Russia , p. 168.

وكانت سراي هي مركز التبادل التجاري الأضخم داخل خانية القفجاق، حيث كان يتم جلب السلع التجارية، كالحرير والتوابل والأحجار الكريمة والأواني الخزفية القادمة من الغرب، والملابس الشرقية لسوق سراي[1]، وهناك تتم مبادلتها بالعبيد والجلود والملح والمنتجات الشمالية، كالفراء الفاخر القادم من روسيا وبلغار، وأخشاب الغابات الروسية، التي جذبت التجار من كل مكان، وكذلك بكفيار قزوين، المطلوب في الشرق وبالأسماك التي يتم إنتاجها محلياً، وبالبضائع المجلوبة من القسطنطينية ومصر وأوروبا[2].

وكان يتم نقل البضائع، القادمة من دول البلطيق، ومن شمال روسيا، عبر مدينة اوستيجو، ومنها إلي مدن روستوف وتيفر، ثم إلي موسكو، لتُشحن من هناك إلي نهرالفولجا، ومنه إلي أسواق سراي واستراخان، كما كان يتم إعادة تصدير بعضها، كهدايا دبلوماسية وسلع تجارية إلي القاهرة، أو إلي جنوب أوروبا والهند، والصين، وذلك عن طريق المستعمرات الإيطالية في ساحل القرم[3].

وقد خدم هذا الطلب على السلع الروسية، في كلٍّ من بلاط الخان، والسوق التجاري في سراي، الاقتصاد الروسي، وكان عنصراً أساسياً في تطوره[4].

ثانياً: التجارة الخارجية: مرت التجارة الخارجية في دولة مغول القفجاق بمرحلتين: تمثلت الأولي، في التجارة عبر طريق الحرير، أما المرحلة الثانية فتمثلت في التجارة عن طريق البحر الأسود، والتي بدأت تقريباً في منتصف عهد بركة خان.

طريق الحرير[5]: منذ أربعينيات القرن الثالث عشر، استخدم المغول طريق الحرير العظيم، الذي استخدمته القوافل في الأزمنة القديمة، لإيصال البضائع من الصين إلي أوروبا، وقد امتد طريق الحرير لمسافة 6400 ألف كيلو متر من جنوب شرق الصين حتي روما،

---

(1) Martin , Medieval Russia , p. 168-; Kinder , Making Europe ,p. 319.

(2) Martin, Medieval Russia , p, 168; kinder ,Making Europe , p. 319.

(3) Martine, Medieval Russia, p. 168.

(4) Martine, Medieval Russia, p. 168.

(5) انظر ملحق رقم(3).

وكان يربط العالم القديم بعضه ببعض[1]، ويبدأ من مدينه شيان xi'an[2] في الصين باتجاه الغرب، ماراً بالأطراف الجنوبية لصحراء جوبي في منغوليا، ليصل إلي مدينة أوسيس في مقاطعة كانسوGansu[3]، ثم يمتد منها إلي الطريق الشمالي، أو الطريق الجنوبي ماراً بصحراء تكلاماكان taklamakan، المسماة بأرض الموت[4]، حيث يتلاقا الطريقان في مدينة كاشغر[5]، لتبدأ من هناك المرحلة الثانية: بين طاجكيستان وأوزبكستان، حيث توجد مدينة فرغانة[6]، ومنها إلي سمرقند، ثم بخاري في أوزبكستان، ومنها إلي مرو في تركمانستان، وهي طريق إجباري للقوافل لدخول إيران، القريبة جداً من بحر قزوين،حيث مدينة تبريز[7]عاصمة أذربيجان، ومنها إلي العراق، ثم الشام، ومن موانئ البحر المتوسط في الشام إلي مصر وأوروبا[8].

---

(1) هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا، ص219؛ https://www.britannica.com/topic/Silk-Road-trade-route

(2) شيان: هي عاصمة مقاطعة شنسي الصينية، وهي محافظة تقع في شمال وسط الصين، وهي من أهم المدن التاريخية الصينية حيث كانت مقراً للعديد من السلالات الحاكمة، كما كانت مركزاً تجارياً، ومحطةهامة من محطات طريق الحرير الذي كان يربط الصين بالبحر المتوسط، انظر: https://www.britannica.com/place/Xian-China

(3) كانسو: تقع في الصين وعاصمتها اليوم مدينة لان تشو، ويبلغ عدد سكانها 13 ميلون، 80% منهم من مسلمين الايغور المغول، انظر: (جميل عبدالله المصري: حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، ط9، العبيكان، ص560)

(4) صحراء تكلاماكان: تقع في أقصي غرب الصين بين جبال الهيمالايا في الجنوب، وسلسلة جبال تيان شان في الشمال، وتمتد غرباً إلي كاشغر، على الحدود بين الصين وباكستان وافغانستان، انظر:

(Ralf Buckley ,Adventure Tourism, CABI,London,Uk,2006,p.334)

(5) Valeria Hansen, the silk road , Oxford University ,2012,p.9.

(6) فرغانة: كانت مدينة واسعة في بلاد ما وراء النهر، أما اليوم فهي مقسمة بين أوزبكستان وقيرغيزستان، و طاجيكستان، انظر: (الحموي: معجم البلدان، ج6ص364؛ الموسوعة العربية، ج5، ص2389).

(7) تبريز: هي اليوم ثالث أكبر مدينة في إيران بعد مشهد واصفهان، وهي مدينة قديمة، حظيت بأهمية عظيمة في عهد الايلخانين، عندما أصبحت عاصمة لدولتهم، كانت تقع في شمال شرق إيران، تميزت بخصوبة أراضيها، وموقعها الاستراتيجي الذي الذي أدي إلي ارتباطها بطرق سهلة مع وسط القوقاز وروسيا، وشرق انطاليا، وسواحل البحر الأسود، انظر:

(W.B.Fisher, Physical Geography –in-“the Cambridge history of iran”,Cambridge university press, 1968,vol,1,p.14).

(8) هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا، ص219؛ Valeria, the silk road ,p.9

وقد استُخدم طريق الحرير في نقل البضائع، كالكيماويات والتوابل والسروج والمعادن والمصنوعات الجلدية والزجاج، والورق الذي كان يأتي من الصين، مجتازاً كل هذا الطريق إلي العالم الإسلامي في القرن الثامن الميلادي، ثم بعد ذلك إلي أوروبا، عن طريق المسلمين الذين حكموا صقلية واسبانيا، فشعوب شمال الألب، لم تعرف صناعة الورق إلا في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشرالميلادي[1].

ومما سبق تتضح أهمية طريق الحرير لخانية القفجاق، التي سيطرت على أهم مدنه وهي (سمرقند –بخاري- مرو- أذربيجان)، لكن هذه السيطرة انتهت في عهد بركة خان، حين انتزع هولاكو بلاد القوقاز وإيران من حوزة القفجاق[2]، وأبعدهم عن مراكز نفوذهم في آسيا الوسطي، وإقطاعات القوقاز، مما أدي إلي قطع الاتصالات بين جنوب روسيا ومصر، وعزل الخانية في سهوب القفجاق، ومنعها من الوصول إلي طريق الحرير[3]، مما عني أنه ليس أمام بركة خان من خيار لكسر هذا الحصار الاقتصادي سوي الإتجاه نحو البحر الأسود، وقد أظهر بركة خان، نهجاً سياسياً متماسكاً، وتحديداً جيداً للأهداف والأساليب، والذي يستحق أن نقول أنه هو المؤسس لما يسمي بسياسة البحر الاسود[4].

- تجارة البحر الأسود[5]:

قبل الحديث عن سياسة بركة خان التجارية في البحر الأسود، وأسبابها ومدي تحقيقها لأهدافها، يجب الإشارة إلي وضع التجارة السابق في البحر الأسود.

(1) Valeria , the silk road ,p.5-6 .

(2) الترمانني: أحداث التاريخ، ج2، ص992.

(3) Morgan ,the Mongols and eastern Mediterranean, p. 204 .

(4) Virgil Ciociltan , the Mongols and the black sea trade in the thirteenth and fourteenth century, translated by Samuel will caks Brill ,Leiden ,Boston,2012,p. 148.

(5) البحر الأسود: بحر داخلي مساحته (413.360كم2) يربطه بالبحر المتوسط مضيق البوسفور والدردنيل وبحر مرمره وتطل عليه بلغاريا –رومانيا – اوكرانيا- روسيا –جورجيا – تركيا – وتصب فيه انهار الدانوب والدنيبر والدون، استعمر سواحله اليونان في الزمن القديم وأهل جنوه في العصور الوسطي واحتل التتار والاتراك شواطئه لفترة طويلة –انظر: الموسوعة العربية، م2، ص636.

فقبل الغزو المغولي، سيطر القفجاقيون، على تجارة البحر الأسود، وتقاضوا رسوماً جمركية على سفن التجارة العابرة، لكنهم فقدوا قدرتهم على تقاضي تلك الإيرادات بعد الغزو المغولي[1]، وفي عهد باتو ظل نظام جمع الضرائب من تجارة البحر الأسود، عن طريق فرض الجمارك في موانئ القرم قائماً دون تغيير يذكر، إلا في تفصيل واحد، وهو أن المغول هم من أصبحوا أصحاب السيادة في تلك المنطقة[2]، ولم يبدي باتو أي اهتمام بتجارة البحرالأسود، حيث صب جل تركيزه على حشد القوات، وتعزيز مطالبه بتبريز، وربما لم تمثل تجارة البحر الأسود شيئاً آنذاك، إلي جانب تيارات التجارة المتدفقة بين الشرق والغرب، فذهب البحر الأسود ضحية لأهمية تبريز، ولم تبرز أهميته إلا في عهد بركة خان وخلفاؤه[3]، وذلك بعدما فقد المدينة الفارسية، ولم يعد أمامه من خيار آخر سوي التركيز على تجارة البحر الأسود[4].

- الأسباب الدافعة ببركة خان نحو البحر الأسود:

كادت تجارة البحر الأسود لتظل ذات أهمية ثانوية، في عهد بركة خان، كما كانت في عهد باتو، لولا ما حدث من انقسام الإمبراطورية الجنكيزية، والحرب الأهلية، التي اندلعت بين أريق بوكا وقوبيلاي، وتأسيس هولاكو لإيلخانية إيران، وانعكاس هذه المتغيرات السياسية على الساحة الاقتصادية لإمبراطورية المغول بوجه عام، وعلي اقتصاد القفجاقيين بوجه خاص[5]، والذين وجدوا أنفسهم معزولين في سهوب القفجاق، بعيداً عن مراكزهم الاقتصادية في وسط آسيا، فاقدين القدرة على الوصول إلي طريق الحرير، في الوقت نفسه الذي فقدوا فيه أي أمل في تقاسم أرباح طريق التوابل العراقي، مما دفع بركة خان بالتوجه بسياسته الاقتصادية نحو البحر الأسود [6].

---

(1) Ciociltan, Mongol and the black sea, p. 144.
(2) Ciociltan,Mongol and the black sea , p. 144.
(3) Ciociltan, Mongol and the black sea ,p.147.
(4) Ciociltan, Mongol and the black sea,p. 148.
(5) Ciociltan, Mongol and the black sea,p. 148;Beckwith ,Empires of the Silk Road,p.193.
(6) الترمانني: أحداث التاريخ، ج1، ص992؛ Ciociltan ,Mongol and the black sea ,p.148.

- **سياسة بركة خان تجاه البحر الأسود:**

هدفت الاستراتيجية الاقتصادية لبركة خان إلي استعادة المكانة المفقودة، والتكيف مع الظروف الجديدة، وقد شكل هذان العنصران، التركيبة السياسية الدائمة والثابتة لخانية القفجاق، والتي طبقها بركة خان لأول مرة، وصار عليها خلفاؤه من بعده، فبالنظر إلي القائمة الكاملة لأفعال جميع خلفائه، نجد أنها كانت إما معالجة لخططه من جديد، أو الانتهاء منها[1].

و دعم بركة خان استراتيجته الاقتصادية، بأخري سياسية وعسكرية، فبعد فشل جميع محاولاته الدبلوماسية في استعادة تبريز، شن بركة حملة عسكرية عام661هـ/1262م، لاستعادة القوقاز، كما تحالف في نفس الوقت مع بيبرس ضد عدوهما المشترك في فارس، وهكذا وضع بركة خان الخطوط لمثلث القوي الجيوسياسية-(ساراي-القاهره-تبريز)-، الذي صار عليه خلفاؤه من بعده دون تغيير[2].

وفي حين رغب بركة في استعادة تبريز وفتح طريق الحرير، هدف هولاكو إلي عزل القفجاق تماماً، و كان هذا هو الدافع لكل تحركاته الدبلوماسية، والعسكرية، ومبادراته التجارية[3].

وأمام غلق هولاكو لمنافذ التجارة القديمة في وجه بركة خان، كان عليه البحث عن طرق بديلة، فحاول إعادة فتح الشريانين الرئيسين لتجارة القفجاق :

1- الطريق البري: القوقاز – الدربند.

2- الطريق البحري: محور صولدايا أحد موانئ القرم – البحر الأسود- سينوب في تركيا.

---

(1) Ciociltan, Mongol and the black sea,p. 148.

(2) Ciociltan, Mongol and the black sea,p. 148.

(3) Ciocilton,Mongol and the black sea,p,149.

ونجح فقط في كسر الحصار على المضايق، بالطرق الدبلوماسية أحياناً، والعسكرية أحياناً أخري[1].

وهكذا فإن أول اشتباك كبير بين حكام المغول في فارس والقفجاق، قد خلف دولة القفجاق دون أي منفذ آخر، سوي البحر الأسود، والمضايق التي تحت تصرفهم، والتي يمكن من خلالها الحفاظ على حقوقهم الاقتصادية، واتصالاتهم السياسية مع ولايات مسلمي ومسيحي البحر المتوسط، وهكذا أدت الظروف المبينة أعلاه إلي حالة فريدة من نوعها، جعلت من البحر الأسود، أولوية سياسية للقفجاق[2].

وتم وضع الإطار الأوسع لمبادرات خانات القفجاق تجاه البحر الأسود في عهد بركة خان، كما تم تحديد العنصرين الأساسيين لكل سياسة القفجاق الاقتصادية في عهده وهما[3]:

1- التعاون مع الجمهوريات الإيطاليه.

2- ضمان حرية المضايق.

1- التعاون مع الجمهوريات الإيطالية:

بغض النظر عن الحاجة الملحة والمستمرة لبركة خان في تعزيز تجارة البحر الأسود، باعتباره جزءاً حيوياً من الاقتصاد بعد خسارة تبريز، فقد كان من الضروري وجود شريك مناسب لهذه التجارة، وقد أظهر الجنويون أنفسهم منذ البداية كشركاء مناسبين، ممتلكين العناصر المطلوبة لهذه المهمة، والرغبة في صناعة تجارة مزدهرة[4]، فعن طريق الصدفة كان التجار الجنويون يبحثون في هذه المرحلة عن تعويض تجاري، مدفوعين بنفس الضرورات التي دفعت بدولة القفجاق نحو البحر الأسود، حيث حطمت البندقية أسطول جنوه قبالة

---

(1) Ciociltan, Mongol and the black sea,p. 149.

(2) Ciociltan, Mongol and the black sea,p.150.

(3) Ciociltan, Mongol and the black sea,p.150.

(4) Ciocilton,Mongol and the black sea,p,150.

عكا[1] وأجبرتها على التخلي عن مدينة محورية للتجارة الغربية في الشرق[2]، وهكـذا في عمليتـين متماثلتين وفي وقت واحد، أغلق مغول فارس أرباح تجارة الشرق الأوسط، والأدنى في وجـه دولـة القفجاق، وفعل البنادقة نفس الشىء في الجنويين، وبهذا دُفعت القوي التي أُحبطت نحو البحر الأسود، ولم يكن هناك مفر من التقائهما، والعمل معاً استناداً إلي المصالح المشتركة، واحتياج كل منهما للآخر[3]، بالنسبة للقفجاق فلـم يكـن لـديها قـوة بحريـة عـلى الإطـلاق، وكـان الأسـطول المملوكي ضعيفاً للغاية، لذا فإنها كانـت بحاجـة إلي الأسـطول الجنـوي، للحفـاظ عـلى العلاقـات الدبلوماسية والتجارية بينها وبين دولة المماليك، وقـد ربـح الجنويـة مـن إعـادة هيكلـة تجـارة البحر الأسود الذي تمت في عام 660هـ/1261م[4].

(1) كان للجمهوريـات الإيطاليـه اربـاع أو مـستعمرات وإمتيـازات في الأراضي المقدسـة وذلـك مقابـل مـشاركتها في الحروب الصليبية، وكانـت الجمهوريـات الـثلاث الكـبري "جنـوة- بيـزا – البندقيـة" يتنافـسون عـبر المتوسـط للمشاركة في ثروات التجارة البحرية، كما كانوا على خلاف في الأراضي المقدسة، وفي عام 1256م –اندلع الصراع بين جنوة والبندقية للاستيلاء على دير "سانت ساباس"علي الحدود بين المستعمرتين الخاصتين بهما في عكا، وفي هجوم الفجر استولت جنوة على الدير، مما عجل بانـدلاع الـصراع بـين جميـع الفـصائل في القـدس، وفي عـام 1257م- أرسلت البندقية اسطولاً للشرق تحت قيادة"لورتزو تيبولوا" الذي اقتحم ميناء عكا واجـبر الجنـويين على العودة إلي مستعمرتهم واعاد احتلال الدير، ثم اتفقت بيزا والبندقية في وقت لاحق من نفس العـام ضـد جنوة، فردت جنوة بإرسال اسطول إلي الشرق، وتقاتل اسطول جنوه والبندقية خارج عكا في25/يونيو/1258م- وانتصرت البندقية وطردت جنوه من مستعمرتها في عكا، ونـشبت حـرب قراصـنة وحـشية بـين الجمهوريـات الثلاث في بلاد الشام استنزفت اقتصاديات الجمهوريات الثلاث، وفي هذه الاثناء حققت جنوة انقلابـاً ملحوظـاً حيث ابرمت معاهده نيمافيوم مع ميخائيـل بـاليولوج إمبرطـور نيقيـة في 13/مـارس/1261م- وفي 25 يوليـو، دخلت قوات باليولوج إلي القسطنطينة، وانتهت الإمبراطورية الرومانية وانتهت معها هيمنة البندقية، وحلت محلها جنوة في الهيمنة على تجارة المتوسط-انظر:

(John h. pryor , the Maritime Republics- in- “the new Cambridge Medieval History – c.1198-c1300” Cambridge university press ,1ed ,1999,vol ,v ,p,p,419:422,435:436).

(2) Ciocilton, Mongol and the black sea ,p,150.

(3) Ciocilton,Mongol and the black sea,p,151.

(4) Ciocilton,Mongol and the black sea, p.153-154.

فقد ترتب على تعاون الجنوية مع القفجاق انتشارهم في حوض البحر الأسود، كما منحهم بركة خان امتيازات واسعة، وأحياء كاملة في موانئ القرم، الأمر الذي أدي إلي انفراد الجنوية تقريباً ولفترة طويلة، بنقل العبيد من جنوب روسيا، ومنطقة القوقاز، إلي أسواق البحر المتوسط بصفة عامة، وإلي دولة المماليك بصفة خاصة[1].

2- ضمان حرية المضايق:

كان لابد من دخول بيزنطة، كلاعب مساعد في التحالف وذلك لضمان حرية تجارة العبيد، وتبادل السفارات بين القفجاق وسلطنة المماليك، حيث كان المنفذ الوحيد للبحر الأسود نحو موانئ المتوسط عبر مضيق البوسفور وبحر مرمره، اللذان سيطرت عليهما الإمبراطورية البيزنطية[2] بقيادة ميخائيل باليولوج[3].

وبهذا كان لنجاح بركة خان في كسر حصار الإيلخانية، على الأقل في الطرف الغربي للدولة، أهمية كبري لمستقبل الدولة وإنقاذها من العزلة، وإلي جانب جهوده العسكرية والسياسية،و التي كان لها أثر تجاري قوي، لجأ بركة خان إلي خطوة أخري من أجل تقليل خسائره، عن طريق تحويل بعض تجارة طريق الحرير إلي أراضي القفجاق، فتم ترقية طريق- اورجنتيش[4]، في وسط آسيا حتي مدينة سراي ومنها إلي مدينة تانا "مدينة ازوف الحالية"، ثم إلي موانئ البحر الأسود، ليكون شريان التجارة الرئيسي والذي يمكن به أن

---

(1) هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا، ص222.

(2) انظر ملحق رقم (4) ص219.

(3) ciocilton,Mongol and the black sea, p.92 ; pryor , the Maritime Republics, P.436.

(4) اورجنيش: مدينة قديمة في وسط آسيا تقوم مكانها الآن مدينة كونيا اورجنتيش بجمهورية تركمانستان في واحة خيوه وتقع على بعد 140كم شمال غرب مدينة اورجنتيش، كانت عاصمة خوارزم وتسمي بالفارسية كركانج حتى هجرت في القرن ال16بعد أن تحول عنها نهر امودوريا(جيحون) التي كانت تقع عليهـ وتوجد حالياً مدينه أخري بأوزبكستان تحمل اسم اورجنتيش الجديدة، انظر: (الموسوعة العربية الميسرة، ج1، ص507؛

B.Akhmedov ,Central asia under the rule of ghinggis khan’s successors-in “history civilizations of central asia” ,motilal banarsidass publish ,delhi,1999,vol,4-part,1,p.262).

تنافس به خانية القفجاق أمام الطريق الآسيوي الأصلي من حيث الأمـن وسـهولة النقـل ونظـام الجمارك الجذاب[1].

وفي إطار تطوير طرق التجارة الخارجية، لجأ بركة خان إلي تـشجيع التجـار الأجانـب، عـلى السفر عبر أراضي القفجاق[2].

وبالتالي فالكرم الذي أظهره للأخوان باولو[3]، القادمان من القسطنطينة إلي القفجـاق سـعياً لزيادة رووس أموالهما، وسـماحه لهـما بـالعودة إلي الغـرب مـصحوبين بالهـدايا[4]، كـان ترغيبـاً لقوافل التجارة القادمة من جنوة والبندقية، كي تـسلك نفـس الطريـق عـبر أراضي القفجـاق إلي وسط آسيا والصين[5].

- علاقة الأخوان باولو ببركة خان:

غادر الأخوان باولو القـسطنطينية عـام 1260م – وبحـوزتهما مجموعـة مـن الجـواهر الثمينة- وكان هدفهما الأول هو الذهاب إلي بلاط بركـة خـان[6]، الـذي اسـتقبلهما بحفـاوة بالغة، وكان سعيداً جداً بقدومهما، فقدما له الجواهر التي جلبوها معهما، فاشـتراها مـنهما

(1) Ciocilton,Mongol and the black sea ,p.97; Martin ,Medieval Russia,p.142.

(2) Ciocilton , Mongol and the black sea,p.148.

(3) هما مافيو ونيكولو، تاجران من البندقية، من أسرة نبيلة، تمارس التجارة، مثلها مثـل سـائر الأسر النبيلـة في البندقية، قبل سفرهما إلي القفجاق، أقاما لمدة طويلة في القسطنطينية، حيث كان أخوهما الأكـبر مـاركو، مقيماً بها بصفة دائمة، قبل أن يعتزل العمل ويعود إلي موطنه، ليمضي بقية حياته هنـاك، انظـر: (هايـد: تاريخ التجارة، ج3، ص69).

(4) لم يكن مسموحاً للتجار الأجانب بالـسفر داخـل الإمبراطوريـة المغوليـة إلابـإذن صريـح مـن الخـان الـذي يرغبون في عبور أراضيه وهذا الإذن الذي يمنح يمثل الحماية من الدرجـة العليـا لـذلك كانـت الـسلطات ملزمة بمساعدة المسافرين بما في وسعها، ولكن هذا النظام لم يضمن راحة كاملـة للمـسافرين، لكنـه مـع ذلـك أدي الغـرض المقـصود منـه، كـم تـم تطبيـق نفـس الـصرامة عـلى سـفر الـسكان المحليـين داخـل الإمبراطورية المغولية ولم يُسمح لهم بمغادرة الأراضي التي خصصها الخان كمراعي لهم- انظر:
(Ciocilton, Mongol and the black sea ,footnote1,p.101).

(5) Ciocilton, Mongol and the black sea,p .148.

(6) باولو، رحلته، ج1، ص33 ؛ هايد: تاريخ التجارة، ص69.

بضعف ثمنها، وقدم لهم علاوة على ذلك هدايا قيمة[1]، وقد نجحت زيارة الأخوان باولو، بشكل لم يتوقعوه، وبعد أن أقاموا في بلاط بركة خان عاماً كاملاً، قررا العودة، لكن انـدلاع الحـرب بـين بركة وهولاكو، قد أغلق الطريق أمامهما، ولم يستطيعا العودة، فقررا مواصلة التقدم من الناحية الآسيوية، فاجتازا نهر الفولجا، وبعد رحلة طويلة عبر السهوب، وصلوا إلي مدينة بخاري[2]، التـي مكثا فيها ثلاث سنوات محتجزين، ولم يستطيعا المغادرة إلا بفضل الصدفة التي جمعتهما بوفـد من سفراء التتار كانوا في طريقهم من فارس إلي الصين، ومروا أثناء طريقهم بمدينة بخاري، فرأوا الأخوان باولو، وعرضوا عليهما مرافقتهم إلي بلاط القان، وأكدوا لهما، أن القان يرغـب بـشدة في رؤية أوروبيين لاتينين، وأن تلك الرحلة ستعود عليهما بمكاسب مالية[3]، ولم يحتج الأخوان بـاولو لعرض أفضل من ذلك حتي يقتنعا بالرحيل، وبناءً عليه سافرا بصحبة الـسفراء المغـول إلي بـلاط القان،مما جنبهما متاعب كثيرة واجتازا في عام واحد آسيا الوسـطي عـلى اتـساعها،ووصلا لـبلاط قوبيلاي قان، الذي فرح بقدومهما كثيراً[4].

العملة:

ظهر في كل الدول التي أقامها المغول، ماعدا دولتهم في الصين، نظام خاص بالعملة، فكانت أكبر قطعة من النقد لديهم تسمي ديناراً، وأصغر قطعة تـسمي درهـماً، وكـان الـدينار يـساوي ستة دراهم، وقد ثبت وزن الدرهم في عهد خلفاء جوجي على ثلث المثقال، ثم طُبق هذا الوزن فيما بعد في آسيا الوسطي وإيران، وهـوالأمر الـذي يوضـح أهميـة ممتلكـات جـوجي وبخاصـة مدينة خوارزم في التجارة الدولية[5].

---

(1) باولو: رحلته، ص32-34؛ هايد: تاريخ التجارة، ص69.

(2) باولو: رحلته ص34؛ هايد: تاريخ التجارة، ص69.

(3) باولو: رحلته، ص34-35 ؛ هايد: تاريخ التجارة، ص69.

(4) باولو: رحلته، ص35؛ هايد: تاريخ التجارة، ص69.

(5) بارتولد: تاريخ الترك، ص190؛

=Fritz Rudolf künker münzenhandlung , the dewit collection of medieval coins ,1000 years of European coinage ,part ,2," germany,switzerhnd =,Austria, bohemia, Moravia , Hungary , Silesia ,Poland , Baltic states ,Russia and the golden horde" , osnabrück,2007,p14.

ولم يتم العثور، على أي عملة من عهد جوجي خان، حتي جزم الباحثون في العصر الحديث، بأن العملة لم تُسك في عهد جوجي الذي توفي بعد حيازته أراضي القوقاز بوقت قصير، دون أن يمتلك الوقت ليحكمها[1]، وتعود أولي العملات الخاصة بخانية القفجاق إلي عهد باتو خان[2]، كما ظهرت عملات مسكوكة في عهد بركة خان[3] الذي سك العملة باسمه واسم أريق بوقا، دون ذكر اسم قوبيلاي قان عليها[4].

إنشاء المدن والتطور العمراني:

اهتم بركة خان بإنشاء المدن الجديدة، بالرغم من مواصلته هو وباقي خانات القفجاق العيش في الخيام، وفقاً لعاداتهم البدوية[5]، إلا أن المدن أصبحت مراكزهم الإدارية والتجارية، التي تطورت وضمت سكاناً حضريين من مختلف الشرائح الاجتماعية، فضلاً عن النخبة من التتار، الذين استقروا بشكل دائم في الأماكن الحضرية، ولكن بطريقة حياة مختلفة[6].

- مدينة سراي:

لم يعرف مغول القفجاق في البداية مكاناً للسكن سوي معسكراتهم المكونة من الخيام، ووفقاً للفصل يغيرون موقعهم على طول نهر الفولجا، حتي أعطي بركة خان الأمر ببناء

(1) Badarch Nyamna, the coins of the Mongol empire and clan tamgha of khans(xiii-xiv),ulaanbaatar ,Mongolia,2005 ,p.36.

(2) Nyamna, the coins of the Mongol empire, p.103.

(3) انظر ملحق رقم (5)، ص220.

(4) Howorth, History of the Mongol,p.113 ; Nyamna, the coins of the Mongol empire ,p.193.

(5) Martin ,Medieval Russia ,p.142.

(6) Martin ,Medieval Russia ,p.142.

عاصمة دائمة هي سراي[1]، والتي ورد ذكرها في مذكرات ويليام روبرك، الذي ذكر مروره بمدينـة جديدة أسسها باتو على الضفة الشرقية لنهر الفولجا واسمها سراي[2]، لكنه لم يـصف المدينـة [3]، وسراي هي كلمة فارسية استخدمها الترك في وقت مبكر، وأطلقها المغـول عـلى مقـر الخـان، ثـم اتسع معناها بعد ذلك ليشمل المدن التي أُنشئت حول مقر الخان، ولكن بدولة القفجاق هناك مدينتان كائنتان، على الضفة اليمني، لنهر الفولجا تحملان اسم سراي[4].

عُرفت المدينة الأولي منهما باسم سراي القديمة، وتوجـد أطلالهـا فـيما يعـرف اليـوم بقريـة سيليترينوي Selitrennoy التابعة لمدينة أستراخان، و كانـت تلـك المدينـة هـي العاصـمة الأولي لدولة مغول القفجاق، و تميزت بمساحتها الشاسعة، والتشابه الكبير بينها وبين مدينة قراقورم[5]، أما المدينة الثانية والمعروفة باسم سراي الجديدة، فتوجد أطلالها فيما يُعرف اليوم بقريـة زارف tsarev التابعة لمدينة فولفوغراد volgograd والتي تدل آثارهاعلي أنهـا ذات أهميـة تاريخيـة، وأكثر ثراء وأناقة من المدينة الأولي[6].

بقي أن نعرف أياً من المدينتين هي سراي بركة، وفي هذا الشأن لدينا رأيان: الأول: يقول بأن سراي القديمة، الواقعة في سيليترينوي الحالية، قد أنـشأها بـاتو، أمـا سراي الجديـدة الواقعـة في مدينة (زارف) الحالية، فهي التي أنشأها بركة[7].

---

(1) Rene Grousset , the Empire of the Steppes a history of central Asia ,translated from French by Naomi Walford, 8ed,Rutgers University press,2002,p.400.

(2) أُنشئت المدينة على ذراع ثانوي لنهر الفولجا يسمي اقتوبا، أي التل الأبيض، انظر: (الرمزي:تلفيق الأخبار، ص379؛ تاريخ التجارة، ص82)

(3) بارتولد: تاريخ الترك، ص188؛ Journy of Rubruck,p,256

(4) بارتولد: تاريخ الترك، ص189، هايد: تاريخ التجارة، ص82، لمزيد من التوضيح انظر: (ملحق رقم(2)).

(5) هايد:تاريخ التجارة، ص82؛ Spuler, the Muslim world,vol,2,p.14

(6) بارتولد:تاريخ الترك، ص189؛

Alan.J.K.Sanders , Historical Dictionary of Mongolia, 2ed, the scarecrow press,lanham, Maryland, and oxford, 2003,p.133.

(7) بارتولد: تاريخ الترك، ص189.

أما الرأي الثاني: فيقول بأن سراي القديمة، شرع في بنائها باتو، وأتمها بركة خان، وبلغت أوج عظمتها وازدهارها في عهده[1]، وقد زار روبرك سراي القديمة في عهد باتو، وتبعاً لتقديراته للمسافات فإنها كانت أقرب إلي بحر قزوين من مدينة زارف الحالية[2]، وقد ذكر ابن بطوطة الذي زار إحدي المدينتين، أنه عند مغادرته أستراخان، صعد مجري نهر الفولجا، ووصل إلي سراي في اليوم الثالث، وبما أنه سافر في فصل الشتاء، وفي هذا الفصل من العام يكون النهار قصيراً، فلا يلزمه وقت طويل ليصل إلي الموضع الذي توجد به سيليترينوي، إنما يلزمه وقت أطول ليصل إلي الموضع الذي توجد به زارف[3]، وعليه تكون المدينة التي زارها ابن بطوطة وأطلق عليها سراي بركة، هي ذاتها سراي باتو الواقعة في سيلترينوي، والتي زارها من قبله ويليام روبرك، ولكن مظهرها قد تغير من زيارة أحدهما إلي الآخر، فلابد أنها اتسعت وازداد عدد سكانها[4]، وأنه بعد زيارة ابن بطوطة، بوقت قصير نقل الخان مقره إلي مدينة سراي الجديدة، التي شُيدت فوق الموقع الحالي لمدينة زارف والتي يعتقد أن مؤسسها هو أوزبك خان[5]، لكن ينفي هذا الرأي وجود عملات سُكت في مدينة سراي الجديده عام 710هـ- أي قبل سلطنة أوزبك[6].

وفي تفسير هذا يقول بارتولد: أن " المدن في جنوب روسيا في عهد المغول كانت توصف كثيراً، بكلمة "يكي" أي جديد، ومن الصعب تصور وجود مدينتين تحملان نفس الاسم، إحداهما جديدة والأخري قديمة، والأرجح أن كلمة "يكي"، كانت تطلق على الأحياء الجديدة باعتبارها مدناً "[7].

---

(1) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص379؛

Burgan ,Empier of the Mongols,p,141;Vasary,Berek,-in-“theEncyclopaedia of Islam ,p.46.

(2) هايد:تاريخ التجارة، ص83؛ Journy of Rubruck,p.256-257

(3) ابن بطوطة: رحلته، ص261؛ هايد: تاريخ التجارة، ص84.

(4) هايد: تاريخ التجارةص83.

(5) هايد: تاريخ التجارة، ص83 ؛ بارتولد: تاريخ الترك، ص190.

(6) ابن بطوطة: رحلته، ص272؛ بارتولد: تاريخ الترك، ص190.

(7) بارتولد: تاريخ الترك، ص191.

وعليه تكون سراي بركة هي سراي القديمة، التي شرع في بنائها باتو وأتمها بركة خان، بينما سراي الجديدة الواقعة في زارف هي امتداد عمراني لسراي القديمة، وليست مدينة جديدة.

وفي وصف سراي، ذكر ابن بطوطة بأنها كانت من أجمل مدن عصرها،وأكثرها اتساعاً وعمرانا، كما كانت واحدة من أهم المدن التجارية ببلاد القفجاق، تحوي العديد من الأسواق، أهمها سوق العبيد[1]، كما أقيم بها الكثير من المساجد، وضمت سكاناً من مختلف الطوائف والجنسيات من فرس ومغول وروس وعرب، مسلمين، ومسيحيين، تسكن كل طائفة منهم بحي فيه منازلهم و أسواقهم [2]، هذا وقد ازدهرت مدن أخري كمدينة بلغار.

- **مدينة بلغار:**

كانت مقراً صيفياً لإقامة بركة خان،وتقع على الضفة الشرقية لنهر الفولجا، جنوب مدينة قازان الحالية، في خط مواز لموسكو، وكانت ذا أهمية اقتصادية عظيمة، كما كانت في وقت ما دار سك العملة الوحيدة في دولة القفجاق[3]، كما ازدهرت كذلك بعض مدن القرم في عهد بركة خان كمدينة كصولديا.

- صولديا:

وتسمي سرداق، أو سوداق، تقع على الطرف الجنوبي لشبه جزيرة القرم، كانت مركزاً للتجارة في البحرالأسود، قبل ازدهار مدينة كافا، كما كانت نقطة حدودية، بين أراضي مغول القفجاق والدولة البيزنطية، حيث كانت تقع قُبالة سواحل سينوب البيزنطية مباشرة، وإليها يصل جميع تجار اسيا الصغري، العابرون نحو الأراضي الشمالية، وكذلك يمرون بها في طريق العودة من روسيا إلي بلادهم[4]، كما كان للبنادقة فيها وكالات تجارية، وقد زارها

(1) ابن بطوطة: رحلته، ص272-273.

(2) ابن بطوطة: رحلته، ص273؛ القلقشندي: صبح الاعشي، ج4، ص458.

(3) ابن فضلان: رسالة ابن فضلان، ص22؛ باولو: رحلته، ص33؛ بارتولد:تاريخ الترك، ص188.

(4) ابن بطوطة: رحلته، ص363؛ باولو: رحلته حاشية رقم 5، ص168-169.

الأخوان باولو عند قدومهما للقفجاق[1]، و منحها بركة خان كإقطاع للسلطان عزالدين كيكاوس- سلطان قونية، الذي هرب أمام جيوش المغول الغازية، وانتهي به الأمر لاجئاً في بلاط بركة خان عام 1265م،[2] كما منحه أيضاً مدينة صولغات، أو صولجاد والتي سميت لاحقاً (صولغات قريم)[3] والتي مثلت محطة تجارية رئيسية، ازدهرت بين القرن السابع والثامن الهجري /الثالث والرابع عشرالميلادي كعاصمة للخانات، ودارٍ لسك العملة[4]، كما نال الكثير من رفاق عز الدين إقطاعيات أخري، في نفس المنطقة، وظل عز الدين في بلاد القفجاق حتي وفاته عام 677هـ/1278م، وفي رواية أن بركة خان قد زوجه أيضاً من ابنته المسماة أوربای خاتون، وأن منكوتمر حاول أن يزوج ابن عز الدين من أرملة أبيه، ابنة بركة خان، على عادة المغول لكنه كمسلم رفض ذلك[5]، ولانعلم على وجه الدقة مدي صحة هذه الرواية.

كما ازدهرت أيضاً من مدن القرم مدينتا كافا "فيودسيا حاليا"[6] وتانا، اللتان كانتا عصب تجارة البحر الأسود في العصور والوسطي، وقد سكنهما تجار جنوة مابين عام660-664هـ /1261-1265م حيث منحهم بركة خان امتيازات واسعة، وأحياء كاملة بهما،

(5) هايد: تاريخ التجاره، ص69.

(2) هايد: تاريخ التجارة، ص69.

(3) صولغات قريم: تقع في منطقة القرم على بعد عشرة أميال غرب فيودوسيا، وهي اليوم إحدي مدن روسيا وتعرف ب ستاري قريم stary krym، انظر:

(Angelo Heilprin , Louis Heilprin , geographical dictionary of the world in the early 20 th century, logos press, new delhi ,1990,vol2,p.1758)

(4) E.S.Georgantel, V.Curuliova , East Meets West:Coins and Communicationson the Black Sea,Thirteenth-Fifteenth Centuries-in-"Proceedings of the 21 st International Congress of Byzantine Studies" ,Abstracts of Panel Papers ,London, 2006,vol,2,p,107.

(5) Vasary ,Cumans and Tatars,p,77.

(6) Georgantel, east meets west,p107.

فأسسوا مستعمرات تجارية هناك، كما أقام البنادقة أيضاً، وكالات تجارية في القرم، نتيجة لتشجيع بركة خان للتجار الأجانب[1].

ومما سبق يمكن القول بأن بركة خان قد وفق إلي حد بعيد فيما استحدثه من أنظمة إدارية وما بذله من جهد في سبيل ازدهار الدولة، وإرساء قواعد التسامح والحفاظ على الحريات الشخصيه لرعيته كاملة غير منقوصه.

(1) هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا، ص222؛ هايد: تاريخ التجارة، ص69؛
Barthold,Encyclopedia of Islam, p.136.

الفصل الثالث

السياسة الخارجية لخانية القفجاق

في عهد بركة خان

غيَّر بركة خان خارطة التحالفات السياسية القديمة، ووضع خارطة جديدة استمرت بعد وفاته، فقد استبدل بركة خان تحالفاته المغولية، بالتحالف مع دولة المماليك في مصر، ففي الوقت الذي اتسمت به علاقاته بممالك المغول الثلاث في قراقورم وتركستان وإيران بالعداء، ازدادت أواصر الصداقة والتقارب بينه وبين العالم الإسلامي، وبخاصة دولة المماليك في مصر، وهو الأمر الذي استمر في عهد خلفائه[1]، وكان له أثر بالغ على جيران الخانية في أوروبا.

العلاقات القفجاقية الأوروبية في عهد بركة خان:

اتسمت العلاقات بين خانية القفجاق وأوروبا في عهد بركة خان بالعداء والمواجهات المسلحة تارة، والتحالفات والمهادنات التي فرضتها الظروف والمصالح المشتركة تارة أخري.

- العلاقات القفجاقية- الغاليسية أو الجاليكية:

غاليسيا أو جاليكيا "Galicia"[2] هي إمارة تاريخية عُرفت في العصور الوسطي باسم إمارة هاليتش "Halych"، كانت إحدي مدن الكيان الفيدرالي المعروف باسم روس

---

(1) سعيد عبدالفتاح عاشور: مصر والشام، ص333.

(2) غاليسيا:هي منطقة تاريخية مقسمة حالياً بين بولندا وأوكرانيا، وقد امتدت حدودها من قمة جبال كاربات"Carpathian" فى الجنوب، إلي أنهار سان وويبرز "San,Wieprz" فى الغرب، وأنهار زيبروج "Zbruch" و كيريموش "Cheremosh" فى الشرق، أما حدودها الشمالية، فامتدت من مصب نهرسان Sun في الغرب، حتى منبع نهر زيبروج "Zubrch" في الشرق وقد تمتعت غاليسيا في الماضي بأهمية اقتصادية عظيمة نابعة من موقعها الجغرافى، الذى ربط بين إثنتين من أهم الطرق المائية، فى شرق، ووسط أوروبا حيث نهري باج =وسان "Bug,San" اللذان فتحا الطريق للوصول إلي الشمال الغربي لبحر البلطيق و نهرالدنيير Dniester، الذي فتح الطريق إلي الجنوب الشرقى للبحر الأسود، كما مرت العديد من الطرق البرية التجارية بغاليسيا، حيث ربطت كييف فى الشرق مع كراكاي وبودا و براغ ومدن أخرى فى الغرب، انظر:

(Moor, places,,p.295; Paul Robert Magocsi, the roots of Ukrainian nationalism Galicia as Ukrainian’s piedmont, university of Torontopress,2002,p.p.3-50).

الكيفية[1]، وكباقي مدن هذا الكيان، مرت غاليسيا بفترات من عدم الاستقرار خلال القـرن الحـادي عشر، والثاني عشر الميلادي نتيجة للصراع الداخلي على العرش، وأطـماع جيرانهـا فولينيـا[2] وبولنـدا والمجر، الذين حاولوا الاستيلاء على العرش الغاليـسي عـدة مـرات[3]، لكـن هـذا الوضـع المـضطرب مالبث أن انتهي في بداية القرن الثالث عشر ميلادي، باتحاد كلً من غاليسيا وفولينيـا تحـت إمـرة رومـان ميلوسـوفيتش "Roman mstyslavych" أمـير فوليينـا "volyn" 597-603 هــ /1199-1205م[4]، الذي ادعي أحقيته في العرش الغاليسي عقب وفاة أمير غاليـسيا فلاديمـير ياروسُـلافيتش

---

(1) روس الكيفية: مصطلح يشير إلي اتحاد أراضي روس القديمة في القرن التاسع الميلادي، وحتي الغـزو المغـولي في منتصف القرن الثالث عشر، احتلـت كييـف خـلال تلـك الفـترة مكانـة متميـزة وازدهـرت اقتـصادياًو حضارياً، وأصبحت عاصمة هذا الاتحاد ومقر الأمير الكبير، ومقراً للكنيسة الروسية الأرثوذكسية، انظر:
(Halperin, Russia and the Golden Horde,p.10; Magoucsi, HistoryofUkraine,p.72).

(2) فولينيا: كانت إمارة فولينيا الواقعة بين نهري الباج والـدنيبر "Bug, Dniester " جـزء مـن إمـارة غاليـسيا فولينيا ولكنها أصبحت جزء من ليتوانيا في القرن الرابع عشر، بعد تفكك إمارة غاليسيا فولينيا، ثم تبعت بولندا في القرن السادس عشر، ثم قُسمت بين روسيا وبولندا عام (1795)، و اليوم هي جزء من اوكرانيـا، انظر: (Moor, places,p.859)

(3) Magocsi, the roots of Ukrainian ,p.p.3-50).

(4) رومان ميلوسوفيتش: ولد عام 549هـ-1152م، تولى إمارة نوفجورد مابين عامي (556هــ-1160م/566هــ-1170م) كما تولي حكم إمارة فلاديمير وفولينيسك، وضم إليه إمـارة غاليـسيا، واسـتولي عـلى كييـف عـام 601هـ(1203م) وبهذا أصبح الحاكم المطلق لكل روسيا الكيفيه، وقد تميزت سياسته الخارجية بالنـشاط، فتحالف مع بيزنطة ومع جيرانه البولنديين والمجريين، كما أغار على أراضي الكومان، و مات في معركة ضد البولنديين بعدما نقض التحالف معهم، انظر:
(Ivan Katchanovski, et.al, Historical Dictionary of Ukraine, the scarecrow Press, 2ed, Lanham, Toronto, 2013, p.512).

"Vladimir yaroslavych" 583-597 هـ/1187- 1199م[1]، الذي مات دون أن يخلف وريثاً على العرش، ورغم مقاومة النبلاء الغاليسين لهذا الاتحاد، لم يتراجع رومان عن موقفه، وأتم اتحاد غاليسيا وفولينيا في إمارة واحدة[2]، مثلت قوة سياسية وعسكرية هامة داخل أراضي جنوب روسيا منذ ذلك الحين، وحتي بعد الغزو المغولي الذي دمر الإمارات الروسية الجنوبية، بما فيها غاليسيا مابين عامي 638-639هـ/1240-1241م [3]، وذلك في عهد دانيالو "Danyalo" 636-656هـ/1238-1262م[4]، الذي أبقاه المغول حاكماً على غاليسيا -فولينا، شريطة تقديم فروض الولاء والطاعة للمغول، وجمع الضرائب، وهو الأمر الذي التزم به دانيالو في السنوات الأولي للحكم المغولي، وأدي إلي تأمين إمارته وإزدهارها[5].

---

(1) فلاديمير: هو ابن الأمير يارسُلافيتش من زوجته اولها"Olha"، تولي عرش غاليسيا بعد صراع مع أخيه غير الشقيق اوليغ "Oleg"، كما دخل في صراع مع الأمير رومان ميسُلوفتش " Roman Mstyslavych" ، الذي أراد الاستيلاء على غاليسيا، وحرض الغاليسين ضد فلاديمير، الذي هرب هو وزوجته وابنائه إلي المجر، حيث وعده الملك بيلا الثالث بمساعدته ضد رومان، وبالفعل تحرك بقواته ضد رومان الذي هُزم وعاد إلي فولينيا، لكن الملك بيلا بدلاً من الإيفاء بوعده وإعادة فلاديمير إلي عرشه، عين ولده اندرو"Andrw" على عرش غاليسيا، واحتجز فلاديمير وأسرته، لكن تمكن فلاديمير من الهرب في عام 1189م، و حصل على المساعدة العسكرية من أمير بولندا، وعندما وصل إلي غاليسيا رحب به النبلاء وطردوا اندروا، واستمر فلاديمير في حكم غاليسيا حتى وفاته، انظر:

(Martin Dimnik ,The Dynasty of Chernigov1146-1246,Cambridge University Press,2003, pp.192-194).

(2) Magocsi, the Roots of Ukrainian,P,5; Katchanovski, Historical Dictionary of Ukraine, p.512.

(3) Magocsi, the Roots of Ukrainian , P,5.

(4) دانيالو رومانوفيتش: ابن الأمير رومان ميلوسوفيتش، كان أمير غاليسيا-فولينيا منذ عام(636هــ-1238م)، وملك روسيا منذ عام (651هـ-1253م)، تمكن في عام (643هـ-1245م) من هزيمة قوات بولندا والمجر، كما هزم النبلاء الغاليسين، في وقت لاحق، وبهذا استطاع أن يُرسي دعائم حكمه في غاليسيا، وسرعان ما استعاد العلاقات الودية بجيرانه بولندا والمجر، انظر:

(Katchanovski, Historical Dictionary of Ukraine,p,123)

(5) Magocsi, A History of Ukraine: the Land and its Peoples, 2ed University of Toronto press, Toronto , Buffalo London, 2010, P, 126.

وذلـك بتجنـب الإغـارات المغوليـة المـستمرة ومايتبعهـا مـن فـوضي ودمـار، بالإضـافة إلي استنزاف الموارد الاقتصادية للدولة في أمور الحرب، بدلاً من استغلالها في تشييد المـدن والإرتقـاء بالدولة حضارياً.

لكن سرعان ما تمرد دانيـالو عـلى الـسلطة المغوليـة، وسـعي لـشن حـرب صـليبية ضـد المغول، وفي سبيل هذه الغاية، اتبع سياسة التأقلم مع جيرانه، وتحالف مع أعدائـه الـسابقين (بولندا، والمجر)، كما عمل على توطيد هذه التحالفات بروابط المصاهرة[1]، فزوج ابنـه ليـف "lev" [2]، من ابنة الملك بيلا الرابع ملك المجر"Bela iv"، كما زوج ابنته فيما بين عـامي 648-649هـ /1250-1251م من الأمير اندريا "Andria"، أمير فلاديمير"Vladimir"، وتزوج دانيالو نفـسه مـن ابنـة أخـي مينـدوجاس"Mindougas"[3] 651-661هــ /1253-1263م، حـاكم

(1) Magocsi ,A History of Ukrain , P.126.

(2) ليف دانيالوفيتش: ولد عام (625هـ-1228م) وتوفي عام(700هـ-1301م)، تولي حكـم غاليـسيا بعـد وفـاة والده دانيالو عام (663هـ-1264م)، أنشأ مدينة لفيف "lviv" التي أصبحت عاصـمة لدولتـه منـذ عـام (669هـ-1270م) – سميت بعد ذلك ليف نسبة إليه، اختار التبعية للمغول، الـذين سـاندوه في حملاتـه على ليتوانيا وبولندا والمجر، اتسمت فترة حكمه بالرغبة في التوسع على حساب جيرانه، وهـو مـا أدي إلي انخراطه في حروب طويلة، لم يجن منها سوي القليل من المكاسب، انظر:
(Danylo Husar Struk, Encyclopedia of Ukraine, University of Toronto Press, 1993, vol, 3, p.92).

(3) ميندوجاس: وفي الروسية ميندوفاج، هـو المؤسـس الاول لدولـة ليتوانيـا، واول ملـك لهـا، وأول مـن ادخـل المسيحية داخل ليتوانيا، حيث تحول هو وابنيه وزوجته والعديد من رعاياه الوثنيين إلي المسيحية، وتـوج كملك لليتوانيا من قبل البابا في روما وربما جاء قبوله لهذا التنصيب لحماية ليتوانيـا مـن خطـر الفرسـان التيتونك، وهو الهذف الذي حاول إتمامه عن طريق التحالف مع حكام ليفونيا، ويقال أنه ترك المـسيحية وعـاد إلي الوثنيـة في آخـر عهـده، حيـث دخـل في حـرب ضـد فرسـان التيوتينـك، و قـد هـدفت سياسـة ميندوجاس إلي توحيد الولايات الداخلية لليتوانيا، والاسـتيلاء عـلى أراضي الـسلاف الـشرقيين الأرثـوذكس، وهي السياسة التي أثارت استياء أمراؤه وجيرانه، وانتهي الأمر باغتياله عام (661هـ-1263م)، انظر:
(Saulius Suzie Delis, Historical Dictionary of Lithuania, 2ed,Scare crow Press, Lanham, Maryland, 2011, PP.189-190) .

ليتوانيا[1]، عام649هـ/1251م[2]، كما تزوج ابنه في وقت لاحق من ابنة ميندوجاس، وتولي ابنه الثاني رومان "Roman" 653 -658هـ/1255 -1260م[3]، حكم ولاية نوفجوردك[4] "Novgorodok" إحدي أهم مدن ليتوانيا وعاصمة ميندوجاس[5].

وبناءً على هذا التحالف الذي صنعه دانيالو، امتنع الأمير أندريا عن دفع الضرائب للخان، وهو ما اعتبره المغول عملاً من أعمال التحدى التى جرت تحت مظلة هذا التحالف، لذا قامت الجيوش المغولية في عام 650هـ/1252م بمهاجمة كلً من أندريا الذي هزم وفر خارج البلاد، ودانيالو الذي هزم أيضاً، لكنه استمر رغم ذلك في محاولاته

(1) ليتوانيا: يحدها من الغرب بحر البلطيق ومن الجنوب الغربي بولندا، تشكلت ليتوانيا من توحيد القبائل البلطيقية تحت لوء ميندوجاس الذي أسس في القرن الثالث عشر ما عُرف بدوقية ليتوانيا، وتوسعت دوقية ليتوانيا خلال القرن الخامس عشر لتشمل الأراضي مابين بحر البلطيق حتى البحر الأسود، واتحدت مع بولندا منذ عام (787هـ-1385م)، انظر:

(Moor, places, pp.460-461; Delis, Historical Dictionary of Lithuania, p.189).

(2) في البداية كان دانيال حاكم غاليسيا خائفاً من الخطر الليتوانى ومن أجل ذلك دخل فى تحالف مع البولنديين وفرسان التيتونيك ضد مندوجاس، لكن مندوجاس تصالح مع هذا التحالف المناهض له عن طريق اعتناق المسيحية التى تخلى عنها بعد ذلك من أجل الوثنية المحلية، وزوج ابنته لابن دانيال، ومنح ابنه الآخر رومان حكم ولاية نوفجوردك انظر:

(W.E .Allen, the Ukraine History, Cambridge University Press,1940,P. 41)

(3) رومان: ابن دانيالو تولي ولاية نوفجوردك كما تزوج لبعض الوقت من جيرترود "Gertrude" دوقة النمسا، انظر:

(Anti Selart ,Livonia,Rus and the Baltic Crusades in the Thirteenth Century ,Translated from Germany by Fiona Robb,Brill, Leiden ,Boston,p.36).

(4) نوفجوردك: ازدهرت اقتصادياً في القرن الثاني عشر والثالث عشر بسبب موقعها الجغرافي بين مفترق الطريق التجاري الرابط بين بحرالبلطيق والبحر الأسود، كانت سوقاً للبضائع الفخمة القادمة من مصر وسوريا وإيران، وبيزنطة، ضمها ميندوجاس إلي ليتوانيا مابين عامي (639هـ-1241م/643هـ-1245م)، وتزامن ذلك مع الغزو المغولي لروسيا، وبدأ بذلك انهيار نوفجوردك الاقتصادي، انظر:

(Arturas Dubonis , From Mindaugas to Traidenis –in – "the Lithuanian Millenium: History Art and Culture", Translated from Lithuanian by, Igne Aidukaite, Malcolm Stewart ,Diana Barnard,Vilnius Academy of Arts Press, 2015 , pp .59-60).

(5) Howorth, History of the Mongols,p.108;Martin, Medieval Russia,p.164.

الهادفة إلي التخلص مـن الحكـم المغـولي، لكـن بعـد تلـك الهزيمـة التـي عنـت فـشل تحالفاتـه الإقليمية، كان عليه البحث عن شريك آخر، وتوجه بأنظاره تلك المرة نحو روما[1]، فتفـاوض مـع البابا أنوسـنت الرابـع" Innocent iv "641-652هــ/1243م-1254م[2]، وطلـب منـه الـدعم في حربه ضد المغول، وذلك في مقابل اعتراف دانيـالو بـسلطة البابـا عـلى إمـارة غاليـسيا – فولينيـا وكنيستها، وكُللت هذه المفاوضات فى عام651هـ/1253م بتتويج البابا لدانيالو كملـك لغاليـسيا- فولينيا [3].

وبهذا التتويج، أصبح المغول أكثر شكاً، فى طموح دانيالو وسياسته الخارجيـة، وبـدأوا فى الوقيعة، وإثارة الفتن بينه وبين النبلاء المعارضين له مـن جهـة، وبينـه وبـين القبائـل التركيـة المقيمة على الحدود الجنوبية لإمارة غاليسيا- فولينيا من جهة أخري، لكـن دانيـالو نجـح في قمـع هـذه التحركـات في عـام652هــ /1254م والعامـان اللاحقـان لهـا[4]، وعـاد لاسـتئناف مخططه الهادف إلي التخلص مـن الحكـم المغـولي، وقـام باسـتغلال تواجـد معظـم الجـيش المغولي خارج خانية القفجاق مع هولاكو، وأعلن الحرب عـلى المغـول، وقـام بطـرد قـواتهم المتواجـدة في شـمال بولـدويا، وشرق فولينيـا[5]، واسـتمر في عـصيانه، واسـتولى عـلى المـدن

---

(1) Martin , North Eastern Russia,142.

(2) البابا انوسنت الرابع: ولد عام 591هـ-(1195م) في مدينـة جنـوة الإيطاليـة، تـولي منـصب بابـا رومـا عـام 641هــ-(1243م) كـان محبـاً لدراسـة القـانون ولقُـب بـأبو القـانون، كـما أسـس العديـد مـن المـدارس والجامعات التي عنت بدراسـة القـانون والفلـسفة، انـشغل خـلال توليـه منـصب البابويـة بالـصراع مـع الإمبراطور فريدريك الثاني، كما رغب في تحويل المغول إلي المسيحية ومن اجل هذا الهدف أرسل سفارات بابوية إلي خانات المغول، انظر:

(Christopher Kleinhenz .Editor, Medieval Italy An Encyclopedia, Rout ledg, Newyourk, London, 2004,vol,1,p.527).

(3) Martin, North Eastern Russia, P.142; Magocsi, History of the Ukraine, P.126.

(4) Magocsi, History of the Ukraine, P.126; Katchanovski, Historical Dictionary of Ukraine,p.127.

(5) Howorth, History of the Mongol, P.108; Marshall, Storm from the East: from Genghis khan to Kublai Khan, the University of California Press, Berkeley, Los Angeles, 1993, P.189.

الواقعة ما بين الباج"the Bug"، وتيتريف"teterev" [1]، والخاضعة لإدارة المغول، وكان على وشك حصار كييف، لولا استدعائه بسبب هجوم اللتوانيين على أراضيه[2]، فبعد أن ساءت الأمور بين دانيالو والمغول، تخلى عنه ميندوجاس حاكم ليتوانيا، وقبض على ابنه رومان، وقام بمهاجمة أراضيه[3]، وربما أراد ميندوجاس بهذا الفعل الانتقام من الهزيمة السابقة التي ألحقها به دانيالو وحلفاؤه من التيتونيك والقبائل البلطيقية[4].

ورغم عودة دانيالو إلي بلاده لمواجهة الخطر الليتواني، وفشل تحالفاته الإقليمية، وتحالفاته مع البابوية، التي تنكر لها في أول رد فعل منه على موقف المتفرج الذي اتخذته البابوبة من حربه مع المغول، رغم كل هذا الفشل الذي مُني به دانيالو، رأي بركة خان أنه من غير الصائب ترك هذا الأمير الغاليسي مع رغبته في الخروج من عباءة المغول دون عقاب، لهذا أرسل بوروندراي - قائد جيوش المغول في الغرب - في حملة تأديبية إلي غاليسيا[5].

وبعدما فرغ المغول من عقاب دانيالو قرروا اجتياح ليتوانيا، وطلبوا من دانيالو المشاركة معهم في تلك الحملة- وتري الباحثة أن هدف المغول من هذا الطلب ربما كان قطع الطريق أمام أي فكرة مستقبلية قد تراود دانيالو، عن إعادة التحالف مع صهره ميندوجاس، والتعاون معاً ضد المغول - وقد اضُطر دانيالو الذي لم يستطع تحمل كُلفة الرفض إلي الموافقة، وأرسل جيشاً تحت قيادة أخيه فاسيلكو"vassilko"، وبعد نجاح الحملة المغولية على ليتوانيا[6]، رضي بروندراي عن حليفه الغاليسى، ونعمت غاليسيا بالسلام لبعض الوقت، كما قرر دانيالو التزام الهدوء، وتحصين مدنه حديثة البناء، إلا أن الشك نما

(1) الباج و تيتريف: هما نهران يقعان في غرب اوكرانيا، انظر

(Moor,places, p.132; David W.Anthony, the Horse,the Wheel, and Language:How Bronze Age Riders from Eurasian Steppes Shaped the Modern World, Princton University Press, 2007, p.156).

(2) Howorth, History of the Mongol, P. 108.

(3) Martin, North Eastern Russia, P.164.

(4) Howorth,History of the Mongols,p.108.

(5) Howorth,History of the Mongol,P.108; Marshall, Storm from the East, P.189.

(6) Howorth, History of the Mongol, P.109; Magocsi, History of Ukraine, P.126.

داخل بوروانداي، فدخل غاليسيا عام 657هـ/1259م[1]، و طلب من دانيالو هدم حصونه، وبما أن دانيالو لم يكن يقوي على العصيان مجدداً، فقد استجاب لطلب بورنداي، وهدم جدران بعض مدنه، وأحرق حصونها الخشبية[2]، لكن قررت مدينة لوتسك "lutsk"[3] - التي لم تكن محصنة، ولكنها كانت محمية بنهر عال جداً – عدم الاستجابة لمطالب المغول، وقام سكانها بكسر الجسر، فهاجم المغول المدينة بقاذفات الحجارة، لكن حالف الحظ تلك المدينة، وهبت رياح قوية جداً، جعلت قذائف الحجارة تعود إلي آلات المغول مرة أخري فتحطمها، فتركها المغول، واتجهوا نحو مدينة كولم"kholm"[4]، التي نجت هي الأخري من الدمار[5]، لكن هذه المرة بسبب ذكاء فاسيلكو، الذي ذهب مع رسولين من التتار لاقناع السكان بالاستسلام وهدم حصونهم، لكنه أخذ معه حجراً وألقاه على الأرض، قائلاً: "إنى أمنعكم من المقاومة " ففهم قادة المدينة مغزاه، وردوا فى غضب: "اذهب فأنت عدونا"، وقد سُر فاسيلكو بهذا الرد، وتمني أن يستمروا فى المقاومة[6]، ويبدو أن المدافعين عن كولم كانو مستعدين للحصار، ومجهزين بقاذفات الحجارة والأسلحة اللازمة، لذا تركها المغول الذين يكرهون الحصار الطويل، وتحركوا نحو مدن ساندومير"sundomir" ولوبلين "Lublin" فى بولندا، بينما فر دانيالو إلي المجر خوفاً من رد الفعل المغولي تجاه مقاومة مدينتي لوتسك وكولم[7].

---

(1) Howorth, History of the Mongol, P.109; Magocsi, History of Ukraine, P.126.

(2) Howroth, History of the Mongol, P, 109; Martin, Medieval Russia P. 164; Magocsi, History Ukraine, P.126.

(3) لوتسك: تقع على نهر ستير، واليوم هي إحدي مدن شمال غرب اوكرانيا، انظر:
(Moor, Places,p.475)

(4) كولم kholm: إحدي مدن فولينيا، و تقع اليوم في بولندا، و تعرف باسم تشيلم chelm، انظر:(Moor,Places,p.170)

(5) Peter Purton, History of the Late Medieval Siege1200, 1500 ,1ed ,the Boy Dell press,2010, part, 2, P .100.

(6) Howorth, History of the Mongols,P,109; Martin, Medieval Russia,P.164.

(7) Howorth, History of the Mongols,p.109; Purton, History of the Late Medieval Siege, P.100.

وقد استسلم دانيالو في النهاية لوطأة الأمر الواقع، وتراجع عن رغبته في الاستقلال، وأعلن خضوعه للخان المغولي، وأدي موقفه هذا إلي بدء مرحلة الهيمنة الفعلية للمغول، على إمارة غاليسيا- فولينيا، كما أدي إلي إزدهارها مرة أخري، واستمرارها لمدة طويلة في عهد خلفاؤه[1] وأولهم ابنه وخليفته ليف"lev" 662 -700هـ/1264-1301م الذى عُرفت فترة حكمه الطويل بأنها تجديد لاستقرار غاليسيا- فولينيا، الذى بدأ فى الانهيار، خلال السنوات الأخيرة لحكم والده، ويعود هذا الاستقرار إلي سلوك ليف كحاكم وفى للخان المغولى، وإلي حفاظه على روابط المصاهرة، والتحالف، التى إنعقدت في عهد والده[2].

- العلاقات القفجاقية - الليتوانيه:

العلاقات بين ليتوانيا وخانية القفجاق تم توثيقها بطريقة أقل جودة من تلك التى جرت مع العلاقات الروسية[3]، وفى بداية العقود الأُولى من القرن الثالث عشر قطنت القبائل الليتوانية الغابات بين منخفض الفستولا والنيمان "vistula ,neman"[4]، ودفينا الغربي "Dvina"[5]، وشكلوا جيشاً بدائياً، لكن الضغط الألمانى دفع الليتوانيين إلي الانتقال نحو الجنوب الغربي، وبدأ ميندوجاس في عام 638هـ -1240م، بتوحيد القبائل البلطيقية في الأراضي الليتوانية داخل مملكة متحدة، كما قام باستغلال حالة التفكك والانهيار الذي

(1) Magocsi, History of Ukraine, P.126; Michel B. Zdan, the Dependence of Halych,Volyn,Rus,on the Golden Horde, the Slavonic and East European Review, Vol,35, No,85,(Jun,1957), p.505.

(2) Magocsi, History of Ukraine, PP.126-127; Struk, Encyclopedia of Ukraine, p.92.

(3) Jackson, the Mongol and the west, P. 202.

(4) الفستولا: نهر يقع في بولندا، ويصب في المحيط الشمالي المتجمد، ويتصل مع نهر الباج، ونيمان، واودر، عن طريق قنوات، مما جعله ذا أهمية كبري للتجارة البولندية، أما نهر نيمان، فينبع من بيلا روسيا، ويتدفق في ليتوانيا، إلي أن يصب في بحيرة قورش، انظر: (Moor, Places, p.p.544-837).

(5) دفينا الغربي: هو نهر رئيسي في لاتفيا، يمر بشمال بيلاروسيا، ويصب في خليج ريغا في بحر البلطيق، انظر: (Emy Mc kenna, EDITOR, Estonia, Latvia, Lithuania, and Poland, Britannica Educational Publishing,2014).

عانـت منـه إمـارات روس كييـف بعـد الغـزو المغـولي، واسـتولي عـلى الأراضى الروسـية البعيـدة المـسماة بروثينيـا الـسوداء "Black Ruthenia" [1]، وأصـبحت أهـم مـدنها غـوردو"Cordo" ونوفجوردك "Novgordek" أقاليم داخل إمارة ليتوانيا[2]، وعندما غزا المغـول ليتوانيـا فى عهـد بـاتو، نهبوا الأراضى شرق وجنوب ليتوانيا فقط ولـيس ليتوانيـا نفـسها، و لعـل هـذا الأمـر كـان مـن قبيـل الصدفة لا أكثر، لكن الطموح الكبير للأمير ميندوجاس، و رغبته في التوسع شرقـاً عـلى حـساب أراضى البولوتسك " Polotsk " [3]، ومحاولاته المستمرة للاستيلاء على سـاموجيتيا "Samogitia"[4][5]، أثـارت غضب بركة خان- الذي تري الباحثـة أنـه لم يكـن لـيسمح بتنـامي قـوة مينـدوجاس كـزعيم محـلي، لما يشكله ذلك من خطر التمرد على الحكم المغولي مستقبلاً- لهـذا أرسـل القائـد برونـداي فى حملـة ضد ليتوانيا عام656-657هـ /1258-1259م، وشارك دانيالو مع بعض الأمراء الـروس في تلـك الحملـة التي ألحقت الدمار بالأراضي الليتوانية[6]، التـي خـضعت منـذ ذلـك الحـين لـسلطة خـان القفجـاق،

---

(1) روثينيا السوداء: كانت منطقـة تاريخيـة تقـع شرق ليتوانيـا، وتمتـد حـدودها حتـى الـضفاف العليـا لنهـر النيمان، استعمرتها القبائل البلطيقية، والسلافية، واليوم هي جزء من بيلا روسيا(روسيا البيضاء)، انظر:
(Allen, the Ukraine historY, p.41; Robert Frost ,the Oxford History of Poland –Lithuania:the Making of the Polish –Lithuanian Union,1385-1569,1ed,Oxford University Press,2015,vol ,1,p.20; Norman Davies ,god's Play Ground A History of Poland,1ed, Oxford University Press,2005,vol,1,p.29).

(2) Allen, the Ukraine History, P. 41; Frost, the Oxford History of Poland,PP.189-190.

(3) بولوتسك: حالياً إقليم في بيلاروسيا، تقع على نهر دفينا الغربي، كانت مركزاً تجارياً رئيسياً، وقلعة هامة في العصور الوسطي، انظر: (Moor, places,p.622)

(4) ساموجيتيا: مدينة تاريخية في غرب ليتوانيا، وتعني الأرض المنخفـضة، تحـدها لاتفيـا في الـشمال، وسـاحل بحر البلطيق في الغرب، ونهر نيمان في الجنوب، قبل انضمامها إلي ليتوانيا في القـرن الثالـث عـشر كانـت ساموجيتيا إمارة مستقلة، ولعبت منذ انضمامها إلي ليتوانيا دوراً رئيسياً في الحروب ضد فرسان التيتونيك، انظر:
(Delis, Historical Dictionary of Lithuanian,p.363).

(5) Allen, the Ukraine History, P. 41; Meyendroff, Byzantium and the Rise of Russia, P.56.

(6) Chronicle of Novgorod, P.96; Meyendroff, Byzantium and the Rise of Russia P.56.

فمن المرجح أن ليتوانيا بـدأت بـدفع الجزيـة للخـان بعـد تلـك الحملـة، حيـث ورد في تقـارير المحكمة البابوية للفاتيكان عام 659هـ /1260م أن الليتوانيين كانوا فى اتحاد مع المغول في ذلـك الوقت، وهو الاتحاد الذي استمر حتي بدايات القرن الرابع عشر، بعد نجاح ليتوانيا فى استيعاب مختلف الإمارات الروسية، فحتي عام721هـ / 1323 م، وهو العام الذي استولي فيه جيـديمناس "Gediminas" 715 -741هـ/1316-1241الدوق الأكبر لليتوانيا[1]، على مدينة كييف، لم ترد أي إشارة عن توقف أوحجب جزية الإمارات الليتوانية للخان[2].

-العلاقات القفجاقية - البولندية :

اجتاح المغول بولندا لأول مرة عام 639 هـ/ 1241م، ورغم نجاتها من الاحتلال المغـولى، إلا أنها عانت بشدة من مرور المغول بهـا، وظلـت مهـددة لفـترة طويلـة بـالجيرة المرعبـة لخانـات القفجاق، السادة المطلقون للشرق الأوروبى بالكامل، وبخطر غزو مغولي جديد، وهو مـا تحقـق بالفعل عام657هـ/1259م، وفاق فى ضراوته حملة عام639هـ/1241 م[3] .

وقد لجأ الأمراء البولنديون الـذين أفـزعهم الطوفـان المغـولي المتجـه نحـو بلادهـم إلي البابـا طلبـاً للمـساعدة، وبالفعـل أصـدر ألكـسندر الرابـع"Alexander-iv" 652-659هـ /1254م -1261م[4] أمـــراً فى الـــسادس والعـــشرين مـــن يونيـــو 1258م/656هــــ إلي

(1) جيديمناس: هوالدوق الأكبر لليتوانيا، وهو أحد أكثر دوقات ليتوانيا شهرة وتأثيراً، وهـو مـن صنع قـوة ليتوانيا في العصور الوسطي، والتي اتسعت حدودها في عهده لتمتد من بحر البلطيق حتى البحر الأسود، انظر:

(BarbarH.Rosenwein,editor,Readig the Middle Ages, 2ed,University of Toronto Press,2014, vol,2, p.388).

(2) Jackson, the Mongol and the West, P.203; Akiner, Religious Language of Belarusian , PP, 22-21.

(3) Jackson, the Mongols and Europe, in-“the New Cambridge Medieval History c. 1198-c.1300”, 1ed, 1999, vol, 5, P .78.

(4) البابا الكسدنر الرابع: اسمه رينالدو ينحدر من عائلة كونت دي سيني (إحدي العائلات النبيلة في إيطاليا)، وهو حفيد البابا جريجوري التاسع، تولي الوصاية على كونراد ابن فريـدريك الثـاني خلفـاً للبابـا انوسـنت الرابع، لكنه أراد تنحية كونراد، و تدمير أسرة هوهنفشتاين خاصة سلالة الإمبراطور فريدريك الثاني، الذي كان يري البابا الكسندر، أنه دمر إيطاليا والكنيسة، انظر:

=(George L. Williams, Papal Genealogy the Families and Descendants of the Popes, Mc Farland, Jefferson, Northcarolina,1998,p.32).

الدومينيكان فى ألمانيا وبوهيميا ومورافيا وبوميرانيا، لشن حملة صليبية ضد المغول، كما أصدر أمراً آخر فى السابع عشر من ديسمبر من نفس العام للفرسان التيتونيك[1]، يطلب منهم الإنضمام إلي جيرانهم البولنديين[2]، لكن هذه الحملة لم تتحقق، فقد إنقسم وسط أوروبا بسبب الحروب الإقطاعية، ففي ألمانيا تصارع كلاً من ريتشارد "Richard" أمير كورنوال "cornwall"[3]، وألفونسو"Alfonso" أمير قشتاله[4] على التاج الإمبراطورى[5]،في الوقت الذي تنازع فيه أوتوكارالثانى"ottokarii"651-676هـ/1253-1278م[6] ملك

(1) نشأت هيئة الفرسان التيتون بشكل رسمي ومعترف به بين الصليبين أثناء حصار الصليبين لعكا عام 1190م، حيث قام بعض الحجاج الألمان المشتركين في الحصار بالاتفاق على رعاية المرضي والجرحي من الألمان لما يواجهونه من مشكلة اللغة عند قدومهم لبلاد الشام، وأقاموا مستشفي القديسة مريم بالقدس، وسرعان ما اعترف البابا كلستين الثالث بالهيئة الألمانية الجديدة، ولم تقبل هذه الهيئة بين اعضائها سوي الألمان، ولم يقدر لها أن تعلب دوراً هاما في بلاد الشام، وارتبط معظم تاريخها بالتاريخ الأوروبي، ففي عام 1226م، سمح الأمير كونراد الأول دوق بولندا للفرسان التيتونك بالاستيلاء على أراضي البروسيين، الذين هاجموا بولندا مراراً، فاستولي التيتونك على أراضيهم، انظر: (نبيله ابراهيم مقامي: فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، مطبعة جامعة القاهرة، 1994م، ص21-22؛

Nicholas Von Jerschin ,Chronicle in Prussia: History of the Teutonic knights in Prussia 1190-1331, translated by, Mary Fischer,1ed , Ash gate Publishing,2010 ,,p.32; Delis, Historical Dictionary of Lithuania,p.263).

(2) Howorth, History of the Mongol, PP.109-110; Marshall, Storm rom the East, P. 189.

(3) كورنوال: مدينة جنوب غرب انجلترا، انظر:(Moor, places,p.200)

(4) قشتاله: هي ما تعرف اليوم باسم اسبانيا، كانت في العصور الوسطي مملكة تحتل وسط وجنوب اسبانيا، انظر: (Moor, places,p.158)

(5) في عام (655هـ- 1257م) حاول المجلس الانتخابي إختيار الإمبراطور، وكان هناك مرشحان لهذا المنصب هما ريتشارد أمير كرونوال و قريب عائلة ويلف" welf"- إحدي العائلات الحاكمة في أوروبا والتي انحدر منها العديد من الملوك الألمان والانجليز- والذي نادراً ما ذهب إلي ألمانيا، والفونس حاكم قشتالة وحفيد فريدرك الثاني من جهة الأم، والذي لم يذهب إلي ألمانيا ابداً، وقد استمر الخلاف حتى تم انتخاب رودولف الأول إمبراطوراً لألمانيا عام (671هـ-1273م)، انظر:

(Fritz Rudolf, the Dewitt Collection , p.14)

(6) اوتوكار الثاني: تولي حكم بوهيميا خلفاً لوالده، وتمكن من الاستيلاء على بعض المقاطعات النمساوية، ودخل من اجل ذلك في حرب مع الإمبراطور رودولف الأول، الذي تمكن في عام (673هـ-1275م) من =محاصرة النمسا، واجبر اوتوكار على التخلي عن الأراضي النمساوية التي أخذها، وقد حاول اوتوكار استعادة أراضيه في عام (675هـ-1278م) لكنه قتل في المعركة على يد الفرسان النمساويين، انظر:

(Michael Tocb, Welfs, Hohenstaufen and Habsburgs-in – "the New Cambridge Medieval History" ,vol,5,p.397) .

بوهيميا[1]، مع بيلا الرابع ملك المجر، بينما انشغل فرسان التيتونيك بمواجهة البروسيين "Prussian"[2]، في حين تنازع الأُمراء البولنديون فيما بينهم، وكل هذه العناصر كان معناها أن دعوة البابا ألكسندر الرابع لحملة صليبية ضد المغول كانت عبثاً[3].

وأمام هذا الوضع الغربي البائس، شن المغول حملة على بولندا بقيادة القائد الشهير بوروندا، شارك فيها الأمراء الروس وأمراء غاليسيا، الذين واصلوا المشاركة بشكل دوري في الحملات المغولية ضد بولندا[4].

و بدأ المغول حملتهم تلك باجتياح مدينة لوبلين "Lublin" المحصنة حديثاً، ثم اتجهوا منها إلي وادي الفيستولا، مدمرين أديرة الراهبات فى طريقهم، حتي وصلوا إلي مدينة ساندومير "Sandomiers"، التي وجدوا فيها حشداً مستعداً للمقاومة، فوعدوا أميرها عن

---

(1) بوهيميا: كانت إحدي ممالك أوروبا في العصور الوسطي، واليوم هي جزء من جمهورية التشيك، انظر:
(Zdenek Merinsky, Jaroslav Meznik, Making of the Czech State:Bohemia and Moravia from the Tenth to the Fourteenth Century-in- "Bohemia in History ",1ed, Cambridge University Press,1998,p.39) .

(2) البروسيين: مجموعة من القبائل البلطيقية الوثنية، سكنوا في المنطقة المعروفة باسم بروسيا الشرقية والواقعة على بحر البلطيق، وتحدها ليتوانيا وبولندا وروسيا، و في عام1226م أعطي الأمير كونراد الأمر لفرسان التيونيك بتحويلهم إلي المسيحية، وذلك بعدما هاجموا بولندا عدة مرات، وقد استولي الفرسان التيوتنيك على أراضيهم، مما أدي إلي إختفاء اللغة البروسية القديمة، انظر:
(Samuel Maunder, the Treasury of History: Comprising General Introductory Outline of Univesal History Ancient and Modern and a Series of Separate History of Every Principal Nation that Exists, its Rise Progress, Present Condition, Longman, Brown,London,1853,p.649; Jerschin, Chronicle in Prussia: History of the Teutonic knights in Prussia,p,64; Delis, Historical Dictionary of Lithuania,p.263).

(3) Howorth, History of the Mongol, P.110; Mikolaj Gladysz, the Forgotten Crusaders: Poland and Crusader Movement in the Twelfth an Thirteenth Centuries ,Translated from Polish by, Paul Bar ford, Brill ,2012,p.331.

(4) Howorth, History of the Mongols, P.109; Gladysz, the Forgotten Crusaders, P .331; Jackson, Mongol and the West, P.202.

طريق وسطاء من الأمراء الروس المشاركين فى الحملة، أنه إذا قام بتسليم المدينة فسوف يتركون أهلها سالمين، ولكنهم لم يفوا بهذا الوعد وقاموا بذبح السكان فى الثاني من فبراير عام 1259م/657م[1]، وتم دفنهم فى كنيسة سانت مارى بساندومير، ولتخليد ذكرى استشهادهم، قام البابا بونيفاس الثامن " "BonifaceVIII1294-1303م[2]، بمنح المغفرة للكنيسة في وقت لاحق- في دلالة على الوضع المزري للكنيسة، التي لم تعد تملك سوي الدعاء، ومنح البركات- واتجه المغول بعد ذلك إلي مدينة كراكو "Cracow"[3] فدمروها وهرب أميرها إلي المجر، وبعدما انتهوا من تدمير باقي المدن البولندية، عادوا إلي الخانية بصحبة عدد كبير من السكان الذين وقعوا في الأسر وصاروا عبيداً للسيد المغولي[4].

وفى خريف عام 1263م/661هـ أراد الأساقفة البولنديون شن حرب صليبية ضد المغول، وتلقى فرسان التيتونيك أمراً من البابا بتقديم العون لبولندا، لكنهم كانوا مشغولين حينها بالصراع مع اللتوانيين والبروسيين من جهة، وبمحاولة الاستيلاء على إمارة ساموجيتيا "samogiti" ، من جهة أخري، لذا فاشتراكهم في حملة صليبية ضد المغول في هذا الوقت كان أمراً ضد مصالحهم وبهذا لاقت تلك الدعوة مصير سابقتها [5].

و عني فشل بولندا في الحشد لحملة صليبية ضد المغول، استمرار الإغارات المغولية على بولندا، والتي كانت تتم غالباً في فصل الشتاء، حيث تتجمد الأنهار والمستنقعات،

---

(1) Howorth, History of the Mongol, P.109; Purton, History of the Late Medieval Siege, P.100.

(2) بونيفاس الثامن: هو بابا الكنيسة الكاثوليكية في روما، عمل على تدعيم سلطة الكنيسة، وشدد على ضرورة خضوع الملوك لسلطة البابا، ودخل في سبيل ذلك في صراع مع فيليب الرابع ملك فرنسا والذي تمكن أحد رجاله من القبض على البابا واحتجازه لمدة يومين، عاد بعدها البابا منهكاً جسدياً وعقلياً ومات بعدها بفترة قصيرة، انظر: (منير البعلبكي: معجم أعلام المورد، ص124؛

Jackson J.Spielvogel ,Western Civilization: A Brief History,7ed,Wadsworth, Gengage Learning, 2009,p.233).

(3) كراكو:ثاني أكبر مدينة في بولندا، تقع على نهر الفيستولا، انظر: (Moor,Places,p.204)

(4) Howorth, History of the Mongol. 110;Jackson, Mongol and West ,P.123.

(5) Howorth, History of the Mongol, P.111; Gladysz, the Forgotten Crusaders, P.331; Meyendroff, Byzantium and the Rise of Russia, P.57.

وبالتالي تصبح الطرق ممهدة، وتُجنى المحاصيل، وبدلاً من انتشار الغنـائم فى الغابـات والمراعـى فإنها تكون مجمعة فى المنازل والحظائر مواتية للنهب [1]، فشن المغول بالتعـاون مـع الروسـيين واللتوانيين حملة على بولندا في شتاء عام 661هـ/ 1263-1264م، وأعـادوا الكـرة مـرة أخـري في عام662هــ/ 1264 م بالتعـاون مـع أحـد الأمـراء الـروس، لكـنهم هُزمـوا هـذه المـرة فى معركـة بوتاستات"Putta statt"، على يد أمير كراكو"Cracow" [2]، وقد أظهرت هذه الحملات المغولية، قدرة الأمراء الروس على التكيف والتقدم كتفاً بكتف مع ساداتهم المغول، كما كانت بداية فصل جديد فى صراعهم مع الجار والعدو الذى لا يعرف الملل بولندا[3].

وتري الباحثة أن المتمعن في الحملات المغولية على بولندا، يجد أنهـا لم تكـن ذات أهـداف استيطانية، فانشغال بركة خان في حربه مع هولاكو، ما كان ليتيح له احتلال بولنـدا، لمـا يتطلبـه ذلك من معارك طويلة وقوات دائمة، كان هو في حاجة إليها على جبهة القوقاز، لذا ربمـا هـدف بركة خان من وراء تلك الحملات السريعة على بولندا، إلي إبقائها في حالة ضعف، حتي لا تفكـر في حمل لواء المقاومة مستقبلاً، أو مهاجمة الأراضي الروسـية المتاخمـة لهـا والخاضـعة للـسلطة المغولية، بالإضافة إلي نهب المحاصيل والمؤن، والحصول على العبيد .

-العلاقات القفجاقية -المجريه:

بـدأ الغـزو المغـولي للمجـر في عهـد بـاتو خـان، و قـرر بـيلا الرابـع مقاومـة الغـزو المغولي لكن انتهت المواجهات بهزيمته في معركة ساجو عام 639هـ/1241م وهروبـه إلي دالماشيا، و دمار المجر، ورغم ما أحرزه المغول من نصر في الأراضي المجرية، فقد انـسحبوا بـسبب مـوت أوكتـاي قـان، الـذي أدي إلي نجـاة أوروبـا مـن الطوفـان المغـولي المتجـه

---

(1) Howorth, History of the Mongol, P.111.

(2) Howorth, History of the Mongol, P.111.

(3) Howorth, History of the Mongol, P.111.

نحوها[1]، ولك بسبب انشغال المغول بعد وفاة أوكتـاي قـان بالـصراع الـدائر بـين أمـراء البيـت الجنكيزي على عرش القانية من جهة، وانشغال باتو بتدعيم مملكته، وبنائها من جهة أخـري- و بهذا تمكن بـيلا مـن العـودة إلي مملكتـه التـي شرع في بنائهـا مـن جديـد، وهـي المهمـة التـي استغرقت ما تبقي من حياته[2].

وحـين تـولي بركـة خـان الحكـم، سـعي إلي التحـالف مـع بـيلا الرابـع، فأرسـل بـيلا خطابـاً إلي البابا الكسندر الرابع، عام 657هـ/1259 م يشرح فيه أنه تلقى عرضاً لإبرام معاهـدة مـع المغـول، و يصف معاناته وخوفه من شن المغـول هجـمات أخـري عـلى بـلاده، ويبـدي اسـتيائه مـن الموقـف السلبي للبابوية [3]، كماهدد بالانتقام لنفسه عن طريق قبول هذا التحالف الجديد[4]، أما البابا فركز في رده عـلى بـيلا، عـلى وصـف حالـة البـؤس التـى تعانيهـا الكنيـسة، بـسبب هجـمات الإمبراطـور فريدريك التي كبدت الكنيسة ديوناً كثيرة و أضعفت مركزها، وعرضتها للحرج[5]، كما أشار البابـا إلي العروض التى تلقاها بيلا، والتي تتضمن زواج ابنه من أميرة مغولية، و تسليم ابنته إلي أمـير مغـولي، وكذلك تقديم ربع السكان للعمل كحرس أمامي في الجيش المغولي، وفى المقابـل ينـال بـيلا خمـس الغنائم، و يُعفي من دفع الجزية، ويمتنع المغول عن مهاجمة أراضـيه [6]، وقـد هـاجم البابـا هـذه السياسة المغولية، بشدة، ووصفها بالوحشية والمنافية للـدين والأخـلاق، وذكـر بـيلا بكفـر المغـول، وأخبره أن المصائب التى تعانى منها الأمة هى نتيجـة وعقـاب لآثامهـا، و أوصـاه بـالتحلي بـالتقوي والعدل لدفع تلك المصائب، وأنهى رسالته بإعتذاره، عن عدم تمكنـه مـن إمـداده بـألف فـارس[7]،

(1) Molnar , A Concise History of Hungary,p.34; Laszlo Makkai, Transformation into Western: Type State ,1096-1301-in-"A History of Hungry", 1ed,Indian University press,1994,p.26.
(2) Skvarna ,Slovak History, p.32.
(3) Howorth, History of the Mongol, P, 110 ؛Jackson, Mongol and West ,P.200.
(4) Howorth, History of the Mongol, P.110.
(5) Howorth, History of the Mongol, P.110.
(6) Howorth, History of the Mongol, P. 110; Jackson, Mongol and West, P.123.
(7) Howorth, History of the Mongol, P.110.

وأخبره أن الغفران الذى سيقدمه لحملة صليبية، قد يكون أكثر نفعاً من فرقة عـسكرية[1]، وقـد تزامنت تهديدات المغول للمجر، مع هجوم اتوكار الثانى ملك بوهيميا، فتوجه بـيلا الرابـع ملـك المجر مع زمرة من الأمراء بينهم دانيالو حاكم غاليسيا، في حملة دموية ضد اوتوكار عـام658هــ /1260م فنى فيها ثلاثين ألف شخص من الجانب المجرى وحده[2].

وتري الباحثة أن الحظ قد حالف بيلا الذي رفض التحالف مع المغول، ونجا مع ذلـك مـن رد الفعل الانتقامي لبركة خان، رغـم سـوء الأوضـاع الداخليـة في المجـر انـذآك، ونـشوب حـرب أهليه، بسبب النزاع على السلطة بين بيلا وابنه ستيفن"Stephen"670-688هـ/1272-1290م[3]، و هو الأمر الذي كان من شأنه أن يجعل من سيطرة المغول على الأراضي المجرية أمراً سهلاً، لولا انشغال بركة خان بالصراع الدائر على عرش القانية، وانخراطه بعد ذلك في الحرب مـع هولاكـو، مما جعله لا يعير الاهتمام الكافي للمجر.

-العلاقة بين خانية القفجاق وفرسان التيتونك:

انتـشرت الـشائعات مـن وقـت لآخـر، عـن وجـود اشـتباكات بـين المغـول وفرسـان التيتونك[4]، وليس لدينا سوى القليل عن هذه الاشتباكات، والسبب الرئيسي هو أن الحدود الـشمالية لخانيــة القفجــاق، أُديــرت مــن خــلال وكــلاء كــالأمراء الــروس والليتــوانيين، لذلك فالإشارة فى السجلات البابوية لقتال التيتونك مع الوثنيين والمنـشقين، ربمـا هـو فقـط إشارة للأعداء المحليين الأكثر تقليدية كالبروسيين[5]، أو إشارة لقوات المغول التـى هاجمـت بولنـدا، أو لقـوات سـاموجيتيا "samogitia" التـي هاجمـت بروسـيا عـام 657-658هــ /1259– 1260م وألحقت خسارة ثقيلة بفرسان التيتونيك، الذين بـدأوا بعـدها في الحـشد

(1) Howorth, History of the Mongol, P.110.

(2) Howorth, History of the Mongol, P. 110; Molnar, A Concise History of Hungary, p.39.

(3) لمزيد من التفاصيل هو هذا الصراع انظر:. (Molnar ,A Concise History of Hungaryp.38-39).

(4) Jerschin, History of the Teutonic, p.32.

(5) Jackson, Mongol and West, PP.201- 202.

لحملة صليبية[1]، وفى شتاء عام 1259 -1260م/657-658هـ طلب التيتونيك من البابا إرسال تعزيزات عسكرية إلي بروسيا، ليتم إعدادهم للدخول فى معركة ضد المغول، وربما كانت العملية كلها تكتيك دبلوماسى من الفرسان، لكسب قوات إضافية، لحماية الأراضى التى استولوا عليها فى البلطيق [2]، وفى 21 مارس 1260م /658هـ وضع البابا الكسندر القوات المطلوبة تحت قيادة التيتونيك، وطلب منهم حماية بولندا من الغزو المغولى، و ما لدينا من مصادر لم يذكر أي شىء عن قيام هذه الحملة الصليبية، وأغلب الظن أن المغول انسحبوا من بولندا في بداية فصل الربيع 1260م/658هـ[3]، وبعد انسحابهم واصلت الدوقية والأسقفية فى بولندا توسلاتهما للبابوية، من أجل تنظيم حملة صليبية أخري ضد المغول، وتمثلت ثمرة هذه التوسلات فى موقف البابا الكسندر الرابع، الذى أرسل إلي فرسان التيتونيك فى اغسطس من نفس العام، يطلب منهم الدفاع عن بولندا،فى حالة حدوث هجوم مغولى آخر[4]، ولكن فى فصل الربيع التالي وعوضاً عن ذلك، فُوضت تلك الحملة الصليبية لقمع تمرد البروسيين ضد فرسان التيتونك[5].

وتري الباحثة أن فرسان التيتونك قد فضلوا الحفاظ على ممتلكاتهم، وتثبيت دعائم حكمهم في بروسيا، على الدخول في حرب صليبية ضد المغول، فقد آثروا المصلحة الخاصة.

-العلاقات القفجاقية -البلغارية:

بدأ الاتصال الأول بين المغول والبلغار في عام 640هـ /1242م عندما اجتاحت الجيوش المغولية بلغاريا، التي لم تُبد أي مقاومة للغزو، بل والأكثر من ذلك هو صمت المصادر عن الحديث عما حدث، مما يعطي الانطباع بأن بلغاريا استسلمت للسلطة

(1) Jackson, Mongol and the West, P- 123; Gladysz, the Forgotten Crusaders, P.333.

(2) Gladysz, the Forgotten Crusaders, P.328.

(3) Gladysz, the Forgotten Crusaders, P. 328; Jackson, Mongol and West, P.123.

(4) Gladysz, the Forgotten Crusaders, P.328.

(5) Jackson, Mongol and West, P.123.

المغولية، ربما لتتجنب المصير الرهيب الذي لحق بالمجر، نتيجة لمقاومة بيلا [1]، وأيا كان السبب فقد نجت بلغاريا بهذا التصرف من الدمار، لكنها في المقابل دفعت الجزية لخان القفجاق، حيث ذكر روبرك أن البلغار كانوا يدفعون الجزية للخان في عام 651هـ/1253م[2]، وهو الأمر الذي استمر حتي عهد بركة خان، الذي جمعه بالبلغار أمر أكبر من دفع الجزية، وهو العداء المشترك ضد بيزنطة، ورغم اختلاف دوافع كل من بلغاريا والقفجاق فقد اتفقتا على ضرورة شن حرب على بيزنطة، أراد البلغار من ورائها الانتقام من ميخائيل باليولوج، الذي استولي على عرش الإمبراطور ثيودور لكاريس"Theodore lacers" 652-656 هـ /1254-1258م[3]، والد أيرين زوجة قنسطنطين الأول ملك بلغاريا "Konstantin"655-670هـ/1257-1272م الذي أراد الانتقام لما لحق بانسبائه على يد باليولوج الذي سحق بيت لكاريس[4]، و إضافة لهذه الخصومة الشخصية، كان لدي بلغاريا خصومة سياسية مع بيزنطة، بسبب استيلاء الأخيرة على بعض الحصون البلغارية عام660هـ/1262م، وهكذا تلاقت مصالح البلغار مع مصالح المغول[5]، الذين هدفوا من الحرب على بيزنطة إلي تحرير السلطان عز الدين كيكاوس من الأسر، وعقاب باليولوج لاحتجازه رسل بيبرس إلي بركة خان[6]، وسنتحدث عن تلك الحملة ونتائجها بالتفصيل في العنصر التالي.

---

(1) Vasary, Cumans and Tatars,P.70.

(2) Rubruck, Journey of Rubruck ,p,47.

(3) ثيودور لكاريس الثاني :إمبراطور نيقية، كان عالماً، ولكنه كان مضطرب العقل ومعتل الجسم، مات بعد تولي الحكم بفترة قصيرة، واستولي على العرش بعد موته ميخائيل باليولوج زعيم النبلاء المتمردين انظر:(ديورانت:قصة الحضارة، ج15، ص151).

(4) Aleksander A. Vasilaev, History of the Byzantium Empire, University of Wisconsin Press, 1980, vol, 2 .P.601.

(5) Howorth,History of the Mongol,p.123;Vasary,Cumans and Tatars, pp.74-75.

(6) Vasary , Cumans and Tatars,p.74.

-العلاقات القفجاقية – البيزنطية:

ارتبطت العلاقات بين خانية القفجاق وبيزنطة بعلاقات الخانية مع دولة المماليك في مصر، فالهدف الأساسي وراء رغبة بركة خان في التحالف مع بيزنطة، كان خدمة المصالح التجارية المشتركة لخانية القفجاق ودولة المماليك، فبينما سيطر هولاكو على الطرق البرية بين القفجاق ودولة المماليك، سيطرت بيزنطة على المضايق المؤدية من البحر الأسود إلي البحر المتوسط، وبالتالي فقد احتاج بركة خان والظاهر بيبرس 659-676هـ/1260-1277م، إلي التحالف مع بيزنطة، من أجل الحفاظ على قنوات الاتصال والتجارة بينهما[1].

ومن أجل هذه المصالح غض بركة خان الطرف عن احتلال باليولوج لمدن الساحل الغربي للبحر الأسود، من البلغار عام 660هـ/1262م، والتي لم يكن ليتمكن باليولوج من احتلالها بدون موافقة المغول، أوعلي أقل تقدير غضهم الطرف عن هذا الفعل[2].

لكن الأوضاع مالبثت أن تغيرت بين القفجاق وبيزنطة بعد احتجاز باليولوج رسل الظاهر بيبرس إلي بركة خان، واعتقاله السلطان عزالدين كيكاوس حليف بركة خان، والذي يقال أن عمته كانت إحدي زوجات بركة خان، وأنها من أوصلت استغاثة عز الدين كيكاوس إلي السلطان[3]، الذي أرسل جيشاً بقيادة نوغاي عام 662هـ/1264م، لعقاب باليولوج ولتأمين الإفراج عن عز الدين كيكاوس، الذي اعتقله باليولوج مع ابنه ووضعهما في قلعة أينوس"Inos" [4] - وذلك عقب سماعه بأن عز الدين ومن معه يدبرون مؤامرة

---

(1) Reuven Amitai ,Mongols and Mamluks-the Mamluks-Ilkhanid War-1160-1181,Cambridge University Press,2004 ,p.86; John Saunders, the History of Mongols, conquests ,university of Pennsylvania press,2001,p.157.

(2) Ciocitton, Mongol and Black Sea, p.93.

(3) Vasary, Cumans and Tatars, p.74.

(4) قلعة اينوس: تقع على الساحل الجنوبي لروميليا، وتبعد خمسون ميلاً عن القسطنطينية، انظر: (Howorth, History of the Mongol, p.122).

للاستيلاء على عرشه[1]- و نجحت القوات المغولية و حليفتها البلغارية، في عبور نهر الدانوب المتجمد وفرض الحصار على اينوس، بينماهرب الإمبراطور البيزنطي من القسطنطينية[2].

و من نتائج هذه الحملة استعادة البلغاريون للمدن التي احتلتها بيزنطة، ونجاح المغول في تحرير عز الدين كيكاوس، وعقاب باليولوج الذي أرسل إلي بركة خان، يعرض عليه التحالف، وأن يدفع له جزية سنوية عبارة عن 300 ثوب من الحرير[3].

وسنتناول العلاقات بين (سراي- القسطنطينية- القاهرة) بالتفصيل عند الحديث عن العلاقات القفجاقية –المملوكية.

-العلاقة بين خانية القفجاق و فرنسا:

بعد اجتياح جيوش المغول لبولندا عام 658هـ/1260-1261م، أرسل بركة خان سفارة إلي لويس التاسع"Louis" 624 -669هـ/1226-1270م ملك فرنسا عام 660هـ /1262م[4] يطالبه فيها بالخضوع والتبعية لمغول القفجاق، كما أرسل هولاكو سفارة في نفس العام إلي ملك فرنسا يعرض عليه التحالف سوياً ضد المماليك حلفاء بركة[5]، الذين وقفوا كحجر عثرة، أمام توسع هولاكو في سوريا، لذا كان من الطبيعي أن يتوجه هولاكو عند التفكير في تكوين حلف مضاد للتحالف القفجاقي المملوكي، نحو العدو المشترك للقفجاق والمماليك، والمتمثل آنذاك في الغرب الأوروبي، المحتل لبلاد الشام[6]، - الذي

---

(1) العمري: مسالك الأبصار، ج27، ص271؛
Howorth, History of the Mongol, p.123; Jackson, Mongol and the West, p.203.

(2) عمران: المغول وأوروبا، ص247؛Howorth, History of the Mongol,p.122

(3) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص446؛ Howorth, History of the Mongol, p.122

(4) لويس التاسع: كان ملك فرنسا وصقلية تولي الحكم وهو في الحادية عشر من عمره، قاد الحملة الصليبية السابعة على مصر عام 618هـ لكنه هزم، وأسر في المنصورة، ثم قاد حملة أخري على تونس عام666هـ لكنه أصيب بالوباء هو وقواته ومات أمام تلك المدينة، انظر: (الترمانني: أحداث التاريخ، ص1031).

(5) Jackson, Mongol and the West, P.123.

(6) Jackson, Mongol and the West, P.126.

كان يسعي بيبرس لطردهم منها، وهـو الأمـر الـذي نجـح فيـه لاحقـاً- وإضـافة للعـداء الغـربي المملوكي، كان الغرب في حالة عداء أيضاً مع دولة مغول القفجـاق التـي اجتاحـت شرق أوروبـا، ومثلت تهديداً حقيقياً لدول الغرب الاوروبي، التي نجت من الاجتياح الأول لباتو[1]، لكنها ظلت في حالة ترقب، خوفاً من اجتياح آخر، كل هذه العوامـل جعلـت مـن الغـرب الحليـف المفـضل لهولاكو، وبصفة خاصة لويس التاسع، الـذي تعـرض لـلأسر في مـصر، بعـد فـشل حملتـه عليهـا، والذي سعي للتحالف منذ وقت مبكر مـع دولـة المغـول[2]، كـما أنـه الوحيـد مـن ملـوك غـرب أوروبا الذي أرسل إليه بركة خـان رسـالة تحمـل تهديـداً صريحـاً وطلبـاً مبـاشراً بالخـضوع وإلا فلينتظر الغزو[3].

وتري الباحثة أن لويس التاسع كان مرشحاً مثالياً بالنسبة لهولاكـو، فهـو يمتلـك دافـع الثـأر لنفسه من المماليك، ودافع الخوف والرغبة في تأمين حـدوده ضـد أي غـزو مغـولي محتمـل، ولا نعلم بالتحديد أي رسالة سبقت الأخري، هل كانت رسـالة بركـة خـان للـويس هـي الأولي، لـذا أرسل هولاكو إليه محاولاً استغلال خوفه من التهديد القفجاقي، أم سبقت رسالة هولاكو رسالة بركة خان، وجاءت رسالة بركة كرد على رسالة هولاكو، وتحذير للويس التاسع من مغبة التعاون مع هولاكو.

-موقف البابويه من الخطر المغولى:

كانت أوروبا ممزقة الأوصال، بسبب النظام الإقطاعى، والعالم المسيحى فى حالة فـزع دائـم من أي ظهور جديد للمغول، العدو الرهيب، الذى أخـضع أوروبـا الـشرقية لفـترة طويلـة، لكـن يبدو أن الخطر مازال بعيداً، والإجراءات الوحيدة التى تم اتخاذها كانت فى فرنسا، وكانت عبارة عن تنظيم المسيرات والصلوات وجمع التبرعات وغيرها من الأعمال الشرفية الآخري[4].

(1) عمران: المغول وأروبا، ص54.

(2) عمران: المغول وأوروبا، ص107-330.

(3) Jackson, Mongol and West, P.123.

(4) Howorth, History of the Mongol, P.110 - 111.

أما في روما فاقتصر الأمر على دعوات غير جديه لشن حملات صليبية ضد المغول، وشجب وإدانة الهجوم المغولي على الدول الأوروبية، وجاءت أول دعوة لشن حرب صليبية ضد مغول القفجاق في عهد بركة خان من البابا الكسندر الرابع عام 656هـ/1258م، ولكنها لم تحقق شيئاً، وفى غمرة اليأس، دعا البابا إلي حملة صليبية أخرى ضد المغول، لكن لم يكن هناك متطوعون، وكان رد الفعل الوحيد، الذى يعد إنجازا آنذاك، هو توقيع الحرمان الكنسي على الكونت بوهيمندالسادس650-673هـ/1252-1275م[1]، لأنه حارب إلي جانب المغول فى سوريا، وهو ما انعكس على الإمارات الصليبية فى فلسطين، الذين كانو يناقشون التحالف مع المغول وتقريباً أغلقوا القضية [2] .

وفى خطاب موجه لرئيس أساقفة بورديكس[3]"Bordealex" فى عام658هـ /1260م أكد البابا على ضرورة تحالف الأمراء، من أجل دفع الخطر المشترك، و أدان اولئك المتعاونين مع العدو بأي شكل[4]،وفى عام660هـ/ 1262م حاول البابا اوربان الرابع "urban iv" 659-662هـ/1261-1264م[5] مُصالحة ملك المجر مع ملك بوهيميا، لاعتقاده أن استقرار هذه الأجزاء، ربما عزز من جهود المقاومة ضد المغول[6].

وفى يناير 1265 م/663هـ حذر البابا كليمنت الرابع "clement iv" 663-666هـ/ 1265-1268م[7] من خطر هجوم مغولى وشيك، وطالب بحملة صليبية، وألقى

(1) بوهيمند السادس: أمير أنطاكية وكونت طرابلس، لكن استرد منه المماليك أنطاكيه عام666هـ- 1268م، انظر:.(Jennifer Lawler, Encyclopedia of Byzantine Empier,1ed, McFarland, 2004,p.73)

(2) Howorth, History of the Mongol, P.109; Marshall ,Storm from the East, P.189.

(3) بورديكس: مدينة فرنسية، انظر، (Moor,Places,p.124)

(4) Howorth, History of the Mongol, P.110.

(5) البابا اوربان الرابع: اسمه جاك بانتليون، تولي أسقفية فيردون، كما كان موفد البابا إلي الأراضي المقدسة عام 1252م، والبطريرك اللاتيني بفلسطين عام 1255م، انظر:

(Kleinhenz, Medieval Italy, p.1113).

(6) Jackson, Mongol and the West, P.198.

(7) البابا كليمنت الرابع: اسمه غيدو، كان محامي فرنسي مشهور في بلاط الملك لويس التاسع، و بعد وفاة زوجته عام 654هـ (1256م)، انضم إلي الكنيسة وأصبح أسقفاً، وتدرج في السلك الكنسي حتى تولي كرسي البابوية خلفاً للبابا اوربان، انظر:

(Matthew Bunson, D. Min, Osv's Encyclopedia of Catholic History, 2004,p.226. ,Indiana

خطاباً دينياً ضد سياسة المغول فى المجر وبوهيميا وبولندا [1]، وفى العام السابق ألقي ريتشارد أمير كورنال، خطاباً رثى فيه العالم الأوروبي البائس، الذي أضعفته الصراعات الداخلية، وصب جام غضبه على المغول [2]، الذين كانوا على مشارف ظهور علامات الضعف الحتمى على قوتهم الهائلة، ومن المؤكد أنهم إذا هاجموا أوروبا دون عوائق، ولم يشتتوا طاقاتهم فى صراعاتهم الداخلية، لكان لهذا تأثيره السيء على العالم المسيحى[3]، الذى ربما يعد نفسه محظوظاً للمرة الثانية، فبعد عام660هـ /1262م، انشغل بركة بحروبه في منطقة القوقاز، حيث الأراضى المتنازع عليها مع الإيلخانية[4]، والتى قيل أنها كانت أكثر أهمية لبركة خان وخلفاؤه من التوسع غرباً، وبسط نفوذهم على العالم الأوروبى[5].

-العلاقة بين خانية القفجاق و قرا قورم:-

كان بركة خان مخلصاً فى تبعيته لمنكوقان، طوال فترة حكمه، وأكثر ما يؤكد هذا، هو سكه العملة باسم منكو قان، لكن بعد وفاة منكو قان عام657هـ/1259م تغيرت الأوضاع داخل الإمبراطورية الجينكيزية، وتوترت علاقة القفجاق بقراقورم، إثر الخلاف الذي نشب بين الأخوين اريق بوقا وقوبيلاي[6]، فوفقاً لقوانين المغول فإن المستحق للعرش بعد منكو قان، هو شقيقه قوبيلاي الذي كان غائباً يغزو مملكة سونغ"song"[7]، في جنوب الصين،

(1) Jackson, Mongol and the West, P.213.

(2) Jackson, Mongol and the West, P198.

(3) Howroth, History of the Mongol, P.111.

(4) Howorth, History of the Mongol, P.111; Jackson, Mongol and West, P.198.

(5) Jackson, Mongol and West, P.198.

(6) Howorth, History of the Mongol, P.112.

(7) سونغ، كانت الأسرة الحاكمة في الصين منذ عام 960 حتى عام 1127م، وهو العام الذي استولت فيه أسرة جين على شمال الصين، ليقتصر حكم أسرة سونغ على جنوب الصين انظر:

(Buell,Historical Dictionary,p.247-249).

عندما وصلت الأنباء بوفاة مونكوقان، وبدلاً من أن يعـود قـوبيلاي إلي قراقـورم، ليتـسلم مهـام منصبه، قرر الاستمرار في الحرب [1]، رغم إدراكه التام للمعارضة المحتملة له في قراقـورم، و ربمـا اعتقد أن انتصاره في تلك الحرب سوف يضمن له الفوز بـالعرش دون عوائـق، لكنـه كـان قـراراً سيئا، فبينما كان يتوغل بجيشه في أعماق أراضى "song" كان هناك تحركات دراماتيكية تحـدث فى منغوليا [2].

بينما أمضي قوبيلاي وهولاكو أعواماً في فتح أقاليم الهند وفـارس، ظـل أخـوهما الأصـغر اريـق بوكا في منغوليا، وتمت تنشئته بواسطة النبلاء، وكبار أفراد الأسرة الجنكيزية، تنشئة محافظـة، وبـرز كممثل للقيم المغولية التقليدية، بينما برز قوبيلاي كممثل لتيار الحداثة[3]، وبعد وفـاة منكـو قـان ادعي اريق بوقا أحقيته في العرش و دعمته في ذلـك الزوجـة الرئيـسية لمنكوقـان، وأبنـاؤه الثلاثـة، وأحفاد جغتاي و حاكم بكين، وبالتالي امتلك حكم عاصمتى الإمبراطورية قراقورم، وبكين[4]، إضـافة إلي موالاة المسئولين المهمين و القادة الكبار له، والذين بدأوا سراً فى تجهيز جيش لمهاجمة قـوبيلاي، الذي ما أن وصلت إليه أخبار هذا الجيش، حتي دعا إلي عقد قوريلتـاي خـاص في مدينـة تـشنغدو "changdu" [5]، ونصب نفسه قاناً أعظـم للمغـول، فى الخـامس مـن مـايو عـام 1260م/658هــ[6]، ودعمه في ذلك بعـض أفـراد البيـت الجنكيـزي، وعـلي رأسـهم شـقيقه هولاكـو الـذي كـان يطمـح في أن يصبح خاناً ويحكـم الأراضى التـى فتحهـا فى فـارس[7]، بيـنما اتخـذ بركـة خـان جانـب اريـق

---

(1) الرمزى: تلفيق الأخبار، ص 418؛
Howorth, History of the Mongol,P.112; Marshall,Storm from thEast,P,200.

(2) Marshall, Storm from the East, P.200.

(3) Marshall, Storm from the East, P.200;Burgan, Empire of the Mongol, p. 31.

(4) Howorth, History of the Mongol, P, 113; Marshall Storm from the East, P. 200- 201.

(5) تشنغدو: واحدة من أكبر مدن الصين، تقع في جنوب غـرب الـصين، واليـوم هـي عاصـمة إقلـيم سيـشوان، انظر:
(Moor,Places,p.171)

(6) Howorth, History of the Mongol, P.112;Marshall, Storm from the East, P.201.

(7) فايد حماد عاشور: العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولي، دار المعارف، مـصر، ص 77؛ Marshall, Storm from the East, P.201

بوكا، وأمده بقوة عسكرية، و وعده بمساعدات غير محدودة، وبفضل تلك المساعدة السخية من جانب بركة خان، ازدادت قوة اريق بوكا، وتحرك بقواته نحو مقر قوبيلاي في مدينة تنشغدو، والتقى الجيشان فى عام659هـ/ 1261م[1]، واستمرت الحرب سجالاً بينهما، حتي أدرك اريق بوكا أنه لن يستطيع حسم الأمر لصالحه فاستسلم، واعترف بقوبيلاي قاناً أعظم عام 662هـ/ 1264م [2].

و إثر هذا الاعتراف قام قوبيلاي بإعدام بعض داعمي اريق بوكا، ودعا في عام 663هـ/1265م لعقد قوريلتاي لتقرير العقاب المناسب لاريق بوكا، لإشعاله الحرب الأهلية[3]، لكن قبل أن يجتمع المغول، مات اريق بوكا فى عام664هـ/ 1266م فى ظروف مريبة، و يعتقد البعض أنه ربما مات مسموماً، وبهذا استقر الحكم لقوبيلاي الذي شرع في تنظيم دولته وفى بناء عاصمته الجديدة (Ta,Tu) القريبة من مدينة بكين الحالية، والتى يسميها المغول مدينة الخان"khanbaligh" خان باليق، وبهذا نقل قوبيلاي مقر القانات من منغوليا إلي الصين وأرسي دعائم حكمه هناك[4].

و من نتائج هذه الحرب، تعزيز الإنقسامات الجغرافية للإمبراطورية المغولية المنقسمة إلي أربعة أجزاء (الصين – فارس - تركستان - روسيا)، و عدم الاعتراف بسلطة قوبيلاي سوى فى الصين وفى خانية فارس[5]، واستقلال بركة خان بحكم خانية القفجاق[6]، وسكه العملة باسم اريق بوكا، دون ذكر اسم قوبيلاي قان عليها، وبالمثل لم يُذكر اسم بركة خان فى قائمة خانات القفجاق الموجودة في (yuan, shi) كما لو أن خلفاء قوبيلاي فى الصين لم

(1) الرمزى: تلفيق الأخبار، ص 418 ؛
Beckwith ,Empires of the Silk Roud , p.183; Burgan , Empire of the Mongol ,P.31-32

(2) Burgan , Empire of the Mongol, P.32 .

(3) Burgan , Empire of the Mongol, P.32; Beckwith ,Empires of the Silk Roud , P.113.

(4) Beckwith , Empires of the Silk Roud , P.193; Burgan , Empire of the Mongol, P.32; Jackson, Mongol and the West ,P.116.

(5) Jackson, Mongol and Europ ,p.109 .

(6) بارتولد: تاريخ الترك، ص192؛ Burgan , Empire of the Mongol,p.32

يعرفوه، إضافة إلي بدء صراع طويل ومرير بين بركة وهولاكو أقوى أنصار قـوبيلاي مـن جهـة[1]، وبين بركة و اولغا حاكم خانية جغتاي من جهة أخري.

-العلاقة بين خانية القفجاق و خانية جغتاي:

دخل بركة خان في حرب غير موفقة مع اولغا[2] حاكم خانية جغتاي في تركستان[3]، و الـذي استولي على خـوارزم التابعـة لخانيـة القفجـاق فـيما بـين عـامي660-663هــ /1262-1265م، و أصبحت منذ ذلك الوقت جزءاً من خانيـة جغتـاي[4]، كـما احتـل حـصن (أوتـرار)، التـي كانـت محطة هامة على طريق القوافل في الضفة الشمالية لنهر سيحون (سيرداريا)، وليس معروفـاً مـا أن كانت اوترار في ذلك الوقت تابعة لأملاك بركة أم كانت جزءاً مـن أمـلاك اخيـه اورد[5]، و أيـا كان الأمر، فقد توسعت خانية جغتـاي عـلى حـساب خانيـة القفجـاق، فبركـة خـان المتـورط في القوقاز، لم يفعل شيئاً تجاه هذا الاعتداء من جانـب اولغـا، ورغـم أن هـذه الأراضي مالبثـت أن عادت من جديد إلي خانية القفجاق، فإن نفوذ الخانات لم يزد امتداداً نحو الشرق[6].

- العلاقة بين خانية القفجاق و إيلخانية إيران:

بوفاة مونكو قان عام657هـ/ 1259 م، انتهت العلاقات الودية بين أبناء العمومة، وظهـرت الخلافات بين بركة خان، وهولاكو فى عام658هـ/1260م وانغمس الطرفان، فى حروب بدأت منذ ذلك الحين، واستمرت فى عهد خلفائهم[7].

---

(1) Howorth, History of the Mongol, P.113.

(2) اولغا: هو الأمير اولغا بن بايدر بن جغتاي، استولي عـلى حكـم خانيـة جغتـاي مـن اورقنـة خـاتون، أرملـة قراهولاكو، حفيد جغتاي، والتي قتلت زوجها حتى تستولي على الحكم، ولكن اولغا استطاع تأليب رجـال الدولة وأفراد الجيش ضدها، وا السيطرة على بلاد ما وراء النهر، انظر: (قداوي: الإمبراطورية الجنكيزيـة، مجلة ادآب الرافدين، ص291).

(3) بارتولد: تاريخ الترك، ص192.

(4) Grousset, the Empire of the Steppes,p.397.

(5) بارتولد: تاريخ الترك، ص192؛ Grousset , the Empier of the Steppes, p.397

(6) بارتولد: تاريخ الترك، ص193؛ Grousset, the Empire of the Steppes ,p.397

(7) العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط2، دار الميسرة، بـيروت، 1399هــ-1979م، ج5، ص 300 ؛ هلال: العلاقات بين المغول و أوروبا، ص 104.

و تمثلت أسباب هذا العداء في :

1- حيازة أراضى القوقاز – ومشكلة التجارة الشرقية.

2- الوضع القانونى داخل الإمبراطورية الجنكيزية.

3- التقسيم الجائر لغنائم الحرب.

4- الاختلاف المذهبى والعقائدى.

وحتي تتضح أسباب هذا العداء بين بركة خان وهولاكو أكثر وأكثر سنعرضها بشيئ من التفصيل.

1- حيازة أراضى القوقاز و مشكلة التجارة الشرقية:

ربما تعود أصول هذه المشكلة إلي عام654هـ/ 1256م، عندما عزل منكو قان بايجو، رجل آل جوشي من إدارة منطقة القوقاز، المدار التوسعي لممتلكات مغول القفجاق، وأسند إدارة المنطقة لهولاكو، ثم ضم له بعد ذلك منطقة إيران واذربيجان (إرث آل جوشي) منذ عام634 هـ/ 1236م[1]، والتي كانت تدار بواسطة شيرموغان الذي عينه أوكتاي قان حاكماً عسكرياً لتلك المنطقة، إضافة إلي جورجيا وارمينيا الكبري (جنوب وغرب ارمينيا)، وقد أدي قرار منكو بإعطاء تلك الأراضي لهولاكو، إلي عواقب وخيمة، بل وكارثية على العلاقات مع أقاربه فى سهوب القفجاق [2]، فقد قطعت هذه الإجراءات بوضوح طموحات القفجاق في السيطرة على الشرق الإسلامي، وقلبت ميزان القوى بين سراي وقراقورم لصالح بيت تولوى، فبعد أن كانت أسرة جوجي قوة عظمي داخل الإمبراطورية الجنكيزية، تم استبدالها الآن بأسرة تولوي[3]، كما قلب هولاكو الموازين، وأطلق عاصفة من العداء عندما استدعى أنصاره رفيعى المستوى من مختلف أنحاء خانية

(1) Ciociltan, Mongol and Black Sea, P. 63; Bayarsaikhan Dashdondog ,the Mongols and the Armenians(1220-1335), brill,2010,p,101.

(2) Ciociltan, Mongol and Black Sea, P.63; Dashdondog, the Mongols and Armenians, p.102.

(3) Ciociltan, Mongol and Black Sea ,P.P. 64-66.

القفجاق عام 660هـ /1260- 1261م، وطلب منهم الاعتراف به كسلطان لإيران وجميع الأراضى التى تم غزوها مؤخراً، وهو الأمر الذى لم يرض عنه بركة خان ولا قادة القفجاق، الـذين شـكلوا جزءاً من الجيش الإمبراطورى فى ذلك الوقت [1] .

رفض بركة خان و كبار رجال الدولـة في خانيـة القفجـاق بعنـاد الاعـتراف بهولاكـو كحـاكم شرعى لإيلخانية إيران، كما رفضوا أيضاً الاعتراف بالخاقانات كمصدر للسلطة بعد انتقـالهم مـن منغوليا إلي الصين، ولاشك أن الهدف النهـائى لبركـة خـان وورثتـه فى الخـلاف مـع أقـاربهم كـان القضاء على إيلخانية إيران وضم أراضيها حتى قبل أن يأخذ النـزاع شـكله التقليـدي[2]، وكانـت تبريز عاصمة اذربيجان هـى مركز الصراع بين القفجاق والإيلخانية، والتى استولي عليهـا هولاكـو، و قال آل جوجي أنها من حصتهم فى تقسيم جنكيـز خـان، وطـالبوا بهـا هولاكـو وخلفـاؤه مـن بعده[3]، وقد احتلـت تبريـز المركـز الاقتـصادى والحـرفى الأهـم فى القوقـاز، إضـافة إلي أهميتهـا لطريق التجارة بين الـشرق والغـرب[4]، و أصـبحت منـذ عهـد بركـة خـان الهـدف الرئيـسي لآل جوجي، بعد أن قطع هولاكو طريـق التجـارة الـشرقية أمـام بركـة خـان، باسـتيلائه عـلى إيـران واذربيجان[5].

2- التقسيم الجائر لغنائم الحرب :

حرم هولاكو بركة خان من نصيبه المعتاد من غنائم الحروب فى وسط آسيا وغربها، حيـث جرت العادة بأن يجمع المغول جميع الغنائم التى حازوها من البلاد المفتوحة، بداية مـن نهـر جيحـون فى الـشرق، إلي مـا تـصل إليـه فتوحـاتهم فى الغـرب، و كانـت تقـسم إلي خمـسة

---

(1) -هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا ص 104؛ .Ciociltan, Mongol and Black Sea,P,64

(2) Burgan, Embire of the Mongol,p,37; Ciociltan, Mongol and Black Sea ,P.64.

(3) Ciociltan, Mongol and Black Sea ,P.63; Alsu A. Arslanova, Russian Research on the Interrelations of the Golden Horde with the Ilkhans of Iran and Chaghatayida ,Acta Orientalin Academiae Acientiarum Hungaricae ,vol,58,no(3),2005,p,277.

(4) انظر ملحق رقم (6).

(5) الرمزي: تلفيق الاخبارص414؛Ciociltan,Mongol and the Black Sea,p.64

أقسام، اثنان منها للقان الأعظم، وقسمان للجنود، وقسم لبيت جوجي[1]، فلما تـولي بركـة خـان منع عنه هولاكو نصيبه من تلك الغنائم، فأرسل إليه بركة اثنان من أقاربه برسالة يُذكره فيها بما جرت عليه العادة، من إعطاء بيت جوجي نصيبهم من الفتوحات وغنائم الحرب، لكـن هولاكـو قبض على أقارب بركة، وقتلهم[2]، ولم يكتفِ بذلك، بل زاد من أسباب الـشقاق بينـه وبـين بركـة خان، بقتله ثلاثة من كبار رجال بركة خان، الذين خدموا معه في حملتـه عـلى العـراق وسـوريا، فاتهم اثنان منهما بممارسة السحر، وقتلهما لذلك، بينما توفي الثالـث في ظـروف غامـضة، و بـث قتل هولاكو لهؤلاء الأمراء الرعب في نفوس القفجاقيين المتواجدين في الإيلخانية، ففـروا عائـدين إلي بلاد القفجاق[3].

3- الوضع القانونى داخل الإمبراطورية:

كان لخانية القفجاق في عهد بـاتو خـان وضـعاً مميـزاً داخـل الإمبراطوريـة الجنكيزيـة، حيث كان باتو كبير أمراء البيت الجنكيزي، وإليه يرجع المغول عند اختيار القان الأعظـم[4]، وبعد وفاته انتقلت تلك السلطة، وهذا الوضـع المميـز إلي بركـة خـان، الـذي اعتـز بمـنصبه ككبير لأمراء البيت الجنكيزي، وهو المنصب الذي حمل في طياتـه التبعيـة مـن بـاقي أمـراء المغول[5]، لكن قتل هولاكو لأقارب بركة خان، كان فيه تعدي واستهتار بهـذا الوضـع المميـز الذي يحتله بركة خان داخل الإمبراطورية، وهو الأمر الذي أغـضبه بـشدة، فأخـذ يوجـه إلي هولاكو رسالة تلو الأخري يوبخه فيها على فعلته، ويلومـه بطريقـة قاسـية، متوقعـاً اعتـذار هولاكو، و انصياعه له، بصفته كبير أمراء البيت الجنكيزي، لكن هولاكو ضاق ذرعـاً بتقريـع بركة له، ولم يوله الاحترام الكافي[6]، وقال فى مجلـسه: "إن بركـة خـان و إن كـان كبـير الأسرة

(1) فايد عاشور: العلاقات السياسية، ص76؛ هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا، ص 104.

(2) الرمزى: تلفيق الأخبار، ص 419؛ هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا، ص 104.

(3) الهمذانى، تاريخ هولاكو، ص318-319 ؛ الرمزى: تلفيق الأخبار، ص 420 .

(4) الصياد: المغول، ص207.

(5) Howorth, History of the Mongol, p.114.

(6) الهمذانى: تاريخ هولاكو، ص 332؛ الرمزى: تلفيق الأخبار، ص 420.

وسيدها، إلا أنه لا يراعى الحياد والخجل ويخاطبنى بتهديد وعنف، وإنى لن أحابيه بعد هـذا"، فلما علم بركة خان بقـول هولاكـو هـذا، أقـسم ليقتـصن منـه لتـدميره مـدن المـسلمين، وقتلـه الخليفة دون مشورة أفراد الأسرة[1].

4- الخلافات المذهبية:

كان من أسباب الخلاف بين بركة وهولاكو غزو هولاكو لأراضي الخلافة، وقتله الخليفة، رغم معارضة بركة خان، الذي أراد أن يقتص من هولاكو لفعلته تلك[2]، وفي هذا الصدد يري الرمـزي أن هذا هو السبب الرئيسي والأوحد للعداوة بين بركة خان المسلم وهولاكـو، وأن مطالبـة بركـة بتبريز، وبحصة بيت جوجي من غنائم الحرب، ولوم هولاكو لقتل رجاله، كل ذلك لم يكن سـوي محاولة من بركة خان لاستفزاز هولاكو، حتـي يبـدأ بـالحرب[3]، لأن بركـة خـان المـسلم لم يكـن يستطيع حشد التأييد الكافي لحملة تهدف إلي عقاب هولاكو لقتلـه الخليفـة، وذلـك لأن أغلـب جند بركة في هذا الوقت كانوا وثنيين، ومن أسلم منهم حديث عهد بالإسـلام، ولا يـرون في قتـل الخليفة وغزو بلاد المسلمين جناية يُعاقب عليها هولاكو[4]، إضـافة إلي أن هولاكـو قـد غـزا بـلاد الخليفة بأمر من أخيه منكو قان، وبالتالي فحرب بركة خان على هولاكو لهذا السبب هي حـرب على مونكوقان، وما كان أمراء وقادة القفجاق الوثنيون أيضًا ليوافقونه عـلى تفرقـة كلمـة أبنـاء جنكيز خان لأجل سبب كهذا [5]، وبالتالي كان على بركة خـان إن أراد الانتقـام مـن هولاكـو، أن يبحث عن سبب يظهر بموجبه هولاكو بصورة المعتدي على دولة القفجاق، وبهذا يـتمكن بركـة من حشد التأييد الكافي لحربه على هولاكو[6] .

---

(1) الهمذاني: تاريخ هولاكو، ص332؛ الرمزي: تلفيق الأخبار، ص420.

(2) الذهبي: تاريخ الدول، ص191؛ ابن خلدون: العبر، ص529؛ الرمزي: تلفيق الأخبار، ص417.

(3) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص418.

(4) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص417.

(5) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص418.

(6) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص418.

وبالنظر لكل ما سبق من أسباب توجب العداوة بين بركة وهولاكو تري الباحثـة أنـه لـيس من الصائب حصر سبب العداء بين بركة وهولاكو في قتل هولاكو للخليفـة فقـط، رغـم تـصريح بركة بقوله: "أن هولاكو قد دمر جميع مدن المسلمين، وقضي على أُسر وملوك الإسلام جمـيعهم، ولم يميز بين الصديق والعدو وأعدم الخليفة دون مـشورة كبـار الأسرة، فلـو أمـدني اللـــه تعـالي لطالبته بدماء الأبريـاء"[1]، فـرغم هـذا التـصريح لايمكـن إغفـال الأسـباب الاقتـصادية المتمثلـة باستيلاء هولاكو على تبريز، ومنع بيت جوجي من غنـائم الحـرب، وعـدم الاحـترام الـذي أبـداه هولاكو نحو بركة خان، فقد سـاهمت هـذه الأسـباب مجتمعـة، وبدرجـة متـساوية، في تـأجيج الصراع بين بركة وابن عمه وهولاكو.

- الحرب بين بركة خان وهولاكو:

بعد كل هذه الأسباب السابقة أصبح لا مفر أمام بركة خان من إعلان الحرب على هولاكـو، و عندما علم الأمراء القفجاقيون المتواجـدون في إيـران، بانـدلاع الحـرب بـين ملكهـم وهولاكـو، غادرو إيران بسرعة، فعاد جزء منهم إلي بلاد القفجاق عبر الدر بند، والجزء الآخر المُلاحقين مـن قوات هولاكو، عبروا خراسان للاستيلاء على غزنة فى الهند، بينما ذهبت المجموعة الثالثة والبـالغ عددها مائتان، إلي سوريا [2].

وتحرك الجيش القفجاقي المكون من ثلاثين ألف جندي، تحت قيادة نوغـاي - ابـن عم " توتار"، أحد الذين الذى قتلهم هولاكو-[3] قاصـداً إيـران، وعـبر دربنـد القوقازيـة، التى مثلت الحدود الفاصلة بين مملكـة القفجـاق وإيلخانيـة إيـران، و يقـال أن جـيش بركة قد استولي في هذه التحركات على إيران واذربيجان وأعلنهما إقليمين تابعين لخانيـة القفجاق[4]، وذلـك قبـل أن تتحـرك قـوات هولاكـو في الثـانى مـن شـوال عـام660 هــ /

---

(1) الهمذاني: تاريخ هولاكو، ص332.

(2) Howorth, History of the Mongol,P.114 ;Curtin,the Mongol History, P.283.

(3) الصياد: المغول، ص 323؛

Howorth, History of the Mongol, P.115

(4) الصياد: المغول، ص 323؛

Howorth-History of the Mongol,P.116;Burgan,Empire of the Mongol, P.37.

1262م[1]، فباغتهم جند بركة في مدينة شماخى[2]، وهزموا الفرقة الأمامية لقوات هولاكو بالكامل، والحقوا بجيشه خسائر فادحة[3]، لكن هذا الفوز لم يدم طويلاً، فسرعان ما وصل المدد العسكري لقوات هولاكو، فهاجموا جيش بركة بالقرب من مدينة شيروان [4]، وألحقوا به هزيمة فادحة[5]، فر على إثرها نوغاي، و استعاد جيش هولاكو مدينة شماخى، كمااستعادوا الدربند، الحصن الشهير، الذى يحمى الأجزاء الشرقية لبلاد القوقاز[6]، وبعد هزيمة نوغاي طلب قادة الجيش من ابغا ابن هولاكو663-680هـ /1265-1282م[7] العودة لوالده، كي يواصلوا هم ملاحقة العدو لكنه رفض هذا[8]، فتقدم الجيش الإيلخاني بقيادة ابغا، وتسعة قادة آخرون، بإتجاه بلاد القفجاق[9]، لكنهم وجدوا معسكرات القفجاق خالية من المحاربين، وليس بها سوي النساء والأطفال والماشية[10]، فنزلوا بها واستسلموا

---

(1) الهمذاني: تاريخ هولاكو، ص333؛ الصياد: المغول، ص323 .

(2) شماخي: أول من بناها هو يزدجر شاه الفرس، وقيل أن معناها شام أخي: أي شقيق الشام لأن أول من سكنها كانوا مستعمرين من دمشق، و هي عاصمة إقليم شيروان، انظر:

(Evliya Efendi, Narrative of Travels in Europe, Asia, and Africa, in the Seventeenth Century,translated from the Turkish by, Joseph Von Hammer, Printed for the Orintal Translation Fund, London,1834,vol,ii,p.159) .

(3) الهمذانى: تاريخ هولاكو، ص333؛Howorth,History of the Mongol, P.116

(4) شيروان: مقاطعة شمال اذربيجان، تقع على الساحل الغربي لبحر قزوين، انظر:

(Alexander Mikaberidze, Historical Dictionary of Georgia,2ed,Rowman & Littlefield Publisher, Lanham, Maryland, 2015, p.597) .

(5) الهمذانى: تاريخ هولاكو، ص333؛ Howorth, History of the Mongol, P.116

(6) الهمذاني: تاريخ هولاكو، ص333؛ الرمزي: تلفيق الأخبار، ص421؛

Howorth,Historyof the Mongol,P,116.

(7) ابغا:ابن هولاكو، تولي حكم الإيلخانية بعد وفاة أبيه، استمر في الصراع الذي بدأه والده مع دولة المماليك، ودولة القفجاق، أنشأ علاقات ودية مع الغرب المسيحي، وتزوج أميرة يونانية، وخلفه أخوه أحمد تكوادار على عرش الإيلخانية، انظر: (الترمانني: أحداث التاريخ، ص1080).

(8) الرمزي :تلفيق الأخبار، ص421؛Howorth, History of the Mongol, P.116

(9) الهمذانى: تاريخ هولاكو، ص334؛Howorth, History of the Mongol, P.116

(10) الهمذانى: تاريخ هولاكو، ص334 ؛ الرمزى: تلفيق الأخبار، ص 421.

للراحة، وفي اليوم الثالث، لوجودهم بمعسكرات القفجاق، ظهر بركة خان بجيش ضخم[1]، و اندلعت المعركة بين الجيشين فى 13 ديسمبر 1263م/661ه، وانتهت بهزيمة قوات هولاكو[2]، الذين حاولوا الهرب من بطش سيوف القفجاقيين، فماتوا غرقاً أثناء عبورهم نهر الترك[3] المتجمد،بسبب تحطم الجليد تحت أقدامهم،، وبينما غرق أغلب الجيش، نجح ابغا في الهرب مع عدد قليل من الجنود، و رغم تلك الهزيمة التي ألحقها بركة خان بجيش هولاكو، لم يستطع احتلال أراضي القوقاز[4].

وعاد هولاكو بعد تلك الهزيمة التي لحقت به إلي مدينة تبريز، وصب جام غضبه على التجار القفجاقين المتواجدين فى تبريز، فأمر بإعدامهم وصادر ممتلكاتهم[5]، فرد بركة خان بقتل جميع التجار من رعايا هولاكو المقيمين فى بلاد القفجاق، كما قام هولاكو بقتل رعايا بركة فى بخارى، التى لم ينمو سكانها بشكل طبيعى منذ الغزو المغولي لها في عهد جنكيز خان، فوصلوا إلي سبعة عشر ألفاً، وفقا للتعداد السكانى آنذاك [6]، وكان هؤلاء ال17,000 مقسمين كالتالي خمسة آلاف تابعين لخان القفجاق، وثلاثة آلاف تابعين ل سيركتين أم هولاكو، والباقين تابعين للخان الأعظم في قراقورم[7]، فقام هولاكو باقتياد هؤلاء الخمسة آلاف التابعين لبركة خان إلي السهول القريبة من المدينة، وهناك تم ذبح الرجال، وسبي النساء والأطفال[8]، ولم يكتف هولاكو بجرائم القتل الانتقامية تلك، وقرر في العام التالي

---

(1) الهمذانى: تاريخ هولاكو، ص335 ؛ الرمزى، تلفيق الأخبار، ص 421.

(2) الصياد: المغول، ص 323 ؛ Howorth ,History of the Mongol,p.116

(3)نهر الترك: بكسر التاء وفتح الراء ينبُع من جبال قفقاز ويجرى إلي الشرق أيضاً وراء دربند بمسافة كبيرة حتى يصب فى بحر الخزر، انظر: (الرمزى: تلفيق الأخبار، ص425).

(4) ابن كثير: البداية والنهاية، ص239؛
Tony Jaques, Dictionary of the Buttels and the Sieges-Aide to8.500 Battels Iniquity through the Twenty First Century, Publish Greenwood Press,2007, 2 vol ,p. 1008.

(5) بارتولد: تاريخ الترك، ص214؛Curtin, Mongol History,p.284

(6) فمبري: تاريخ بخاري، ص192؛.Curtin, Mongol History ,P. 284

(7) فمبري: تاريخ بخاري، ص192؛Curtin , Mongol History ,P. 284

(8) فمبرى: تاريخ بخارى، ص 192 ؛Curtin , Mongol History ,P.284

652هـ/ 1264م الانتقام من الهزيمة التـي لحقـت بـه، فـأمر بتجنيـد كـل مـن يـستطيع حمـل السلاح من رعاياه، وأشـار عليـه الأمـير جـلال الـدين الدويـدار- ابـن المسـتشار الثـانى للخليفـة المستعصم640-656هـ /1242-1258م [1] - بالاسـتعانة بالقفجـاقيين المقيمـين بفـارس والعـراق، وذلك لمعـرفتهم بطـرق القفجـاق، وأسـاليبهم فى الحـرب [2]، فاستحـسن هولاكـو الفكـرة، وأمـر باعطاء جلال الدين الأموال والأسلحة التي يحتاجها، وأصدر أوامره بعدم التدخل في عمله، حتى يُتم المهمة المكلف بها، وعندما كان جلال الدين يقوم بجمع الجنود القفجـاقيين، كـان يخـبرهم بأن هولاكو سيـضعهم فى مقدمـة الجـيش ليُقتلـوا هنـاك[3]، وأنهـم ان أرادوا النجـاة بأنفـسهم، فعليهم أن يتبعوه، وسوف يحررهم من المغول [4]، وبعـد مـا أتـم جمـع الجنـود، هـاجم عـرب خفاجة، الذين كانوا فى حالة حرب مع هولاكو، ونهب منهم مجموعة مـن الإبـل والمـواشى، كـما أخذ من خزانـة بغـداد أجـور الجنـد ونفقـاتهم مـن الخيـل والـسلاح، واصـطحب معـه النـساء والأطفال بحجة اصطحابهم لزيارة المشاهد قبل السفر إلي فارس[5]، ولما عبر نهر الفـرات، أفـصح عن نيته باللجوء إلي مصر، وخيرهم بين الذهاب معه أو العودة، فقرروا الـذهاب معـه، وتوجـه الجميع إلي مصر، فلما علم هولاكو بما فعله جلال الدين استشاط غضباً،وتوفي بعد ذلـك بوقـت قصير إثر نوبة صرع ودفن بقلعة تلا عام 663هـ/1265م[6].

- الحرب بين بركة خان وابغا:

بعد وفاة هولاكو خلفه ابنه أبغا، الذي شرع فور توليه الحكم بتجهيـز جـيش لقتـال بركـة خان، فلما بلـغ ذلـك بركـة خـان أعـد هـو الآخـر جيـشاً لملاقاتـه، وأسـند قيادتـه إلي نوغـاي[7]،

(1) الرمزى: تلفيق الأخبار، ص 451؛Curtin ,the Mongol History ,P.284

(2) الهمذاني: تاريخ هولاكو، ص339؛ الرمزى: تلفيق الأخبار، ص 451 .

(3) الهمذانى: تاريخ هولاكو، ص 339؛ Curtin ,the Mongol History ,P. 284

(4) الهمذانى :تاريخ هولاكو، ص 339 Curtin ,the Mongol History ,P.284

(5) الهمذاني– تاريخ هولاكو، ص339؛ Curtin ,the Mongol History ,P.284

(6) الذهبي:دول الإسلام، ص182؛أيبك الدواداري:كنز الدرر وجامع الغرر"الدرة الزكية في أخبار الدولة التركيـة، تحقيق: اولرخ هارمان، المعهد الألماني للدراسات، القاهرة، 1971م، ج8، ص114.

(7) الدويدار: زبدة الفكرة، ص100؛ Ciociltan , Mongol and the Black Sea ,P.68

وذكر الهمذاني أن بركة خان، هو من بدأ هذه الحرب وأرسل نوغاي على رأس جيش لمهاجمة الإيلخانية[1] ثم أتبعه بجيش آخر تحت قيادة يوستاي، فسبق نوغاي بقواته، وأثناء تحرك يوستاي بالجيش، رأي جنود ابغا مجتمعين على شكل حلقة، فظن أنهم أحاطوا بنوغاي، ففر عائداً بقواته، أما ابغا فاستقر على الضفة اليمني لنهر الكر[2] مع قواته، وأرسل أخاه على رأس قوة من الجيش فاشتبك مع نوغاي، الذي يبدو أن الأمور لم تجر لصالحه، فاضطُر للتراجع إلي مدينة شروان بعدما أصيب بسهم في إحدي عينيه[3]، وبعد تقهقر نوغاي، عبر ابغا نهر الكر، لكنه سمع بتقدم بركة بأعداد ضخمة من الجيش فأفل عائداً إلي الضفة الأخري ودمر كل الجسور وراءه، ووصل بركة بقواته وخيم الجيشان، على جانبى النهر وظلوا أربعة عشر يوماً فى أماكنهم يناوشون بعضهم بعضاً بالسهام ويتبادلون كلمات التحدى والسخرية فلا مجال للعبور فلا يملك أيُ منهم قوة بحرية

وبالتالي فالمعركة غير ممكنة، وأخيراً قرر بركة الذهاب إلي مدينة تفليس[4] ليعبر النهر من هناك، لكنه مات فى الطريق وكانت هذه نهاية الأعمال العدائية، بين الدولتين ونُقل جثمانه إلي سراي حيث دفن هناك عام665هـ/ 1267-1266 م.

وقد أدي هذا الصراع وهذه الاشتباكات العسكرية، التي نشبت بين اثنان من خلفاء جنكيز خان، إلي تداعيات كبيرة، و طويلة الأمد على النطاق السياسى والاقتصادي سواء داخل أو خارج نطاق الإمبراطورية الجنكيزية الواسعة[5].

---

(1) الهمذاني: تاريخ ابناء هولاكو، ص13.

(2) نهر الكر: هو نهر جنوب داغستان يمر من تفليس ويجرى إلي الشرق حتى يصب فى بحر الخزر قرب سالين وكان حداً فاصلاً بين مملكة بركة خان، وهولاكو فالداغستان كانت فى حصة بركة، انظر (الرمزي تلفيق الأخبار، ص426).

(3) الهمذاني: تاريخ ابناء هولاكو، ص14؛ Curtin, Mongol History, p. 287

(4) تفليس: او تبليس كانت كانت تابعة لدولة ارمينيا الأولي، فتحها المسلمون في عهد عثمان بن عفان، واليوم هي عاصمة جورجيا وتقع على نهر الكر، انظر:

(الحموي: معجم البلدان، ج2، ص396؛ Moor, Places,p.773)

(5) Ciociltan ,Mongol and the Black Sea ,P.68.

فالبنسبة لخارج الإمبراطورية، أدى هذا الصراع إلي انشغال الطرفان بصراعهما عن التوسع، على حساب جيرانهم الذين سبق لهما أن أخضعوهم من قبل، فمن ناحية هولاكو لم يستطع الثأر لهزيمة قواته فى عين جالوت، أو إعادة اخضاع بلاد الشام لحكمه[1]، واكتفى فقط بإرسال غارات صغيرة، اتصفت بالسرعة والرعونة، لإظهار قوة المغول أو للزود عن حلفائه الأرمن، وذلك لانشغاله الدائم بإعداد جيوشه لملاقاة بركة خان العدو القريب الجاثم على حدود الإيلخانية والانتقام من الهزيمة التى ألحقها به[2]، أما بالنسبة لبركة خان فإن قواته قامت فى عام657هـ/ 1259م بغزو بولندا وهددت ألمانيا والمجر ووصل بركة خان بتهديده حتي فرنسا، وهو ما عني بأن الغزو المغولى القادم سيكون فى قلب أوروبا[3]، لكن رُدع بركة خان عن استكمال توسعاته أو التدخل فى أوروبا، بسبب مشاكله مع هولاكو، والتي اضطرته إلي تحويل جهوده نحو بلاد القوقاز، وبهذا نجت أوروبا من غزو مغولى محتمل على يد بركة خان[4]، أما النتيجة الأخرى لهذا الصراع فكانت عبارة عن بحث كلٍّ من بركة خان وهولاكو عن حليف قوى ضد منافسه، وكانت تلك هى المرة الأولى فى تاريخ الإمبراطورية الجنكيزية، التى يُستعان فيها بحليف أجنبي ضد دولة مغولية[5]، وما تبع ذلك من إقامة علاقات متوازنة وقائمة على مبدأ المساواة بين الحلفاء، بدون أي تعالي، وهي الطريقة التي اعتاد المغول على التعامل بها سابقاً مع ملوك الدول الأخري[6]، وكان من الطبيعى في ظل هذه المتغيرات، أن يتجه هولاكو فى بحثه عن حلفاء نحو الغرب اللاتينى والحكام المسيحيين فى غرب آسيا، ووجد من مملكة أرمينيا وزعماء الصليبيين فى الشام

---

(1) العبري: تأريخ الدول، ص225؛ هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا، ص 105؛
Jakson , the Mongol and the West , P.126.

(2) هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا، ص 105.

(3) هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا، ص 105 ؛ Jakson , the Mongol and the West , P.124.

(4) هلال :العلاقات بين المغول وأوروبا، ص 105 ؛ Morgan,the Mongol and the Eastern , P.203.

(5) هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا، ص 105؛ Jakson , the Mongol and the West ,P.124.

(6) هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا، ص 105.

الأعداء التقليديين للمماليك رغبة صادقة فى هذا الصدد[1]، أما خانيـة القفجـاق، فتحالفـت مـع سلاطين المماليك فى مصر، بدءاً من عام660هـ/ 1261م.

العلاقات القفجاقية المملوكية:

ساهم فى تقوية أواصر هذا التحالف بين المماليك ومغول القفجاق عدة عوامل:

العامـــل الأول: العـــداء المـــشترك، ضـــد هولاكـــو بـــصفة خاصـــة، وبقيـــة المغـــول بصفة عامة[2].

العامل الثانى: هوعامل الدين، فإسلام بركة خان، أدى إلي ازدياد أواصر الـصداقة، والتقـارب بين القفجاق والمماليك[3].

العامل الثالث: هو انحدار الظاهر بيبرس 659-676هـ /1260-1277 ومعظم قادة المماليك من منطقة القفجاق، ومن ثّم فقـد شـجعهم الحنـين للـوطن الأصـلى، عـلى التحـالف مـع بركـة خان[4].

العامل الرابع والأهم: هو العامل التجارى، والذي مثل أهميـة كـبري لدولـة المماليـك التـي كانت تعتمد بشكل أساسي على العبيد القادمين من بلاد القفجاق لزيادة أعداد الجيش، لذا كان من الهام بالنسبة للمماليك والقفجاقيين، إبقاء طرق التجارة مفتوحة بيـنهما، وذلـك مـن خـلال المضايق التي تصل البحر الأسود بالبحر المتوسط والواقعة تحت سيطرة بيزنطة، وذلـك بعـد مـا سيطر هولاكو، على كل الطرق الآسيوية، بين مصر والقفجاق[5].

---

(1) هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا، ص 105؛ حافظ حمدي: الدولة الخوارزمية، ص 289.

(2) سعيد عاشور: مصر والشام، ص 333؛ Amitai, Mongols and Mamluks,pp,78-79

(3) سعيد عاشور: مصر والشام، ص 333؛ احمد مختار العبادى: قيام دولة المماليك الأولي فى مصر والـشام، دار النهضة العربية، بيروت، 1406هـ-1986م، ص 205.

(4) هلال: العلاقات بين المغول و أوروبا، ص 105؛ العبادى: قيام دولة المماليك، ص 217.

(5) - هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا، ص 105؛ قاسم عبده قاسم، عـلى الـسيد عـلي، الايوبيـون والمماليـك التاريخ السياسى والعسكرى، عين للدراسات، ص 159؛

Morgan ,the Mongols and the eastern ,P, 204.

الصراع التجارى: تمثل الصراع التجارى، بين القفجاق والإيلخانيين على أذربيجان وتبريز التى لا تُقدر أهميتهما بثمن لطريق الحرير، وبين المماليك والإيلخانيين على أياس و أرمينيا[1]، حيث شكل ميناء أياس الأرمني، منفذاً لتجارة البحر الأسود نحو المتوسط، إضافة إلي موقعه الذي مثل حائط صد عن حلب، التي بدورها كانت حائط صد عن دمشق[2]، كما سيطر هيثوم ملك أرمينيا وزوج ابنته بوهيمند حاكم إنطاكية على غابات جنوب الأناضول ولبنان، التي شكلت أهمية إستراتيجة عظيمة لدولة المماليك، التي اعتمدت بشكل أساسي على الأخشاب المستوردة من تلك الغابات في بناء الأسطول المصري، والبناء المعماري، وهوالأمر الذي حاول هيثوم، وبوهيمند استغلاله كورقة ضغط على بيبرس[3]، فإذا أضفنا إلي هذه الأهمية الاقتصادية، الضغط العسكري الذي مثلته أرمينيا على دولة المماليك بتحالفها مع مغول فارس، وقيام هيثوم مدعوماً من سلاجقة آسيا الصغري ومغول فارس، بشن حملة على السواحل السورية في عام661هـ/ 1262م، ومهاجمة المدن الحدوديه[4].

ورد بيبرس على تصرف هيثوم، بتخريب المدن الواقعة على الحدود ونهبها، ولم يكتف بذلك، بل هاجم عكا وأنطاكيا وقيسارية، وأمام هذا الهجوم المملوكي حاول بوهيمند عقد صلح مع الظاهر بيبرس، الذي واصل هجومه، ووصل في عام665هـ/ 1266م إلي أرمينيا، و التقت جيوشه بجيوش هيثوم الذي هزم وخُربت عاصمة ملكه، وقُتل أحد ولديه، واقتيد الآخر أسيراً إلي القاهرة[5]، وانتهت تلك المواجهات باستسلام هيثوم في العام التالي لمطالب بيبرس، فنقض عهده مع مغول فارس، وتنازل عن الكثير من المعاقل

(1) Ciociltan, Mongol and the Black Sea ,P.88.

(2) ستيفن رنسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، مملكة عكا، ترجمة نور الدين خليل، مكتبة الشروق، 2000م، ج3، ص416؛ ايرا لابدوس: مدن إسلامية فى عهد المماليك، ترجمة على ماض، -الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987، ص36.

(3) رنسيمان: الحروب الصليبية، ص، 376.

(4) موير: دولة المماليك، ص54.

(5) موير: دولة المماليك، ص54.

الحدودية، وفي هذا الصدد، يقول موير" لو تحاشي الأرمـن والـصليبيون الخـضوع لنفـوذ المغـول لكان خيراً لهـم فـإن هـذا الخـضوع كـان لابـد أن يثـير حقـد المـصريين علـيهم وتكـون عاقبتـه سقوطهم"[1].

ومما سبق يتضح لنا أن هذه الصراعات لم تقتـصر عـلى مواجهـات عـسكرية بـسيطة، بـل تضمنت مواجهات دموية، وهو الأمر الذى كان له عواقب بعيدة المدى، على الصعيد الاقتصادي والسياسي، حيث مثلت كل من الدول المشاركة فى هذه المنافسة التجارية، قوة عظمى فى أوروبا الشرقية، أو غرب آسيا، أو شمال أفريقيا [2].

رغم أن بيبرس هو من اقترح التحالف أولاً، إلا أن خانات القفجاق كـانوا الـشريك الأكـثر حماسـاً في هذا التحالف على المدي الطويل[3]، وقد بدأ أول اتصال بين خانية القفجاق والمماليك عام 660 هــ /1261م، عندما وصلت مجموعة من المغول المستأمنين[4] إلي شرق سـوريا متـوجهين إلي دمـشق[5]، و كان بركة خان قد أرسلهم مدداً إلي هولاكو فى حملته على إيران، فلـما نـشبت الحـرب بيـنهما، أرسـل بركة خان إلي قواته يطلب منهم مغادرة معسكر هولاكـو والقـدوم إليـه، فـإن لم يتمكنـوا مـن ذلـك، فليلجـأو إلي مـصر فإنهـا أقـرب إلـيهم[6]، و كتـب الظـاهر بيـبرس إلي نوابـه فى الـشام بـإكرام هـؤلاء الوافدين، وإعطائهم ما يحتاجون إليه، وخـرج لاسـتقبالهم بنفـسه في القـاهرة، وكـان عـددهم فـوق

---

(1) دولة المماليك، ص55.

(2) Ciociltan ,Mongol and the Black Sea ,P.88.

(3) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص453؛
Ciociltan , Mongol and the Black Sea ,P.89; Amitai , Mongols and Mamluks,p. 79.

(4) اطلق المؤرخون على العناصر التي جاءت إلي مصر منفية أو لاجئة، اسم الوافدين، والمستأمنة والمستأمنين، انظر:(احمد عبدالكريم سليمان: العنصرية وأثرها في الجـيش المملـوكي، دار النهـضة العربيـة، 1408هــ-1988م، ص35).

(5) ا بن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ج1، ص137 ؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ص234؛ المقريزي: السلوك: ج1، ص544.

(6) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ج 1، ص 137؛ النويرى:نهاية الأرب، ج 30، ص 37؛
Broadbridge, Kingship and Ideology, P. 52.

المائتين[1]، فأمر ببناء منازل لهم فى باب اللوق، وأرسل إليهم الملابس والخيول والأموال، وأقام لهم إحتفالية كبيرة[2]، وضمهم إلي مماليكه، وأسلموا وحسن إسلامهم[3]، وقد شجع هذا الاستقبال الطيب من الظاهر بيبرس، أعداداً أخرى من القفجاقيين على المجئ إلي مصر فتوافدوا جماعة بعد أخري[4].

و خلال حكم الظاهر بيبرس الذى امتد من سنة 658- 676هـ /1260 - 1277م، قَدِم إلي دولة المماليك، ما مجموعه ثلاثة آلاف فارس، اندمجوا بسهولة فى المجتمع المملوكى، وأنعم السلطان على بعضهم بالرتب[5].

وقد اجتمعت عدة عوامل جعلت من مصر الوجهة المفضلة لهؤلاء اللاجئين، أولها الكرم الذي أظهره الظاهر بيبرس لهؤلاء اللاجئين، والأصل المشترك بين هؤلاء القفجاقيين وبين المماليك المنحدرين أيضاً من بلاد القفجاق[6]، وكذلك التركيبة الاجتماعية المتشابهة لكل من دولة القفجاق والمماليك، فقد تكونت الطبقة الحاكمة فى كلا الدولتين من أفراد ينتمون للجنس التركي ويحكمون شعباً ذا طبيعة مختلفة، إضافة إلي العامل الدينى الذي جمع بين بركة خان ودولة المماليك[7]، وبالنظر لكل أوجه التشابه السابقة التي جمعت بين المماليك واللاجئين القفجاقيين، كان من الطبيعى أن تنتقل بعض العادات والتقاليد والنظم الاجتماعية والعسكرية المستخدمة في بلاد القفجاق إلي مصر[8]، فانتشرت

---

(1) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر:ج1، ص137؛ المقريزي، السلوك، ج1، ص544.

(2) المقريزى: المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق، محمد زينهم، مديحه الشرقاوي، ط1، مكتبة مدبولي، ج 2، ص 637؛ عبد الكريم، العنصرية وأثرها، ص 39.

(3) ابن عبدالظاهر: الروض الزاهر، ج1، ص138؛ المقريزى:السلوك، ج 1، ص 545.

(4) المقريزى:الخطط، ج 2، ص 637 ؛ عبدالكريم: العنصرية وأثرها، ص 39.

(5) الترماننى: أحداث التاريخ، ج، 3ص993 ؛ عبدالكريم: العنصرية وأثرها، ص40 .

(6) صلاح محمد نور: الطوائف المغولية في مصر وتأثيراتها العسكرية والسياسية والاجتماعية واللغوية والعمرانية في عصر دولة المماليك البحرية، منشأة المعارف، الأسكندرية، ص87.

(7) صلاح نور: الطوائف المغولية، ص 26؛ قاسم عبده: الأيوبيون والمماليك، ص 157.

(8) صلاح نور: الطوائف المغولية، ص87.

الألقاب المغولية بين المماليك وأمرائهم، وكثُر زواج المماليك من مغوليات[1]، كما تأثر المماليك ببعض العادات الاجتماعية الأخري لدى المغول، مثل أكل لحم الخيل فى الاحتفالات، وهو الطعام الرئيسي المفضل لدى المغول، وتناول شراب (القمز) المفضل لدي الظاهر بيبرس [2]، كما امتد التأثير المغولى إلي ملابس الجيش فغلب عليها الطابع المغولى وانتشرت الأسلحة المغولية[3]، كما تشابهت أيضاً التنظيمات العسكرية التى ادخلها بيبرس والسلاطين المماليك من بعده فى الجيش المملوكى، مع الكثير من النظم المغولية[4]، لكن رغم هذا الاندماج والتقارب بين المماليك والعناصر المغولية الوافدة كان الظاهر بيبرس حريصاً على ألا يتجاوز هؤلاء الوافدون حدوداً معينة، سواء فى العدد المسموح به للالتحاق بالجيش، أو في الوظائف العسكرية، التى يُرقون إليها، بل وحدد أماكن إقامتهم، وحرص على عدم منحهم من النفوذ السياسي ما يسمح لهم فيما بعد بالتدخل فى شئون الدولة وفرض آرائهم، خاصة المغول القادمين من فارس[5].

وتري الباحثة أنه من الطبيعي أن يساور الظاهر بيبرس القلق تجاه هؤلاء اللاجئين ونواياهم، ويتحسب لأي فوضي محتملة قد يحدثونها في المستقبل، وذلك لما بينه وبين هولاكو من العداوة، بينما صداقته بمغول القفجاق لازالت في بدايتها،ولم تتضح معالمها بعد.

و علم الظاهر بيبرس بأحوال بركة خان والخلاف الدائر بينه وبين ابن عمه هولاكو من بعثة الوافدين الأولى، فقرر إرسال سفارة إلي بركة خان[6].

السفارات المتبادلة بين بركة خان وبيبرس:

كتب الظاهر بيبرس خطاباً إلي بركة خان، عام659هـ/1260م يغريه فيه بقتال هولاكو ويحبب إليه ذلك، ويبدي رغبته في تحالفهما معاً ضد هولاكو، من منطلق وحدة العقيدة،

(1) صلاح نور: الطوائف المغولية، ص 52 - 69.
(2) صلاح نور: الطوائف المغولية، ص 120 ؛ موير: دولة المماليك، ص 58.
(3) صلاح نور: الطوائف المغولية، ص 72.
(4) صلاح نور: الطوائف المغولية، ص 85-86 ؛ عبدالكريم: العنصرية وأثرها، ص 38.
(5) صلاح نور: الطوائف المغولية، ص 103؛ عبدالكريم: العنصرية وأثرها، ص 38-40.
(6) هلال: العلاقات بين المغول وأوروبا، ص 106؛ Curtin , Mongol Histor,P, 285

ولم يرسل هذا الخطاب مع بعثة خاصة بل أرسله مع تاجر من شمال القوقاز[1]، ولعب بيبرس في خطابه الأول لبركة خان على إثارة مشاعره الدينية فاستخدم الإسلام ضد تبجيل السلطة الجنكيزية، وحث بركة على محاربة هولاكو، وأخبره بأنه كمسلم صالح ملزم بشن حرب دينية ضد المغول حتى لو كانوا أقرباءه، ودعم خطابه بوصف أجر المجاهدين فى الإسلام، وذكر بركة بأن الرسول – صلى اللـه عليه وسلم- قاتل بعض أقرباءه من قبيلة قريش دفاعاً عن الدين[2].

-سفارة بيبرس الأولي إلي بركة خان، محرم 661 هـ / 1262 م:

قرر بيبرس اتْباع خطابه الأول ببعثة رسمية إلي بركة خان واختار لهذه البعثة كل من سيف الدين كشريك، وهو موظف قديم وأحد اتباع السلطان الخوارزمى جلال الدين، وكان ملماً بأحوال بلاد القفجاق وباللغة التركية، والآخر هو الفقيه ووزير البلاط مجدالدين الروذراودى، وبصحبتهم اثنان من المغول اللاجئين[3]، وكتب إليه فى هذا الكتاب، عن أحوال الأمة الإسلامية، ومبايعة الخليفة، وذكر نسبه إلي الرسول – صلى اللـه عليه وسلم-، كما كتب يستميله ويحثه على الجهاد ويصف له العساكر المصرية وكثرتها، ويخبره عن علاقاته الخارجية وحروبه وتحالفاته، ويحثه على قتال هولاكو، ويخبره بوصول اللاجئين المغول التابعين له، وأنه أحسن إليهم من أجله[4]، وبعد أن جهز السلطان المبعوثين بالمؤن وقُرأ الكتاب مرتين: إحداهما فى حضور الأمراء كلهم، والأخرى بحضور الخليفة الحاكم بأمر اللـه661-701هـ/1262-1302م[5]، تحرك الوفد، وعندما وصلوا إلي القسطنطينية،

---

(1) المقريزي: السلوك، ج1، ص539؛ الرمزى: تلفيق الأخبار، ص 431؛
Ciocilton, Mongol and the Black Sea ,p.89.

(2) المقريزى :السلوك، ج 1، ص539؛ الرمزى: تلفيق الأخبار، ص 431؛
Ciocilton, Mongol and the Black Sea ,p.89.

(3) المقريزى: السلوك، ج 1، ص545؛ Howorth, History of the Mongol, P, 115

(4) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص 138- 139 ؛ المقريزى: السلوك، ج 1، ص549.

(5) الحاكم بأمر اللـه: هو أحمد بن أبي على الحسن القُبي، هرب أثناء غزو هولاكو لبغداد، بايعه الظاهر بيبرس بالخلافة، وأنزله بالقعلة، انظر: (السيوطي:تاريخ الخلفاء، ص725-726).

التقوا هناك برسل السطان بركة خان المبعوثين إلي مصر، والذين تصادف وجودهم هناك في نفس الوقت[1]، وأرسل باليولوج خطاباً لبيبرس يخبره فيه بأنه جهز المبعوثين المصريين بكل ما يحتاجونه لاستكمال رحلتهم إلي بلاد القفجاق، وفى إشارة لعلاقات الصداقة القوية، أرسل ممثل رسمى عنه إلي القاهرة، جنباً إلي جنب مع مبعوثى بركة خان[2]، كما أرسل أيضاً ممثلاً عنه برفقة رسل بيبرس المتوجهين إلي بلاط بركة خان، والذين غادروا القسطنطينية إلي ميناء أوديسا على ساحل البحر الأسود، ومن هناك عبروا البحر إلي الجهة الأخرى[3]، ووصلوا إلي قرية قريم حيث استقبلهم والي المنطقة، واصطحبهم إلي مدينة سراي[4]، وما أن اقتربوا من معسكر بركة خان، حتي التقاهم الوزير شرف الدين القزوينى، وكان يجيد التحدث بالعربية إلي جانب التركية، فأنزلهم فى مكان حسن وأحسن ضيافتهم[5]، وأخبرهم بالقواعد والأصول المتبعة في البلاط القفجاقي، وأولها ألا يطأوا بأقدامهم عتبة الخيمة ولا يدخل أحدهم الخيمة بسلاح وإذا دخلوا على السلطان يدخلون من جهة اليسار، فإذا أُخذت منهم الكتب ينتقلون إلي الجهة اليمني، ويكون جلوسهم أمام السلطان على الركبتين، ولا يتناولون الثلج، أو يغسلوا ثيابهم فى النهر[6].

وقد وصف هؤلاء الرسل خيمة السلطان بركة، فقالوا إنها خيمة كبيرة، تسع خمسمائة فارس، مغطاة من الخارج باللباد الأبيض، ومن الداخل بالستائر الحريرية الفخمة، ومزينة باللؤلؤ والجواهر الثمينة[7]، وكان بركة خان جالساً على عرشه، متكِئاً بقدميه على بضع وسائد، لأنه كان يعانى من مرض النقرس المنتشر بين هؤلاء الترك، وإلي جانبه تجلس

---

(1) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص 140؛ المقريزى: السلوك، ج 1، ص549؛ الرمزي: تلفيق الأخبار، ص431.

(2) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص 140:.Ciocilton,Mongol and the Black Sea ,P.89

(3) ابن عبدالظاهر: الروض الزاهر، ص140؛الرمزي: تلفيق الأخبار، ص437؛
Howorth, History of the Mongol, p. 117.

(4) الرمزى: تلفيق الأخبار، ص Howorth, History of the Mongol, P.117؛438

(5) الرمزى: تلفيق الأخبار، ص Howorth,History of the Mongol , P.117؛438

(6) الرمزى: تلفيق الأخبار، ص Curtin, Mongol History ,P. 286؛438 .

(7) الرمزى: تلفيق الأخبار، ص Curtin ,the Mongol History ,P.286؛438

زوجته طغطاي خاتون، وكان عُمر بركة خان فى ذلك التاريخ ستاً وخمسون سنة، له لحية صغيرة ووجه كبير ذو بشرة صفراء، وشعره مضفر خلف أذنيه التى تدلى منها قرط يحمل حجراً ثميناً[1]، وكان يرتدى ثوباً من الحرير الصينى ورأسه مغطى بسراقوج[2] وحذاؤه مصنوع من المخمل الأحمر، لم يكن يحمل سيفاً لكن كان يرتدى حزاماً ذهبياً مزيناً بالأحجار الكريمة، وفى هذا الحزام بعض القرون السوداء المثناة والمحشوة بالذهب[3]، وكان يجلس حوله خمسون أو ستون أميراً، وبعد أن تم الترحيب بالسفراء وسلموا خطاباتهم، وقرأها الوزير بأمر من بركة خان الذي بدا سعيداً بمحتواها، تم نقلهم من يسار الخان إلي يمينه وأصبحوا بمواجهة جدار الخيمة، خلف الأمراء، وأُحضر لهم شراب القمز والعسل المطبوخ والطعام [4]، ثم أمر بركة خان بإنزالهم عند زوجته ججك خاتون، وفي الصباح استقبلتهم الخاتون فى خيمتها- وفي هذا دلالة على ما تمتعت به المرأة المغولية من مكانة تضاهي مكانة الرجال- ثم انصرفوا آخر النهار إلي منازلهم، وكان بركة خان يُمضي الكثير من الوقت برفقة هؤلاء الرسل ويستطلع منهم أحوال مصر وأهلها [5]، وبعد أن أقاموا فى بلاطه سنة وعشرين يوماً، هموا بالعودة إلي مصر، فأعطتهم زوجته ججك خاتون هدايا، كما أعطاهم بركة خان نقوداً ذهبية، وخطاباً إلي بيبرس، وأرسل معهم رسلاً من قبله، فوصلوا إلي مصر عام 662 هـ / 1263م [6].

---

(1) ابن بطوطة- رحلته-ص257، الرمزى – تلقيح الاخبار –ص 438؛

Howorth, history of the mongol, P, 117.

(2) (سراقوج) أي قلنسوه وكانت ضمن ملابس بركة خان وكانت تمثل إلي حد كبير الزى التترى المميز كما كانت من الأزياء المميزة لعسكر المماليك فى مصر والشام فيما بعد منذ عهد الظاهر بيبرس –انظر: (صلاح نور:الطوائف المغولية، ص78).

(3) الدويدار: كنز الدرر، ص100؛Howorth, History of the Mongol,p.117

انظر: ملحق رقم (7).

(4) الرمزى: تلفيق الأخبار، ص 439؛

Howorth,History of the Mongol,P.117;- Curtin, the Mongol History,P. 286

(5) الرمزى: تلفيق الأخبار، ص 439؛Howorth ,History of the Mongol, P. 118

(6) الرمزى: تلفيق الأخبار، ص 439؛Howorth ,History of the Mongol, P.118

- سفارة بركة خان إلي بيبرس 661هـ \ 1262- 1263م :-

كان الظاهر بيبرس فى طريقه إلي مصر، عائداً من سوريا، حين وردته الأخبار بوصول رسل بركة خان، وكما سبقت الإشارة فقد نزل رسل بركة خان وهم "جلال الدين القاضي والشيخ نور الدين" بالقسطنطينية، حيث استقبلهم باليولوج بحفاوة، وأرسل معهم مبعوثاً من قبله، كما قامت القوى الأخرى المهتمة بمحور(سراي- القاهرة) بإضافة مبعوثيها إلي السفارة المغولية البيزنطية المتوجهة إلي مصر[1]، وهم قائد من جنوة ومبعوثان من قبل السلطان السلجوقى عزالدين كيكاوس، الذى كان لاجئاً فى القسطنطينية، وحطت هذه السفارة الرحال فى الإسكندرية عام 661هـ/ مايو 1263م[2]، ومعهم رسالة من السلطان بركة، مؤرخة بأول رجب 661هـ/1262م، يُخبر فيها بيبرس بإسلامه هو وقومه ويطلب من بيبرس أن يرسل جيشاً إلي الفرات ليقطع طريق العودة على هولاكو، ويشير عليه بالاستعانة بالسلطان عزالدين كيكاوس سلطان الروم وعدو هولاكو[3]، كما تضمن الخطاب ذكر من أسلم من عائلات المغول، باسمائهم وقبائلهم وعشائرهم وعساكرهم كبيرهم وصغيرهم[4].

وجاء في نص الرسالة " أنت تعلم أنى محب لهذا الدين وأن هذا العدو- هولاكو - كافر ملعون وقد تعدى على بلاد الإسلام، وقتل وسفك وسبى ونهب وقد وجب علىّ وعليك غزوه، وأخذ ثأر المسلمين منه، والرأي أن تقصده أنت من جهتك وأنا من جهتى ونصدمه يد واحدة ونزيحه عن البلاد وأعطيك ما فى يده من بلاد الإسلام "[5]، وقد أحسن بيبرس استقبال رسل بركة، وأعد لهم احتفالاً ضخماً، وأنزلهم بباب اللوق[6]،

---

(1) Howorth, History of the Mongol,p.118; Ciocilton,Mongol and Black Sea,p.90.

(2) فايد عاشور: الجهاد ضد الصليبين والمغول، ص274؛ Ciocilton, Mongol and Black Sea,p.90.

(3) المقريزي: السلوك، ج1، ص558؛

Howorth ,History of the Mongol, P.118; Curtin,Mongol History ,P.286.

(4) الدويدار: زبدة الفكرة، ص82.

(5) ابن كثير: البداية والنهاية، ج 13، ص 238؛ الدويداري: كنز الدرر، ص 97 .

(6) المقريزى: السلوك، ج 1، ص 558؛ Howorth, History of the Mongol, P.118

وفي يوم الجمعة 18 شعبان 661هـ/1262م ألقي الخليفة العباسي الحاكم بأمر الله خطبة الجمعة بحضور، رسل بركة خان ودعا للظاهر بيبرس ولبركة خان، ثم اجتمع الظاهر بيبرس برسل بركة خان ومبعوثي جنوة والقسطنطينية للتباحث[1]، ومناقشة مواقف هذه القوى المختلفة، والأدوار المسندة إلي كلٍ منها، ووضع حجر الأساس لتحالف القوى المناهض للإليخانية[2]، وتجدر الإشارة إلي أن المصالح المشتركة، لبركة خان، والظاهر بيبرس كانت هى أساس هذا التحالف، وأن الغرض من إحضار المشاركين الآخرين (جنوة-القسطنطينية) كان خدمة تلك المصالح[3]، فقد قام (محور سراي- القاهرة) على عنصرين أساسيين هما:

الجيش، والهجوم المشترك ضد الإليخانيين، وتجسد المحور الثاني في النشاط التجارى، ممثلاً في تصدير العبيد من خانية القفجاق إلي مصر[4]، ورغم أهمية هذين العنصرين فقد كانا متعارضين، وأصبحا أكثر تعارضاً مع مرور الوقت، مما أدى فى النهاية إلي تفكك هذا التحالف، حيث اعتبرت القفجاق أن هجوم المماليك على الإليخانية أمر لا غنى عنه من أجل تشتيت جهود هولاكو العسكرية، وبالتالي يسهل على القفجاقيين استعادة تبريز[5]، أما القاهرة فقد أخذت بدورها مسألة جلب العبيد من أراضي القفجاق كأولوية مطلقة، خاصةً بعد معاركها ضد المغول فى سوريا، وتناقص قواتها العسكرية إلي حد كبير[6]، وكان لدي كل دولة منهما مخاوفها المبررة حول تلبية احتياجات شريكتها[7]، بالنسبة لسلطنة المماليك فكانت تخشي من تدمير الإيلخانية، وما سينتج عنه من توحيد قوات المغول في فارس والقفجاق، وما يمكن أن تشكله قوة المغول الموحدة تلك من

(1) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص148؛ المقريزى: السلوك، ج 1، ص 558.

(2) Ciocilton ,Mongol and the Black Sea ,P.90.

(3) Ciocilton ,Mongol and the Black Sea ,P.91.

(4) Ciocilton ,Mongol and the Black Sea ,P.91; Morgan, the Mongols and the Eastern, P.204 .

(5) Ciocilton ,Mongol and the Black Sea.P.91.

(6) Ciocilton ,Mongol and the Black Sea ,P.91.

(7) Ciocilton ,Mongol and the Black Sea ,P.91.

تهديد وخطر على دولة المماليك في المستقبل، وبسبب هذا القلق فعل حكام المماليك كل ما فى وسعهم لإذكاء الصراع بين بركة وهولاكو، وهو الأمرالذي كان من شأنه استنزاف الدولتين المغوليتين في حرب منهكة[1]، وبالمثل كان لدى خانات القفجاق تحفظ حول تجارة الرقيق، لأن هذا يعد افقاراً عاماً للدولة من الجنود المحتملين، ودافعى الضرائب، وبالتأكيد لن يعوض الربح المادي العائد من تجارة العبيد هذه الخسائر[2]، ويمكن الحكم على حجم هذه الخسائر من واقع أن جيوش القفجاق لم تكن قادرة على ترجيح كفة الميزان بشكل دائم لصالحها فى الاشتباكات التى جرت بينها وبين الإليخانية [3]، فى حين أن الجيش المملوكي وجميعه من جند القفجاق كان قادراً على حسم حروبه، و صمد فى وجه كل الإعتداءات واحرز النصر على أعدائه في المنطقة من المغول و الصليبين[4] .

لكن وافق حكام القفجاق المقيدين بالرغبة في استعادة طرق التجارة فى اذربيجان وإيران على التضحية المطلوبة منهم، وبالتالي دفعتهم هذه الرغبة إلي حث حلفائهم المماليك للحشد العسكري ضد الإليخانيين، لكن العمليات العسكرية المشتركة بين الخانية ودولة المماليك، والمخطط القيام بها على جبهة القوقاز والفرات فى آن واحد ولدت ميته[5]، واحتاج المتحالفان بركة وبيبرس للحفاظ على مسار الاتصال والتجارة بينهما، عن طريق البحر الأسود، إلي باليولوج الذى سيطر على المضايق المؤدية من البحر الأسود إلي البحر المتوسط، حيث أن الطرق البرية البديلة عبر شرق اناطوليا وإيران كانت تحت سيطرة هولاكو[6].

---

(1) Ciocilton ,Mongol and the Black Sea ,P.91;Sanders، Mongols Conquests,P.157.

(2) Ciocilton ,Mongol and the Black Sea ,P.91.

(3) Ciocilton ,Mongol and the Black Sea ,P.91.

(4) العبادي:قيام دولة المماليك، ص 217؛ Ciocilton ,Mongol and the Black Sea,p.92

(5) العبادى: قيام دولة المماليك، ص 216.

(6) Amitai , Mongols and Mukluks,p.86;Sanders,Mongols،Conquests, .157.

وبهذا برز إلي الوجود (محور القاهرة– القسطنطينية – سراي) وكـان بركـة خـان والظـاهر بيبرس متـساويان في رغبـتهما اسـتخدام مـضيق البـسفور، ولهـذا الغـرض عـرض هـذان الملكـان القويان صداقتهما على الإمبراطور البيزنطي[1]، وهو الأمر الـذي سـاهم بـشكل كبـير فى اسـتقرار نظام الحكم الهش لباليولوج، والمهـدد مـن قبـل القـوى الغربيـة، كـما مـنح الحكـام المـسلمون الإمبراطور الأرثوذكسى بعض الامتيازات فى المسائل الكنـسية[2]، ففـى مقابـل الاعـتراف بالحمايـة البيزنطية لكنائس الملكيين الكاثوليك فى سـلطنة المماليـك، مـنح الإمبراطـور البيزنطـي الـسلطان بيبرس الحق فى احضار حمولة أو اثنتين من العبيد كـل عـام عـبر مـضيق البـسفور، فى معاهـدة أُبرمت بينهما عام661هـ/ 1262 م[3]، كما تم إنشاء مطرانيـة للأرثـوذكس فى سراي عـام660هــ/ 1261م ربما لخدمة الغرض نفـسه[4]، كـما كـان الوضـع الجغـرافى للخـان أفـضل مـن بيـبرس، فى المـساعدة لإعـادة احـتلال الأراضى البيزنطيـة، فبـدون موافقـة المغـول، إن لم يكـن بمـساعدتهم النشطة، لم يكن ليتمكن باليولوج من إعادة احتلال مـدن الـساحل الغـربى للبحـر الأسـود، مـن بلغاريا عام661-662هـ/ 1262 – 1263 م[5]، وعلى أقل تقدير لم يكن ليمتلك القدرة على إعادة فرض سلطته عـلى جـزر نهـر الـدانوب الـسفلى، التـى كانـت تحـت الـسيطرة المبـاشرة لخانيـة القفجاق[6].

وفى سياق هذا التحالف، خطط بركة خان وبيبرس لوضع دولة السلاجقة، فى آسيا الصغرى تحت سـيطرتهم عن طريق عزالدين كيكاوس وحزبه[7]، وهكـذا دخـل الـسلاجقة كعامـل مـساعد، فى محـور (القـاهرة – سراي)، فبعـد هزيمـة غيـاث الـدين كيخـسرو الثـانى فى معركـة كـوسي عـام641هــ/ 1243 م، انقـسمت الـسلطنة بـين

(1) ciocilton ,Mongol and the black sea ,P.92; Vasilaev, the Byzantine Empire ,P.601.

(2) Ciocilton ,Mongol and the Black Sea ,P.92.

(3) عبدالكريم: العنصريه وأثرها، ص33؛ Ciocilton ,Mongol and the Black Sea ,P.92.

(4) Ciocilton, Mongol and the Black Sea ,P.92; Shubin , History of Russia Christianity, P.88.

(5) Ciocilton ,Mongol and the Black Sea ,P.93.

(6) Ciocilton ,Mongol and the Black Sea ,P.93.

(7) Ciocilton ,Mongol and the Black sea ,P.96.

بين ابنيه قلج أرسلان وكيكاوس الذي قاوم الاحتلال المغولي، لكنه هزم عام655هـ/ 1256م، وهرب مع بعض رعاياه الأتراك إلي القسطنطينية، وبهزيمته أصبحت الأناضول كلها خاضعة لمغول فارس(1).

فخطط بركة خان وبيبرس لاستعادة السلطان المنفى عز الدين كيكاوس لعرش والده فى قونيه، وهى الخطة التى لو نجحت لأصبحت ذا فائدة عظيمة للبيزنطيين، لأنها سوف تحمى ممتلكاتهم، فى آسيا الصغرى، من الهجوم المغولي الفارسى المتوقع(2)، وكانت هذه الخطة جزءاً من المشروع الأكثر طموحاً لمحاربة الإيلخانيين، عن طريق دعم عزالدين، مما يعنى حرمان الإيلخانيين من السيطرة على سلطنة السلاجقة وانضمام الأناضول، إلي جبهة السلطان والخان المتحالفان معا(3)، وكان من شأن عملية إعادة التوجيه السياسي هذه قلب مواقف الدول المتحاربة، مع تأثير عميق على التجارة التى تتشارك فيها، فلن يتم فقط إزالة المضيق تماماً من مجال نفوذ هولاكو،لكن سيصبح أيضاً مدخل الوصول إلي الإيلخانية من البحر الأسود أو البحر الأبيض المتوسط، تحت سيطرة محور (القاهرة - سراي)، وهو ماكان سيكون له عواقب وخيمة على الإيليخانية إذا تم(4). فمبقتضاه كانت الإيلخانية ستقع بين فكي القاهرة وسراي، وسيتضرر اقتصادها بشدة.

وكان المتحالفان في حاجة إلي الاستعانة بخدمات قوة بحرية للحفاظ على الروابط التجارية والدبلوماسية بينهما، وكانت القوة الوحيدة التى يمكن أن تلبى احتياجات الحلفاء بالكامل هى جنوه، والتى امتلكت القدرة على نقل مايكفى من عبيد القفجاق، إلي الأسواق النهمة فى الأسكندرية (5).

(1) Howorth ,History of the Mongol,p. 122; yildiz , the Seljuk's of Anatolia , P.211;Morgan, the Mongols and the Eastern,P.204.

(2) Morgan ,the Mongols and the Eastern ,P.204; Ciocilton, Mongol and the Black Sea ,P.93.

(3) Ciocilton, Mongol and the Black Sea ,P.93.

(4) Ciocilton ,Mongol and the Black Sea ,P.93.

(5) Ciocilton ,Mongol and the Black Sea ,P.93; Amitai ,Mongols and Mukluks,p .86.

- **جنوه ومحور (القاهرة - سراي):**

إلي جانب قدرة جنوة على نقل العبيد، كانت الميزة الثانية التى يمكن لها توفيرها هى وضعها البارز فى المضيق والبحرالأسود، والذي حصلت عليه بموجب معاهدة نيمفايوم (Nymphion)، التي أبرمتها مع باليولوج عام660هـ/ 1261م، وأصبحت بموجبها هى الضامن البحرى لاستعادة البيزنطيين لسلطتهم فى البحر المتوسط وحمايتهم من الهجمات الانتقامية للبنادقة[1]، وفي المقابل منح باليولوج جنوة وحليفتها بيزا بعض الامتيازات أهمها: حرية الابحار والتجارة فى البحر الأسود دون شرط، وكان الشرط الوحيد المقيد لجنوة فى المعاهدة هو أنه يجب عليها الحفاظ على البحر خالياً من البنادقة الذين هيمنوا عليه منذ عام602-660هـ (1204م حتى 1261 م)، وهي فترة الاحتلال الروماني لبيزنطة[2]، وكانت الميزة الثالثة لمساهمة جنوة في هذا المحور (القاهره – سراي) والتي لا تقدر بثمن هي امتلاكها الإرادة السياسية والقوة المطلوبة لمواجهة الرفض، والانتقام من القوي الغربية المسيحية التي وقعت الحرمان الكنسي على جنوة والعائلات المقيمة بها[3]، وبهذا تحملت جنوة مخاطر هائلة عندما اختارت الدخول في خدمة خان المغول والسلطان المملوكى، أعداء الصليبين، والدفاع عن الإمبراطور البيزنطى المنشق عن اللاتين، الذين كانوا يتوقون للعودة إلي القسطنطينية بشدة[4].

وكانت الأسباب التى دفعت جنوه نحو البحر الأسود، هى هزيمتها أمام البنادقة وطردها من عكا، المركز الأكثر أهمية للتجارة الشامية، فأجبرتها هذه الخسائر على البحث عن آفاق جديدة لتعويض خسارتها، وعثرت على هذه الفرصة الجديدة فى البحر الأسود[5]، الذى سدد بوفرة ثمن قرارها بربط ثرواتها بالقوى الإسلامية والبيزنطيين، ورغم كل الصعوبات

---

(1) Ciocilton ,Mongol and the Black Sea ,P,93; Pryor, Maritime Republics, P.430.

(2) Ciocilton, Mongol and the Black Sea ,P.94.

(3) Ciocilton ,Mongoland the Black Sea, P.94; Pryor, Maritime Republics ,p.436

(4) Ciocilton ,Mongol and the Black sea ,P.94.

(5) Cioliton, Mongol and the Black sea ,P.94; Pryor, Maritime Republics, P.436.

التى واجهتها جنوة فيما بعد، فإنها ظلت وفية[1] لمحور (سراي – القسطنطينية – القاهرة)، وتكبدت العناء في سبيل الحفاظ على هذا الولاء، الذى لم يمنعها من خدمة مصالح الإيلخانية فى الوقت نفسه، وهو ما حقق لها الكثير من الربح[2]، فما كان يهم جنوة من كل تحالفاتها، هو تحقيق أعلي قدر ممكن من المكاسب الاقتصادية.

-السفارة الثانية من بيبرس إلي بركة خان :

فى يوم الخميس الموافق 14 رمضان عام 661هـ/1262م، حضر رسل بركة لدي بيبرس إلي قلعة الجبل، فأهداهم بيبرس ما يليق بهم، وجهزهم بهدية ثمينة لبركة خان[3]، وكتب محى الدين ابن عبد الظاهر خطاب السلطان بيبرس، إلي بركة خان، فى قطع وسبعين ورقة بغدادية[4](ونصف هامش أو حاشيه) واحتوي الخطاب على كل آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية التى تحث على الجهاد، وكل الآيات والأحاديث التي تشير إلي مصر، وذكر الأضرحة الموجودة بها والتى يؤمها الناس للزيارة والمساجد التى تدعو للسلطان،والتأكيد على مودة بركة، وذكر كل ما يعجب الخان، ويحفزه ضد الأعداء، ويزيد من أهمية السلطان لديه[5]، وبعدما قُرئ الخطاب على السلطان سُلم مع هدية قيمة إلي الأمير فارس الدين أقوش المسعودى والشريف عمادالدين الهاشمى[6]، وكانت الهدايا التى أرسلها بيبرس إلي بركة من أجمل وأفخم ما يأتي من الشرق، من بينها نسخة من القرآن الكريم يقال أن الخليفة عثمان هو الذى كتبها، تم وضعها في صندوق من الحرير الأحمر مطرز بالذهب موضوع داخل صندوق آخر مصنوع من الجلد[7]، كما أرسل عرشاً مزيناً

(1) Ciocilton, Mongol and the Black Sea ,P.94.

(2) Ciocilton ,Mongol and the Black sea ,P.95.

(3) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص 171؛ المقريزى، السلوك، ج 1، ص559.

– الورق البغدادي من أجود أنواع الورق ويستخدم لكتابة المصاحف ولايستخدم فيما عدا ذلك سوي لمكاتبة كبار الملوك –انظر: المقريزي-السلوك-ج1-ص559.

(5) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص 171؛ .Howorth ,History of the Mongol, P.119

(6) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص 171؛ المقريزى: السلوك، ج 1، ص559.

(7) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص 172؛

Curtine,Mongol History,p.287.Howorth,History of the Mongol, P.119.

بالعاج والأبنوس المنحوت، وتابوتاً من الفضة بقفل من الفضة أيضاً، وسجاجيد للصلاة، وستائر من مختلف الأنواع، وعدداً من المقاعد والأرائك، وحاملات شموع، وسيوفاً فخمة بمقابض من فضة، وآلات موسيقية من الخشب المطلى[1]، ومصابيح فضية، وسروجاً من خوارزم، وأقواساً من دمشق بحبال حريرية، وشمعدانات مطعمة بالفضة، وكتاناً مصرياً، وبساطاً مغربياً مزخرفاً بالصور، وسيوفاً وأقواساً، وصناديق مملوءة برؤوس الأسهم[2]، ومزهريات من العنب المجفف، وخيولاً عربية، وجمالاً وحيدة السنام، وبغالاً سريعة وقوية، وحميراً وحشية، وقروداً والعديد من الزراف، وعبيداً[3]، كما فوض بيبرس أحد القادة بالذهاب إلي مكة والمدينة ليضع اسم بركة خان بعد اسم السلطان الظاهر بيبرس فى خطبة الجمعة، وطُبق هذا الفعل أيضاً فى فلسطين والقاهرة، كما أرسل إلي بركة نسخة من خطبة الجمعة الأولي للخليفة الحاكم بأمرالله[4]، وفي يوم 17 رمضان/عام 661هـ/ 1263م سافر المبعوثون وأحمالهم فى مركب كبير، ومعهم عدد من الرماة، ومؤن تكفيهم لعام[5]، وعندما وصلوا إلي القسطنطينية، كان باليولوج غائباً فى حملة عسكرية، فلما بلغه وصول الرسل طلبهم إليه، فساروا لمدة عشرين يوماً والتقوه فى قلعة كسارا فرحب بهم و أكرمهم ووعدهم بالمساعدة على التوجه إلي خانية القفجاق[6]، لكن تصادف وجودهم عنده مع قدوم سفارة من جهة هولاكو[7]، فاضطر باليولوج إلي الإعتذار من

(1) Curtin, Mongol History ,P.287; Howorth ,History of the Mongol, P.119.

(2) ابن عبدالظاهر: الروض الزاهر، ص173.

(3) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص173.

(4) المقريزي: السلوك، ج1، ص559؛ Curtin, the Mongol History,P.287

(5) ابن عبد الظاهر-:الروض الزاهر، ص 173؛

Broadbridge, King Ship and Ideology, P.52.

(6) الدويداري: كنز الدرر، ص 114؛ Broadbridge, King Ship and Ideology ,P.54

(7) أرسل هولاكو إلي باليولوج يخطب ابنته لنفسه، فأجابه لذلك، وجهزها، وعندما وصلت قيسارية، بلغهم نبأ موت هولاكو، فلم يمكنوها من الرجوع، بل حملوها إلي ابغا ابن هولاكو فتزوجها. انظر:(الرمزي:تلفيق الأخبار، حاشية رقم1، ص445؛

Dimitri korobinikov, Byzantium and Turks in the Thirteenth Century, 1ed-Oxford University Press, 2014, p.214).

الرسل لعدم مقدرته على السماح لهم بالسفر إلي بركة خان، خوفاً من أن يعلم هولاكو أنه مكّن رسل الظاهر بيبرس من التوجه إلي بركة، فيتوهم هولاكو أن باليولوج قد نقض عهده معه، فيسارع بمهاجمة المدن البيزنطية[1]، وطلب منهم العودة إلي القسطنطينية والإقامة بها، إلي حين عودته، لكنه أخذ يماطلهم، حتي مضي عام وثلاثة أشهر على وجودهم عنده، وماتت أغلب الحيوانات التي معهم، فأرسلوا يطلبون منه أن يتركهم يعودون إلي مصر[2]، وبالتزامن مع احتجاز الرسل، قام بالقبض على السلطان عزالدين كيكاوس وسجنه[3]، ورغم أن قبضه على السلطان عزالدين كان لسبب آخر غير السبب الذي دفعه لاحتجاز الرسل إلا أن هذه الأفعال مجتمعة قد زادت من غضب بركة خان عندما علم بتصرف باليولوج.

و أخيراً سمح باليولوج للشريف العباسى بالعودة إلي مصر فى يناير 1264م/663هـ فعاد وأخبر الظاهر بيبرس بما حدث، بينما مكث فارس الدين أقوش المسعودى لمدة عامين في بيزنطه[4]، وقد أثار تصرف باليولوج هذا ردة فعل عنيفة من الحكام في سراي والقاهرة، حيال هذه الخيانة التى جاءت من حليف، وبما أن بيبرس لم يكن يملك القدرة العسكرية الكافية لعقاب بيزنطة، فقد اقتصر الأمر في القاهرة على الإحتجاج[5]، فجمع بيبرس البطارقة والأساقفة وسألهم عن رأيهم الكنسى بشأن رجل أخلف وعده، فأجمعوا بضرورة توقيع عقوبة الحرمان الكنسى عليه[6]، فقام بإرسال فيلسوف وأسقف وراهب إلي باليولوج ليبلغوه بقرار الحرمان الكنسى، كما أرسل إليه خطابا شديد اللهجة وكتب خطاباً آخر إلي بركة خان وأرسله إلي الأمير فارس الدين أقوش المسعودى المتواجد ببيزنطة[7].

---

(1) الدويداري: كنز الدرر، ص95؛ الرمزى: تلفيق الأخبار، ص 445 .

(2) الدويداري: كنز الدرر، ص114؛ Broudbridge , King Ship and Ideology, P,55

(3) Broudbridge, King Ship and Ideology, P.55.

(4) Howorth ,History of the Mongol, P.120.

(5) Ciocilton, Mongol and the Black Sea ,P.97.

(6) المقريزى: السلوك، ج 2، ص 10؛ Howorth ,History of the Mongol,P.120

(7) المقريزى: السلوك، ج 2، ص 10؛ Broudbridge, King Ship and Ideology ,P.55

وعلي الصعيد الآخر كان بركة خان قادراً على اتخاذ خطوات انتقامية واسعة النطاق، وفى شتاء عام 1264م /663هـ دمر الجيش المغولى وحلفاؤه البلغاريون مدينة تراقيا ووصلوا إلي أسوار القسطنطينية[1]، وأغاروا على أطرافها وهرب باليولوج[2]، وأرسل فارس الدين أقوش - الذى نال بعض المكاسب من باليولوج- إلي قائد جيش بركة خان يقول له إن التأجيل قد تم من جانبه هو، وأن باليولوج يرغب في أن يكون صديقاً وحليفاً جيداً لبركة خان، مثلما هو مع بيبرس[3]، وليقول له أيضاً أن البلاد فى عهد السلطان بيبرس وصلحه، وأن الخان فى صلح من صالحه الملك الظاهر، فطلب قائد جيش بركة خطاباًَمنه بذلك، فكتب فارس الدين اقوش خطاباً يفيد بأنه مقيم باختياره، وأن باليولوج لم يمنعه من التوجه إلي بركة خان[4]، فرحل عسكر بركة من القسطنطينية بعدما حرروا السلطان عزالدين كيكاوس وأصطحبوه معهم[5]، ثم أطلق باليولوج سراح فارس الدين أقوش، وأرسل معه مبعوثاً من قِبَله إلي بركة خان، يعرض عليه صداقته، وجزية سنوية عبارة عن 300 ثوب من الحرير، وفى اجتماعه ببركة خان، ألقى فارس الدين بلائمة التأخير على باليولوج[6]، فذكره بركة خان بخطابه السابق، بينما أرسل السلطان عزالدين كيكاوس بخطاب إلي بيبرس يخبره فيه بتصرف فارس الدين أقوش المخادع[7] وبأنه قد تمت رشوته من قبل باليولوج، وعند عودة أقوش إلي مصر تم القبض عليه ومصادرة جميع الأشياء الثمينة التى حصل عليها، والتى بلغت قيمتها أربعين ألف دينار[8]، وقد كانت هذه الحملة العقابية تحذيراً مفيداً لباليولوج، وتم على إثرها معالجة الأمر، و فتح المضايق مرة أخرى[9].

(1) Ciocilton ,Mongol and the Black Sea ,P.97; Bridge ,King Ship and Ideology, P.55.

(2) الرمزى: تلفيق الأخبار، ص 445.

(3) Howorth,History of the Mongol , P.121.

(4) الدويداري: كنز الدرر، ص98؛ الرمزى: تلفيق الأخبار، ص 446.

(5) الرمزى: تلفيق الأخبار، ص 446؛ Bridge , King Ship and Ideology, P.55

(6) الرمزى: تلفيق الأخبار، ص 446؛ Howorth, History of the Mongol , P.121.

(7) الدويداري: كنز الدرر، ص98؛ Howorth , History of the Mongol, P.121 .

(8) الرمزي: تلفيق الأخبار، ص447؛ Howorth,History of the Mongol ,P.121 .

(9) Ciocilton ,Mongol and the Black Sea ,P.97.

- السفارة الثالثة من بيبرس إلي بركة خان :

في عام 663هـ /1265م أرسل بيبرس، شجاع الدين ابن الداية الحاجب، أحد أمناء الخزانة، إلي بركة خان، يرجوه وقف الإغارة على أراضي باليولوج، الذى طلب مساعدة بيبرس[1]، وأرسل معه ثلاث عمائم كان يرتديها وهو يعتمرفى مكة، ومزهريتان من الرخام، وبعض النخيل، وماء زمزم، وثلاث صور تُعبر عن مراسم الحج مرسومة على ورق مذهب، صنع خصيصاً من أجل بركة خان، لكنها وصلت بعد وفاته[2].

وبهذا انتهي الفصل الأخير من حياة هذا المغولي الشجاع والمتفرد في اختياراته، الذي وضع اللبنة الأولي للاتصال والتواصل بين خانية القفجاق والعالم الإسلامي.

---

(1) المقريزي: السلوك، ج2، ص27؛ Curtin, the Mongol History ,P. 287 .

(2) المقريزي: السلوك، ج2، ص27؛ Curtin, the Mongol History ,P. 287

الخاتمة

توصلت هذه الدراسة التي سعت من خلالها الباحثة إلي إلقاء الضوء على الجوانب المختلفة من حياة شخصية تاريخية مؤثرة بحجم بركة خان، وإبراز الدور المحوري الذي لعبه على الساحة الإقليمية والدولية إلي عدة نتائج أهمها:

أولاً: كشفت الدراسة أن إسلام بركة خان، واعتلائه العرش كأول عاهل مغولي مسلم، قد ساهم في انتشار الإسلام بين مغول القفجاق، ومثل حجر الأساس في عملية تحول مغول القفجاق إلي الإسلام، خلال القرن الثالث عشر والرابع عشر.

ثانياً: أوضحت هذه الدراسة مقدار ما تمتع به بركة خان من تسامح ديني، وانفتاح على الثقافات الأخري،فلم يُسجل عنه اضطهاد أي طائفة دينية في بلاده، فعلي الرغم من إسلامه وحرصه على إظهار شعائر الإسلام والدفاع عن اتباعه المضطهدين خارج خانية القفجاق، فقد تمتع جميع السكان في عهده بحقوق متساوية، وأُعفي رجال الدين المسيحين من دفع الضرائب، بل وأنشئت في عهده أول ابرشيه مسيحية في مدينة سراي عاصمة مغول القفجاق، كما تواجد ممثلون عن الطائفة المسيحية في بلاطه بشكل دائم، و كذلك احتفظ المغول الوثنيون، والذين رفضوا التحول إلي الإسلام بكافة حقوقهم وامتيازاتهم، وتمتعت جميع الطوائف والقوميات في دولته بحرية التنقل والعبادة.

ثالثاً: أوضحت الدراسة أن بركة خان مع أخيه باتو هما المؤسسان الحقيقيان لدولة مغول القفجاق، فبينما أوجد باتو خانية القفجاق بامتدادها الجغرافي، وضع بركة خان السياسات الاقتصادية، والخارجية للدولة، والتي استمرت بعد وفاته و سار عليها خلفاؤه من بعده، كما أوضحت الدراسة الشكل الإداري للدولة في عهد بركة خان، وما استحدثه من نظم إدارية واقتصادية، وكيف أصبحت تجارة البحرالأسود في عهده وبعد وفاته شريان التجارة الرئيسي في خانية القفجاق .

رابعاً: أظهرت هذه الدراسة كيف قلب بركة خان موازين القوي في عصره، وغير خارطة التحالفات المتعارف عليها آنذاك، حيث مثلت إمبراطورية المغول بفروعها الأربع في

(الصين- تركستان- ايران –القفجاق) قوة عظمي وحيدة في العالم آنـذاك، فالعـالم الإسـلامي كـان ممزق الأوصال يعاني الانهيار التام، ومقسم إلي عدة دويلات، ولم يكن الوضع في أوروبـا بأفـضل حالاً من ذلك، و كان الأمر ليستمر هكذا لبضع سنوات أخري، لو لم يدق بركة خان أول مـسمار في نعش الإمبراطورية المغولية العظمي، حين خـرج مـن الكيـان المغـولي الموحـد، وأنهـي تبعيـة القفجاق لدولة المغول الام في الصين، وهو ما عني استقلاله بالموارد المالية للدولة كاملـة، والتـي كان يذهب جزء منها الي القـان في الـصين،وكذلك اسـتقلاله بمـا يقـارب ثلـث القـوة العـسكرية للجيش الإمبراطوري المغولي، مما أدي إلي إضعاف القوة الموحدة للإمبراطورية المغولية.

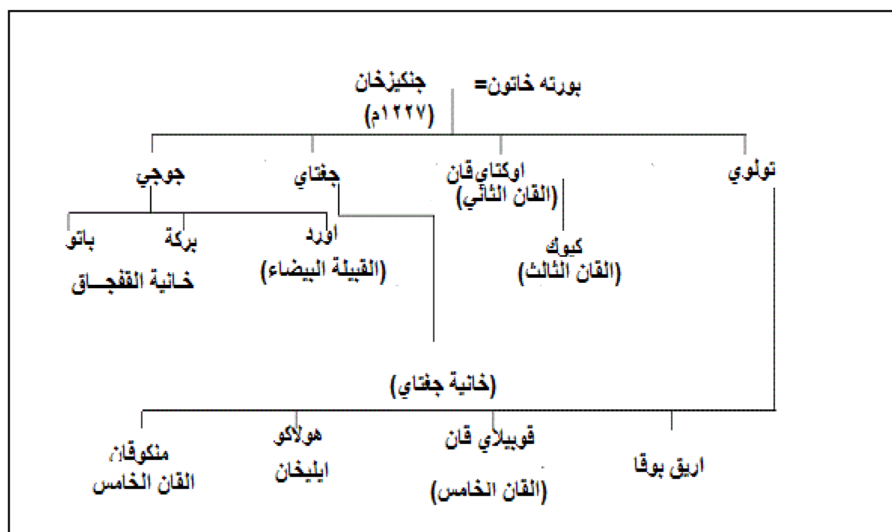
خامساً: أظهرت الدراسة أيضاً أن العداء بين بركة خان وأقاربه المغول لم يقف عند انفـصاله عـن الكيان المغولي الموحد،بل دخل في مواجهات مسلحة مع ابن عمه هولاكو، وهو الأمر الذي كـان من شأنه إضعاف مـا تبقـي مـن قـوة المغـول، خاصـة وأن خانيـة تركـستان قـد اسـتقلت هـي الأخري،ولم يتبق في الاتحاد المغولي سوي هولاكو،وأخيه قوبيلاي في الصين، والـذي كـان مـشغولاً بإرساء قواعد حكمه هناك، وبهذا أصبح هولاكـو وحيـداً في مواجهـة بركـة خـان، الـذي أخـذ في البحـث عـن حلفـاء فاتجـه صـوب المماليـك باعتبـارهم القـوي الإسـلامية المـؤثرة آنـذاك مـن جهة،ولأنهم أعداء ابن عمه هولاكو من جهة أخري، بينما اتجه هولاكـو نحـو الـصليبين الأعـداء التقليديين للمماليك من جهة، والخائفين من غزو مغولي محتمل من قبل جيرانهم القفجاقيين في أوروبا من جهة أخري، وبهذا يكون بركة خان قد أرسي قواعد تحالفات دولية جديـدة اسـتمرت بعد وفاته.

سادساً: كشفت الدراسة عن الأثر البارز لبركة خان في العالم الإسلامي ممثلاً في دولة المماليك التي أفادت إفادة تامـة مـن الـصراع الـدائر بـين بركـة خـان وابـن عمـه هولاكـومن جهـة، ومن التحالف المملوكي القفجاقي من جهة أخري، فبالنسبة للصراع بين بركة وهولاكو، فقـد أدي إلي استنزاف القوة العـسكرية لهولاكـو، فلـم يعـد قـادراً عـلى المـضي قـدما في خططـه الرامية إلي التوسع في أراضي الدولة المملوكية، وفيما يتعلـق بالتحـالف القفجـاقي المملـوكي،

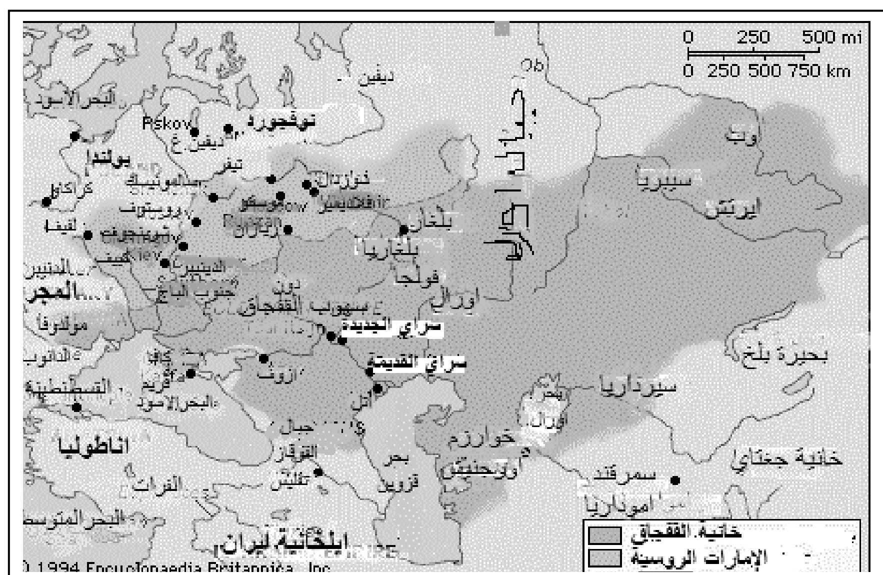
فقد أدي إلي تـأمين تـدفق العبيـد القفجـاقيين الي مـصر،والذين مثلـوا عـماد الجـيش المملـوكي، وبالتالي ازدادت قوة الجيش المملوكي و أصبح قادراً على حسم مواجهاته العسكرية مـع هولاكـو ومع الصليبين .

سابعاً: أظهرت الدراسة أن الأثر الذي تركه بركة خان لم يقتصر على الساحة الإسـلامية والمغوليـة فحسب، بل امتد كذلك إلي الساحة الأوروبية، التي نجت من غزو مغـولي ثـان، بفـضل انـشغال بركة خان في حروبه مع ابن عمه هولاكو، التي لو لم تحدث، لكـان اتجـه بركـة بالتأكيـد صـوب أوروبا المجال التوسعي لخانية القفجاق، وبهذا يكون بركة خان رغم فـترة حكمـه القـصيرة، قـد ألقي بظلاله على السياسة العالمية لعقود من الزمن.

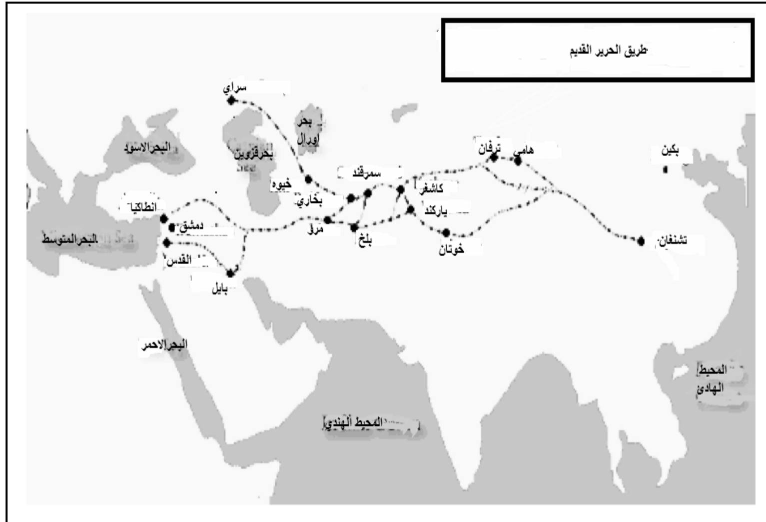
ملحق رقم (1) رسم توضيحي لأبناء جنكيزخان الأربعة الكبارمن زوجته بورته خاتون



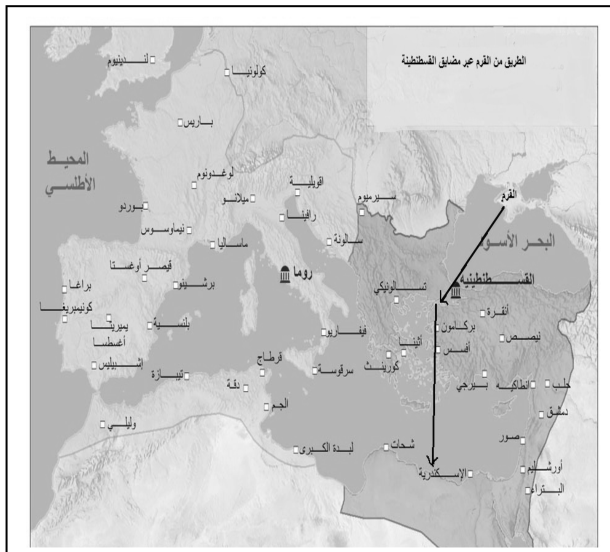
ملحق رقم (2) خريطة توضح الإطار الجغرافي لخانية القفجاق، وموقع مدينتي سراي



ملحق رقم (3) خريطة توضح طريق الحرير



ملحق رقم (4) خريطة توضح بين القفجاق ومصر عبر مضايق بيزنطة



ملحق رقم (5) صورة لأشكال عملات سُكت في عهد بركة خان في مدينة قريم، كُتب على أحد وجهيها الناصر لدين الـلـه، المدافع عن المؤمنين،و كُتب على الوجة الأخر نصرة الدنيا والدين، مساعدة السلام والايمان.





ملحق رقم (6) خريطة توضح أهمية مدينة تبريزلطرق التجارة بين الشرق والغرب



ملحق رقم (7) صورة تخيلية لبركة خان



المصادر والمراجع

أولاً: قائمة المصادر العربية والمعربة:

-ابن الاثير: (أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري، ت 630هـ/1233م)-،الكامل في التاريخ، المجلد الثاني عشر، المطبع المدرسي، اوبساله،1853م.

-ابن بطوطه: (محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، ت779هـ /1377م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المجلد الأول، الطبعة الأولي، المطبعة الخيرية، مصر،1322هـ .

-ابن تغربردي: (جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغربردي الأتابكي، ت874هـ/1470م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المجلدان السادس والسابع،تعليق محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولي، دار الكتب العلمية، بيروت،-لبنان،1413هـ/1992م .

-جوانفيل: جان: القديس لويس، حياتة وحملاته على مصر والشام، ترجمة د.حسن حبشي، الطبعة الأولي، دار المعارف، مصر، 1968م.

- الجوزجاني: (أبو عمر منهاج الدين عثمان المعروف بالقاضي منهاج السراج الجوزجاني،ت 658هـ/1260م)، طبقات ناصري، ترجمة وتقديم ملكة علي، المركز القومي للترجمة،ج2.

-الجويني: (علاء الدين عطا ملك الجويني، ت 683هـ/1283م)،تاريخ فاتح العالم (جهان كشاي)، تحقيق محمد عبدالوهاب القزويني، ترجمة السباعي محمد السباعي، الجزء الأول، الطبعة الأولي، المركز القومي للترجمة، 2007م، الجزء الثالث ترجمة: محمد جمال الدين، تحقيق :محمد القزويني،ط1، المركز القومي للترجمة، 2015م.

-الحموي: (شهاب الدين أبو عبدالـلـه ياقوت، ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، ط1، مطبعـة السعادة، مصر، 1323هـ/1902م.
-ابن خلدون :(عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي، ت 808هـ/ 1405م) كتـاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العـرب والعجـم والبربـر ومـن عـاصرهم مـن ذوي الـسلطان الأكبر، المجلد الخامس، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
- أبو دلف: (مسعر بن مهلهل الخزرجي، المتوفي أواخر القرن الرابـع الهجـري العـاشر المـيلادي) الرسالة الثانية، ترجمة وتعليـق: بطـرس بولغـاكوف وأنـس خالـد، دار النـشر لـلآداب الروسـية، موسكو، 1960م.
- الدواداري: (أبو بكر بن عبدالـلـه بـن أيبـك، المتـوفي بعـد عـام 736هــ-1432م-) كنـز الـدرر وجامع الغرر-"الدرة الزكية في أخبار الدولة التركيه"-تحقيق اولرخ هارمان، الجزء الثامن، المعهـد الألماني للدراسات،-القاهرة،1391هـ/1971م.
- الدويـدار:(ركـن الـدين بيـبرس المنـصوري النـاصري الخطـائي الدويـدار المـصري، ت 725هــ-1325م)، زبدة الفكرة، تحقيـق: دونالـدس ريتـشارد، الطبعـة الأولي، الـشركة المتحـده للتوزيـع، بيروت، 1419هـ/1998م.
-الذهبي :(الحافظ شمس الدين أبو عبدالـلـه محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، ت 748هـ-1348م) دول الإسلام، الطبعـة الأولي، مؤسـسة الأعلمـي للمطبوعـات، بـيروت، لبنـان، 1405هــ /1985م.
-سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عـواد معـروف، محـي هـلال سرحـان، ط11،مؤسـسة الرسـالة، بيروت،1417هـ /1996م.
-الزاهدي: (نجم الدين مختار بن محمود، ت658هـ/1260)، الرسالة الناصرية، تحقيق: محمـد المصري،الطبعة الأولي، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت 1414هـ / 1994م.

-السيوطي: جلال الدين بن أبي بكر بن عبدالرحمن، ت911هـ/1505م)، تـاريخ الخلفـاء، وزارة الاوقاف والشئون الإسلامية، قطر،ط2،1434هـ/2013م.

- ابن شداد: (عز الدين محمد، ت684هـ/1285م)، تاريخ الملك الظاهر، تحقيق، أحمد بحطيط، دار فرانزشتايز، فيسبادن للنشر،1403هـ/1983م.

-الصفدي:(صلاح الدين خليل بـن أيبـك بـن عبداللـه، ت764هــ/1363م)، الـوافي بالوفيـات، تحقيق: أحمدالأرناؤوط، تركي مصطفي، الجزء العاشر،الطبعـة الأولي، دار إحيـاء الـتراث العـربي، بيروت، لبنان، 1240هـ/2000م.

-ابن عبدالظاهر: (محي الـدين أبوالفـضل عبداللـه بـن رشـيد الـدين عبـدالظاهر، ت693هــ /1292م)، الروض الزاهـر فى سـيرة الملـك الظـاهر، تحقيـق عبـدالعزيز الخـويطر، المجلـد الأول، الطبعة الأولي، الرياض، 1396هـ/1976م .

-ابن العبري: (غريغوريوس بـن هـارون بـن تومـا الملطـي، ت685هــ/1286م)، تـاريخ مختـصر الدول، بدون دار نشر وتاريخ.

-ابن عربشاه: (أبوالعباس أحمد بن محمد بن عبداللـه بن إبـراهيم بـن أبي نـصر محمـد بـن عربشاه، ت854هـ/1451م)، عجائب المقدور في أخبار تيمور، ط1، مطبعة وادي النيل، القاهرة، 1285هـ.

-العمري: (شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل اللـه القـرشي العمـري، ت794هــ/1384م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: محمدالنجم، الجـزء الـسابع والعـشرون، دار الكتـب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

- العيني: (أبو محمد أحمد بن موسي بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الـدين العينـي، ت855هـ/1451م)، عقد الجـمان في تـاريخ أهـل الزمـان، تحقيـق: محمـد محمـود أمين،الجـزء الأول،الهيئة المصريةالعامة للكتاب، 1407هـ/1987م.

-الغرنـاطي: (أبـو حامـد محمـد، ت565هــ/1170م)، رحلـة الغرنـاطي تحفـة الألبـاب ونخبـة الإعجاب ورحلة إلي أوروبة وآسية، تحقيق: قاسـم وهـب،ط1، دارالـسويدي والمؤسـسة العربيـة للدراسات والنشر،أبوظبي، بيروت،2003م.
-أبو الفدا:(عماد الدين إسماعيل بن على بن محمود بـن محمـد ابـن عمـر بـن شاهنـشاه بـن ايوب، ت732هــ/1332م)، تقـويم البلـدان، صـححه رينـود والبـارون مـاك كـوكي، دار الطباعـة السلطانية، باريس،1830م.
-ابن فضلان:(أحمد بن فضلان بن العباس راشد بن حماد،عاش في القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي) رسالة بن فضلان، تحقيق: سامي الدهان، المجمع العلمي العربي، دمشق، بدون تاريخ.
-القلقشندي:(أبو العباس أحمد،ت821هـ/1418م)، صبح الأعشي في صناعة الإنشا، الجزء الرابع، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1332هـ/1914م.
-الكتبي: (محمد بن شاكر،ت764هـ/1363م)، فـوات الوفيـات والـذيل عليهـا، تحقيـق:إحـسان عباس، دار صادر، بيروت، ج2.
- ابـن كثـير: (إسـماعيل بـن عمـر الحـافظ، ت 774ه1373م)، البدايـة والنهايـة، الجـزء الثالـث عشر،الطبعة الثانية، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان1411 هـ/1990م.
- ماركو باولو: الرحلة، ترجمة: عبدالعزيز توفيـق جاويـد، المجلـد الأول،الهيئـة المـصرية العامـة للكتاب، 2002م.
-متـي الباريـسي :التـاريخ الكبـير -في- الموسوعةالـشامية في تـاريخ الحـروب الـشامية، تحقيـق وترجمة: سهيل زكار، ج40، دمشق،2001م.
-المسعودي: (أبو الحسن على بن الحسين بـن عـلي،ت364هــ/957م)، مـروج الـذهب ومعـادن الجوهر، مراجعـة: كـمال حـسن مرعـي، الجـزء الأول،الطبعـة الأولي، المكتبـة العـصرية، صـيدا، بيروت، 1425هـ/2005م.

-المقريزي: (تقي الدين أبو أحمد بن على عبدالقادر العبيدي، ت845هـ/1442م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا،الجزء الأول والثاني، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ/1997م.

-المواعظ والاعتبار بذكرالخطط والآثار، تحقيق: محمد زينهم، مديحه الشرقاوي،الجزء الثاني، الطبعة الأولي، مكتبة مدبولي، بدون تاريخ.

-النويري: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب،ت 733هـ/1333م)، نهاية الإرب في فنون الأدب، الجزء السابع والعشرين، الطبعة الأولي،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1424هـ/2004م.

-الهمذاني: (رشيد الدين فضل الله، ت 719هـ/1318م) جامع التواريخ "تاريخ المغول الايلخانيون"، المجلد الثاني، الجزء الأول، ترجمة: محمد صادق نشأت، محمد موسي هنداوي، فؤاد عبد المعطي الصياد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،1960م.

-جامع التواريخ :تاريخ خلفاء جنكيز خان من اوكتاي قان إلي تيمور قان، بدون.

مؤلف مجهول: أخبار سلاجقة الروم من مؤلفات القرن السابع الهجري، ترجمة: محمد السعيد جمال الدين، المركز القومي للترجمة.

<u>-ثانياً: قائمة المصادر الأجنبية:</u>

-Carpini, Giovanni . diplano, the story of the Mongol whom we called tartars , translated by Erik hildinger , bran den publishing ,1996.

-Chronicle of Novgorod, translated from Russian by, Robert Michell ,nevill , raymond , third series ,vol, xxv ,London, 1914.

-Gandzakets'I's,kirakos, history of the Armenians, translatedfrom classical Armenian by ,bedrosian ,newyork,1986.

-Josjani , tabakat -I -nasiri , translated from Persian by ,major h. g. raverty , oriental book , new Delhi, 1970 .

-rubruck, William , the journey of William of rubruck to the eastern parts the world(1253-55) , translated from the Latin by William Woodville rock hill, London .without date.

ثالثاً: قائمة المراجع العربيه والمترجمة:

- ابرار كريم الله: من هم التتار، ترجمة: رشيدة رحيم الصبروتي، الهيئة المصرية للكتاب، 1994م.

- احمد عبدالكريم سلمان: العنصرية وآثرها في الجيش المملوكي، دار النهضة العربية، 1408هـ/1988م.

- أحمد مختار العبادى: قيام دولة المماليك الأولي فى مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، 1406هـ/1986م.

-أرمنيوس فامبري: تاريخ بخاري منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة: أحمد محمود الساداتي، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة.

- إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، الجزء الثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1955م.

- إسماعيل عبدالعزيز الخالدي:العالم الإسلامي والغزو المغولي، مكتبة الفلاح، الكويت، 1404هـ/1984م.

- إيرا لابدوس: مدن إسلامية فى عهد المماليك، ترجمة: على ماضى،الأهليه للنشر والتوزيع،1987م.

- بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطي، ترجمة: أحمد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996م .

- توماس أرنولد: الدعوة إلي الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، عبدالمجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة العربية، مصر، 1971م.
- ثروت عكاشه: إعصار من الشرق "جنكيز خان، دار الشروق، بدون تاريخ نشر.
-جميل عبدالـلـه المصري: حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة،ط9،العبيكان.
-حاجي خليفة:(مصطفي بن عبدالـلـه، ت 1067هـ/1657م (، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون،الجزء الأول، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان .
-حافظ أحمد حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربي، بدون تاريخ.
- حسن الأمين: الأسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي،ط1، الغدير،بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م.
- خير الدين الزركلي:الأعلام،ط15، دار العلم للملايين، بيروت،لبنان،2002م.
- دنلوب: تاريخ يهود الخزر،ترجمة:سهيل زكار،ط2، دار حسان،دمشق، 1410هـ/1999م.
- راغب السرجاني: قصة التتار من البداية إلي عين جالوت، ط1، مؤسسة اقرأ، 1427هـ/2006م.
- رجب محمد عبدالحليم :إنتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، بدون تاريخ نشر.
- رزق الـلـه منقريوس الصرفي: تاريخ دول الإسلام، مطبعة الهلال مصر1329هـ/1908م.
- الرمزي: م.م، تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار،المجلد الأول،الطبعة الأولي،المطبعة الكريمية والحسينية،أورنبورغ، بدون تاريخ.
- زبيدة عطا :بلاد الترك في العصور الوسطى، دار الفكر العربي،بدون تاريخ نشر.
- ساهر رافع: جنكيز خان، ط1، دار طيبة، الجيزة، بدون تاريخ نشر.
- ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، مملكة عكا، ترجمة: نور الدين خليل، ج3، الشروق، 2000م.

- سعيد عبدالفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، 1972م.
-الحركة الصليبية، ط9، مكتبة الأنجلو المصرية، ج2.
- سعيدعمران: المغول وأوروبا، دار المعرفة الجامعية، بدون تاريخ نشر.
- سهيل طقوش: تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند، دار النفائس، لبنان، بدون تاريخ نشر.
- صلاح محمد نور: الطوائف المغولية في مصر وتأثيراتها العسكرية والسياسية والاجتماعية واللغوية والعمرانية في عصر دولة المماليك البحريه، منشأة المعارف، الإسكندريه، بدون تاريخ نشر.
-عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، مطبعة بغداد، 1353هـ/ 1935م.
- عادل إسماعيل محمد هلال: العلاقات بين المغول و أوروبا وأثرها على العالم الإسلامي، الطبعة الأولي، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعيه،1999م.
- التعريف بالمؤلفين في عهد المغول والتركمان، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، 1376هـ/1957م.
- عبدالسلام الترمانني: أحداث التاريخ الإسلامي، المجلد الثاني، الجزء الثالث، الطبعة الأولي، طلاس للنشر، دمشق، سوريا، 1414هـ/1994م.
- عفاف صبرة: التاريخ السياسي للدولة الخوازمية، ط1، دار الكتاب الجامعي، 1987م.
-الحنبلي: (أبو الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي،ت1089هـ/1686م (،شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المجلد الخامس،الطبعة الثانية، دار الميسرة، بيروت،1399هـ/1979م.
- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، الجزء الثالث،ط، مؤسسة الرسالة، 1414هـ/1993م.
- فايد حماد عاشور: الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين والمغول في العصر المملوكي، الطبعة الأولي، جروس برس، طرابلس، لبنان،1415هـ/1995م

- العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولي، مراجعة: جوزيف نسيم، دار المعارف، مصر، بدون تاريخ نشر.
- فرهاد دفتري: الإسماعيليون في العصر الوسيط، ترجمة : سيف الدين القصير، ط1،المدي للنشر، سوريا، لبنان1999م.
- فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، الجزء الأول، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م.
- قاسم عبده قاسم، على السيد علي: الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسى والعسكرى، عين للدراسات، بدون تاريخ نشر.
- الكوراني العاملي: كيف ردالشيعة غزو المغول، الطبعة الثانية، دار الهدي، قم، 1427هـ/2006م.
- محمد الصلابي: دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، دار ابن الجوزي، القاهرة.
- محمد على البار: كيف أسلم المغول، دار الفتح للدراسات والنشر،2008م.
- محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، العهد المملوكي،الجزء السابع،الطبعة الخامسة، المكتب الإسلامي،1421هـ/2000م.
- التاريخ الإسلامي، العهدالإسلامي، الجزء الثامن و الرابع، المكتب الإسلامي، 1421هـ/2000م.
- مصطفي طه بدر: محنة الإسلام الكبري و زوال الخلافة العباسية في بغداد على أيدي المغول، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتب، 1999م.
- منير بعلبكي : معجم أعلام المورد، ط1، دار العلم للملايين، بيروت،لبنان،1992م.
- نبيلة إبراهيم مقامي: فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، مطبعة جامعة القاهرة،1994م.

- هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدني في العصور الوسطي، ترجمة: أحمد رضا ومحمد رضا، الجزء الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1994م.
- ورن – هلستر: أوروبا فى العصور الوسطى، ترجمة: محمد فتحى الشاعر، مكتبة الأنجلو المصرية،1998م.
- ول ديورانت: قصة الحضارة "عصر الإيمان"، ترجمة: محمد بدران، المجلد الثامن، الجزء الخامس عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،2001م.
- وليم موير: تاريخ دولة المماليك في مصر، ترجمة: محمود عابدين وسليم حسن، الطبعة الأولي: مكتبة مدبولي، القاهرة،1415هـ/1995م.
- يحي وهيب الجبوري: النساء الحاكمات من الجواري والملكات، ط1، مجدلاوي، الأردن، 2011م.

-رابعاً: المراجع الإجنبية:

-Abazov Rafis, Historical Dictionary of Turkmenistan, Historical Dictionary of Asian, Oceania and Middle East ,no.53, the Scarecrow Press, Lanham, 2005.
-Abulafia David, Frederick ii: Medieval Emperor, Oxford University Press, New York, 1992.
-Agajanov. S. G, the States of the Oghuz, the Kimek and the Kipchak, in "History of Civilization of Central Asia, 1ed, Motilal Banarsidass publishers, Delhi, Indian, 1999, vol, 4, part,1.
- Akhmedov. B,Central asia under the rule of ghinggis khan's successors-in "history civilizations of central asia" ,motilal banarsidass publish ,delhi,1999,vol,4-part,1.
-Akiner Shirin, , Religious Language of Belarusian tatar kitab: A culture Monument of Islam in Europe , Series: Mediterranean Language and Culture Monograph , Harrassowitz Verlag , Wiesbaden , 2009,VOl ,11.
-Aleman Agusti, Sources on the Alans a critical compilation, brill, 2000.

-Allen W.E, the Ukraine History, Cambridge University Press, 1940.

-Amitai Reuven, Mongols and Mamluks-the Mamluks-Ilkhanid War-1160-1181, Cambridge University Press, 2004.

-Anthony David. W, the Horse, the Wheel, and Language: How Bronze Age Riders from Eurasian Steppes Shaped the Modern World, Princton University Press, 2007.

-Auty Robert& obolensky Dimitri& kingsford Anthony, companion to Russia studies an introduction to Russian history, Cambridge university press, New York, 1991, vol, 1.

-Barthold, W, Kirim, -in- "Encyclopedia of Islam (khe- mahi)" ,Brill archive, 1986, vol,v.

Barthold &B.Spuler, Kashghar, in" Historic Cities of the Islamic World", Brill, 2007.

-Bartusis Mark c., Land and Privilege in Byzantium the Insitioution of Pronoia, 1ed, Cambridge University Press, 2012.

-Beckwith Christopher. I, Empire of the Silk Road: History of Central Eurasia from the Bronze Age to the present, Princeton university press, 2009.

-Beller Steven, a Concise History of Austria, 1ed, Cambridge university press, 2006.

-Blair Sheila .S, the Monumental Inscriptions from early Islamic Iran and transoxiana, Brill press,Leiden,New york,1992.

-Bonnefoy Yves, Asian Mythologies, translated by ,Wendy Doniger, et.al, the university of Chicago press,Chicago and London,1993.

-Broadbridge Anne.F, Kingship and Ideology in the Islamia and the Mongol worlds,, 1ed, Cambridge university press,2008.

-Bosworth C.E, Ghazni, in"Historic Cities of the Islamic World", Brill, 2007.

-Buckley Ralf, Adventure Tourism, CABI, London, UK , 2006.

-Buell Paul d, Historical Dictionary of the Mongol World Empire Historical Dictionaries of Ancient Civilizations and Historical Eras,No.8,The Scarecrow press,Inc,Lanham,maryland ,and Oxford,2003.

-Bunson Matthew, D. Min, Osv's Encyclopedia of Catholic History, Huntington, Indiana, 2004.

-Burgan Michael, Empire of the Mongols, Chelsea house publishers, New York, 2009.

-Byrd William, et.al , Economic Cooperation in the Wider Central Asia Region ,world Bank Working Paper no .75, 1ed, the World Bank Publishing ,Washington,2006.

-Ciociltan Virgil, the Mongols and the black sea trade in the thirteenth and fourteenth century, translated by Samuel willcaks, Brill, Leiden, Boston, 2012.

-Clammer Paul, Afghanistan, Lonely Panet, 2007.

Coene Fredrik, the Caucasus- an Introduction, 1ed, Routledge, 2010.

Cosman Madeleine pelner& Linda g. jones, Life in the medieval world, facts on file Publishing, 2008.

-Curtin, Jeremiah, the Mongol history, little brown, Boston, 1908.

– The Mongols in Russia little brown, Boston, 1908.

-Dashdondog Bayarsaikhan, the Mongols and the Armenians (1220-1335), Brill, 2010.

-Davies Norman, god's Play Ground A History of Poland, 1ed, Oxford University Press, 2005, vol, 1.

-Delis Saulius Suzie, Historical Dictionary of Lithuania, 2ed, Scarecrow Press, Lanham, Maryland, 2011.

-Dewees Devin e, Islamlization and Native Religion in the Golden Horde:Baba Tukles and Conversion to Islam in his Historical and EpicTradition, Pennsylvania state, university,USA,1994.

-Dimnik Martin, The Dynasty of Chernigov1146-11246, Cambridge University Press, 2003.

-Dubonis Arturas, From Mindaugas to Traidenis –in – "the Lithuanian Millenium: History Art and Culture" ,Translated from Lithuanian by, Igne Aidukaite ,Malcolm Stewart ,Diana Barnard,Vilnius Academy of Arts Press, 2015.

- Evliya Efendi, Narrative of Travels in Europe, Asia, and Africa, in the Seventeenth Century,translated from the Turkish by, Joseph Von Hammer, Printed for the Orintal Translation Fund, London,1834,vol,ii.

-Fisher W.B, Physical Geography –in-"the Cambridge history of Iran" ,Cambridge university press,1968.

-Fritz Rudolf künker Münzenhandlung, the Dewit Collection of Medieval Coins ,1000 years of European coinage ,part ,2," Germany, Switzerhnd, Austria, Bohemia, Moravia, Hungary, Silesia, Poland, Baltic states, Russia and the Golden Horde", osnabrück,2007.

-Frost Robert, the Oxford History of Poland –Lithuania: the Making of the Polish – Lithuanian Union, 1385-1569, 1ed, Oxford University Press, 2015, vol, 1.

-Georgantel E.S&Curuliova .V, East Meets West:Coins and Communications on the Black Sea,Thirteenth-Fifteenth Centuries- in-"Proceedings of the 21 st international congress of byzantine studies" ,abstracts of panel papers ,London, 2006,vol,2.

-Gladysz Mikolaj, the Forgotten Crusaders: Poland and Crusader Movement in the Twelfth an Thirteenth Centuries, Translated from Polish by, Paul Bar ford, Brill, 2012.

-Golden peter b, the people of the Russian forest belt,in “the Cambridge history of early inner Asia” , cambridge university press,1994 , vol,1 .

؛-Khazar studies :Achievements and Perspectives –in –“the world of the khazar” ,oriental studies,brill,leiden,2007,vol.17.

-Grousset Rene, the Empire of the Steppes a history of central Asia, translated from French by Naomi Walford, 8ed, Rutgers University press, 2002.

-Halperin Charles, Russia and the Mongol Impact on Medieval Russian History Golden Horde, Indiana university press, Bloomington and Indianapolis, 1987.

-Hansen Valeria, the silk road, Oxford University, 2012.

-Hartog Leo De, Genghis Khan Conquer of the World, Tauris Parke, 2004.

-Heilprin Angelo& Louis Heilprin, geographical dictionary of the world in the early 20 th century, logos press, new Delhi, 1990, vol2.

-Hldinger Erik, Warriors of the Steppe: a Military History of Central Asia (500b.c-to1700a.d), 1ed, Da capo press, 2001.

-Howorth .H, history of the mongol, longman; green and co, London, 1880.

Jackson Peter, the Mongol and the West (1221-1410), Pearson Longman, Harlow, England, 2005.

-the Mongols and Europe, in-“the New Cambridge Medieval History c. 1198-c .1300”, 1ed, 1999, vol, 5.

Jaques Tony, Dictionary of the Buttels and the Sieges-Aide to 8.500 Battels Iniquity through the Twenty First Century, Publish Greenwood Press, 2007, Vol, 2.

Jerschin Nicholas Von, Chronicle in Prussia: History of the Teutonic knights in Prussia 1190-1331, translated by, Mary Fischer, 1ed, Ash gate Publishing, 2010.

- Jonsson David, Islamic Economics and the final Jihad, Xulon press, 2006.

-Juzjani , Tabakat –I –Nasiri, translated from Persian by H. G. Raverty , Oriental Book , New Delhi, 1970 ,vol ,2.

-Katchanovski Ivan,et.al, Historical Dictionary of Ukraine ,the scarecrow Press,2ed,Lanham,Toronto,2013.

-kenna Emy Mc, EDITOR, Estonia, Latvia, Lithuania, and Poland, Britannica Educational Publishing, 2014.

-kerr Robert, General History and Collection of Voyages and Traveles, ,printed by George ramsay ,Edinburgh ,1811,vol, 1.

-kinder, et, al, Making Europe -people, politics and culture, cengage learning, 2009 ,vol, I.

-korobinikov Dimitri, Byzantium and Turks in the Thirteenth Century ,1ed- Oxford University Press,2014.

-Kosarev Aleksey. N & Kostianoy Andry G, the Oral Sea Environment, Springer Press, Berlin, 2010, vol, 7.

-Law David.A, Russian civilization, Ordent Media, 1975.

-Lawler Jennifer, Encyclopedia of Byzantine Empier, 1ed, McFarland, 2004.

-Magocsi Paul Robert, the roots of Ukrainian nationalism Galicia as Ukrainian's piedmont, university of Torontopress, 2002.

-A History of Ukraine: the Land and its Peoples, 2ed University of Toronto press, Toronto, Buffalo London, 2010.

-Makkai Laszlo, Transformation into Western: Type State, 1096-1301-in-"A History of Hungry", 1ed, Indian University press, 1994.

-Marshall, Storm from the East: from Genghis khan to Kublai Khan, the University of California Press, Berkeley, Los Angeles, 1993.

-Martin Janet, Medieval Russia (980.1584), 2ed, Cambridge university press, 2007.

-North East Russia and the Golden Horde (1246-1359) in “the Cambridge history of Russia from early rus to 1689”, Cambridge university press, 2006, vol, 1.
-Mas timothy, the Mongols Empire A historical encyclopedia, A B C- Clio, California, 2016, vol, 2.
-Maunder Samuel, the Treasury of History: Comprising General Introductory Outline of Univesal History Ancient and Modern and a Series of Separate History of Every Principal Nation that Exists, its Rise Progress, Present Condition, Longman, Brown, London, 1853.
-McDermott Mercia, Bulgarian folk Customs, Jessica Kingsley Publishers, London and Philadelphia, 1998.
-Mendorff John, Byzantium and the rise of Russia, study of Byzantium – Russian relations in the fourteenth century, Cambridge university press, 2010.
-Merinsky Zdenek& Meznik Jaroslav, Making of the Czech State:Bohemia and Moravia from the Tenth to the Fourteenth Century-in- “Bohemia in History “,1ed, Cambridge University Press,1998.
-Michell George& Vicziany Marika and Tsui Yen hu, Kashgar: Asis City on China's old Silk Road, Frances Lincoln publishers, 2008.
-Mikaberidze Alexander, Historical Dictionary of Georgia,2ed, Rowman&Littlefield Publisher,Lanham,Maryland,2015.
-Molnar Miklos, Aconcise History of Hungary, English translated by: Anna Magyar, 1ed, Cambridge University, 2001.
-Moore W .G, the Penguin Encyclopedia of Places, 2ed, Benguin Books, 1978.
-Morgan David .o, the Mongols and eastern Mediterranean –in –“Latin’s and Greeks in the eastern Mediterranean after 1204, frank Cass, London, 1ed, 1989.
-Moss Walter g., A history of Russia anthem press, London, 2ed, 2005, vol, I.

-Nyamna Badarch, the coins of the Mongol empire and clan tamgha of khans(xiii-xiv),ulaanbaatar ,Mongolia,2005.

-Olsen Brad, Sacred Places Europe 108Destinations,1ed, Consortium of Collective Consciouseness publishing ,2007.

-Onuon Urgunge, the Secret History of the Mongols-the life and times of ghinggis khan, Rutledge,Curzon,London and newyork,2001.

-Ostrowski Donald .G, Muscovy and the Mongols :Cross-Cultural Influences on the Steppe Frontier,1304-1589,1 paperback ed, Cambridge university press, 2002.

-peacock .A.c.s. & nur yildiz Sara, the Seljuk's of Anatolia: court and society in the medieval Middle East, i.b.tauris, London, New York, 2013.

-pipe Richard, the Formation of Soviet Union: Communism and Nationalism, 1917-1923, 1ed, Harvard universitypress, 1997.

-Poole Stanley Lane, History of Egypt in the middle Ages, Methuen &co, London, 1901.

-pryor John h., the Maritime Republics- in- "the new Cambridge Medieval History –c.1198-c1300" Cambridge university press, 1ed, 1999, vol,v .

-Purton Peter, History of the Late Medieval Siege1200, 1500 ,1ed ,the Boy Dell press,2010, part, 2.

-Rafferty John .P, the Living Earth: Rivers and Streams, Britannica Educational Publishing, 2011.

-Roncak Beter& Fabianova Marcela and Drozd Josef, Data Sharing between the Slovak and Czach Republics in the Morava River Basin, in " Protracting Danube River Basin Resources Ensuring Access to Water Quality Data and Information" , Nato Asl Series, Springer,1997,vol,24.

-Rosenwein Barbra .H, editor, Reading the Middle Ages, 2ed,University of Toronto Press,2014,vol,2.

-Sanders Alan.J.K, Historical Dictionary of Mongolia, 2ed,the scarecrow press, lanham, Maryland, and oxford,2003.

-Saunders John, the History of Mongols, conquests, university of Pennsylvania press, 2001.

-Scott Richard, Eternal Empire, the Ottomans at War, Osprey Publishing, 2008,vol, 6.

-Selart Anti, Livonia, Rus and the Baltic Crusades in the Thirteenth Century, Translated from Germany by Fiona Robb, Brill, Leiden, Boston.

-Shiraev Eric, Russian Government and Politics, 1ed, Palgrave, Macmillan, 2010.

-Shubin Daniel, History of Russia Christianity: from the earliest years through Tsar Ivan IV, Algora publishing, 2004, vol, 1.

-Skvarana Dusan, et.al, Slovak History Chronology &Lexicon, translation by: David P.Danial, 1ed, Bolchazy –Carducci publishers, Inc, Wauconda, Illinois, 2002.

-Sneath David, the Headless State, Aristocratic Orders, Kinship Society and Misrepresentations of Nomadic Inner Asia, Columbia University Press, New York, 2007.

-Spielvogel Jackson. J, Western Civilization: A Brief History, 7ed, Wadsworth, Gengage Learning, 2009.

-Spuler Bertold, History of the Muslim world: the Mongol periode,, translated from german, F.R.C.Bagley ,E. j.Brill, Leiden, 1960 ,vol,2.

-Tocb Michael, Welfs, Hohenstaufen and Habsburgs-in – “the New Cambridge Medieval History”, vol, 5.

-Treffner Jens& Mioc Vincent& Wegerich Kai,International River Basins, Aral Sea (Amu darya and Syr darya) , in ”the Politics of Water Survery” ,1ed ,Rutledge,London and Newyork ,2010.

-Turnbull Stephen, Genghis khan and the Mongol Conquest1190-1400, Osprey publishing.

-Ulwencreutz, The Royal Families in Europe V a brief history of the ruling houses during the last years, Ulwencreutz media, 2013.

-Vasary Istvan, Cumans and Tatars Oriental Military in pre-ottoman Balkans, 1185-1305, 1ed, Cambridge University press, New York, 2005.

-Vasilaev Aleksander.A, History of the Byzantium Empire, University of Wisconsin Press, 1980, vol, 2.

-Vernadsky George, the Mongol impact on Russia –in-“readings in Russian civilization: Russia before Peter the great, 900-1700 “, 2ed, University of Chicago press, 1969, vol, 1.

Waldman Carl& Mason Catherine, Encyclopedia of European peoples, Facts on file Publishing, 2006, vol, 2.

-Williams George.L, Papal Genealogy the Families and Descendants of the Popes, Mc Farland, Jefferson , Northcarolina, 1998.

-Xinruliu, the Silk Road in World History, Oxford university press, 2010.

-Zonn I, et.al, The Caspian Sea Encyclopedia, Springer, Berlin, 2010.

-خامساً: الدوريات العربية:

- حياة ناصر حجي: العلاقات بين المماليك ودولة مغول القفجاق، حولية كلية الأداب، جامعة الكويت، العدد 20، 1400هـ/1981م.

-رائد عبدالرحيم: ألفاظ مغولية في أدب العصر المملـوكي، مجلـة جامعـة النجـاح للأبحـاث، نابلس، فلسطين، مجلد 22(4)، 2008م.

-علاء محمود قداوي و رغد عبدالكريم النجار: إمبراطورية المغول دراسة في تكوينها وصراع الأسرة الحاكمة على منصب الخان الأعظم، مجلة أداب الرافدين، العدد-59-4032هـ/2011م.

- نزار حسن: مدي تطبيق القوانين المغولية الوثنية في السلطنة المملوكية، مجلـة الدراسـات التاريخية، جامعة دمشق، العددان 117-118، كانون الثاني-حزيران-2013م.

- سادساً: الدوريات الاجنبية:

-Arslanova , alsou A: “Russian research on the interrelations of the golden horde with the ilkhans of Iran and chaghatayids”, acta orientalin academiae scientiarum hungaricae,vol,58,(3), p, 277:293.

-Biran ,Michal: “the chaghadaids and islam the conversion of tarmashirin khan -1331-34”, journal of the American oriental society, vol, 122, no, 4,(oct-des,2002), p,742:752.

- Martin ,Janet: “the land of darkness and golden horde the fur trade under the Mongols xiii-xiv th centuries “ , cahiers du monde russe et sovietique ,vol,19,no,4,(oct-dec,1978),p,401:421.

- Sinor, Denis: “the Mongols in the west”, journal of Asian history, vol, 33, no, 1, (1999), p, 1:44.

-Zdan ,Michel: “the dependence of halych’ volyn’ rus’ on the golden “horde”, the Slavonic and east European review, vol, 35, no, 85,(jun,1957),p,505:522.

- **سابعاً الرسائل العلمية:**

- بهيرة غلاب: مغول القبيلة الذهبية في بلاد القفجاق، رسالة دكتوراة، جامعة طنطا، كلية الأداب، قسم التاريخ، 2000م.

-صبري أبو الخير سليم: قيام دولة مغول القفجاق في روسيا وسياستها الخارجية، كلية الأداب، قسم التاريخ، جامعة الزقازيق، 1992م.

-ثامناً: الموسوعات العربية والأجنبية:

-دائرة المعارف الإسلامية، تحرير: إبراهيم خورشيد، أحمد الشنتناوي، عبد الحميد يونس، المجلد السابع، مطبعة الشعب، مجلد7.

- الموسوعة العربية الميسرة، سبعة أجزاء، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة، الثالثة، 2009م.

-الموسوعات الأجنبية:

-Christopher Kleinhenz. Editor, Medieval Italy an Encyclopedia, Rout ledge, New York, London, 2004, vol, 1.

-Hazal, Encyclopedia of Islam (khe- mahi), (ed.) by c.e.bowsortha and others, brill archive, 1986, vol, v.

-Husar Struk Danylo, Encyclopedia of Ukraine, University of Toronto Press, 1993, vol, 3.

- Josef, w. meri, Medieval Islamic civilization: an encyclopedia, Taylor &Francis publishing, 2006, vol, 2.

-the penny cyclopedia of the society for the diffusion useful knowledge “tai-wan”,Charlesknight and co,London,1842,vol,24.

-Vásáry I., Berke b. Jochi Khān , In: The Encyclopedia of Islam Three, Edited by Kate Fleet and others , Leiden , Boston: Brill 2015, pp. 44–47.

-المواقع الألكترونية:

- www.encyclopaideaberitannica
- www.elwaraq.com